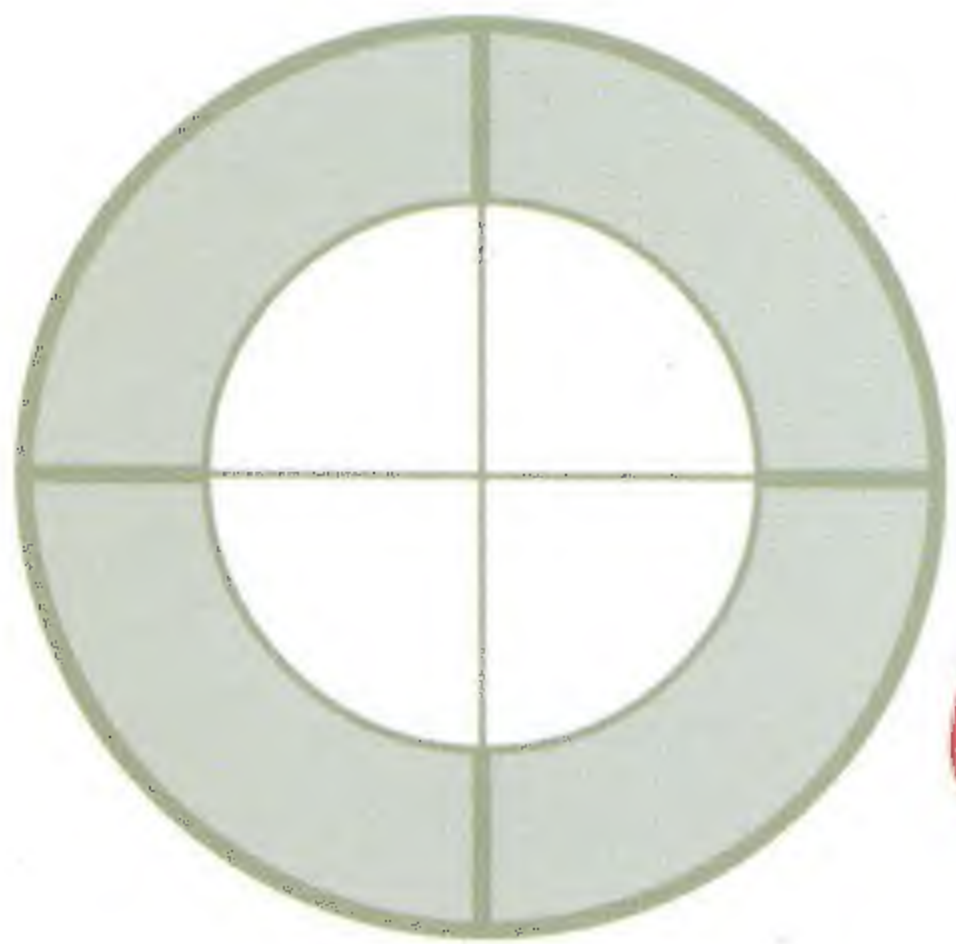


الأميرالية والحرب وعدم الاستقرار السياسي



اضطراب

في الشرق الأوسط

تأليف: بيرش بيربروجلو ■ ترجمة: فخرى لبيب

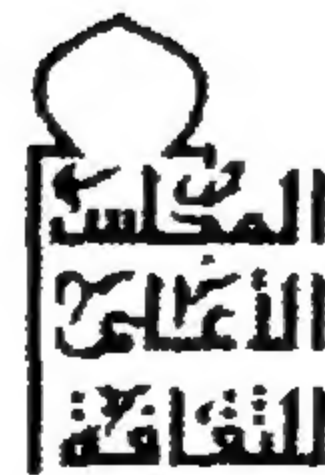
المشروع القومي للترجمة

اضطراب فى الشرق الأوسط

الإمبريالية، الحرب وعدم الاستقرار السياسى

تأليف: بيرش بيربيروجلو

ترجمة: فخرى لبيب



٢٠٠٢

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم المختلفة ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة.

قائمة المحتويات

الموضوع	صفحة
تقديم	11
تمهيد	13
شكر	15
مقدمة	17
الفصل الأول: تأثير الإمبريالية الغربية على الشرق الأوسط	21
خلفية تاريخية	25
المرحلة الأولى: ١٨٨٨ - ١٩١٤	27
المرحلة الثانية: ١٩١٨ - ١٩٣٩	30
المرحلة الثالثة: ١٩٤٥ - ١٩٩١	31
"النظام العالمى الجديد" لما بعد ١٩٩١ وتأثيره على الشرق الأوسط	33
الهوامش	35
الفصل الثانى: القومية والنزاع الاثنى والاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط فى باكورة القرن العشرين	39
دور الأقليات الاثنية فى المجتمع العثمانى	41
وضع المجتمع الأرمنى فى تركيا العثمانية	44
المنافسة الاثنية وصعود القومية التركية	46
القومية المتطرفة والإبادة العرقية للأرمن فى تركيا العثمانية عام ١٩١٥	49
بعض الملاحظات الختامية	51
الهوامش	53

الفصل الثالث: الإمبريالية والبعث القومي في الشرق الأوسط:

59	تركيا ومصر
61	الإمبريالية وصعود القومية في تركيا
67	الإمبريالية وبعث القومية في مصر
73	خاتمة
75	الهوامش

الفصل الرابع: الإمبريالية والبعث القومي في الشرق الأوسط:

79	سوريا والعراق
81	الإمبريالية ورد الفعل القومي في سوريا
88	الإمبريالية ورد الفعل القومي في العراق
94	خاتمة
97	الهوامش

الفصل الخامس: المسألة القومية في الشرق الأوسط: النضالات الفلسطينية والكردية من أجل تقرير المصير

101	القومي
103	فلسطين والفلسطينيون
106	أصول الحركة القومية الفلسطينية
109	القومية الفلسطينية والنضال من أجل التحرر القومي
112	كردستان والأكراد
116	أصول الحركة القومية الكردية
119	القومية الكردية والنضال من أجل تقرير المصير
124	خاتمة
127	الهوامش

	الفصل السادس: الصراع العربي الإسرائيلي: الحرب والاضطراب
133	السياسى فى الشرق الأوسط
135	أصول الصراع العربى- الإسرائيلى
138	من حرب الأيام الستة إلى حرب أكتوبر: تعميق النزاع العربى الإسرائيلى
142	الغزو الإسرائيلى للبنان ونزع سلاح القيادة الفلسطينية
145	الانتفاضة والنزاع المتجدد فى الأراضى المحتلة
149	الهوامش
	الفصل السابع: حرب الخليج: المنافسة الإمبريالية من أجل
153	السيطرة على الزيت فى الشرق الأوسط
155	إيران والعراق والمنافسة بين الإمبرياليين فى الشرق الأوسط
158	حرب الخليج عام ١٩٩١
	المنافسات فيما بعد الحرب الباردة فى الاقتصاد السياسى للشرق
160	الأوسط
163	خاتمة
165	الهوامش
	الفصل الثامن: النظام العالمى الجديد فيما بعد الحرب الباردة
167	وإمكانية السلام فى الشرق الأوسط
173	الهوامش
175	المراجع أبجدياً

هذا الكتاب

مكرس

لذكرى

جدي لأبي

«ديدي»

تقديم

كتاب اضطراب فى الشرق الأوسط: الإمبريالية، الحرب وعدم الاستقرار السياسى للبروفسور بيرش بيربيروجلو كتاب متوسط الحجم، يقع فى حوالى ١٦٠ صفحة (فى اللغة الإنجليزية) مشتملاً على ثمانية فصول. إنه يلقي الضوء على الشرق الأوسط خلال مرحلة عاصفة من تاريخه منذ الحرب العالمية الأولى وانهيار الإمبراطورية العثمانية حتى زمن إصداره عام ١٩٩٩، مروراً بالعديد من الأزمات والنزاعات التى أدت إلى عدد من الحروب، والهبات، والانقلابات، والتمردات، والثورات، فترة انتقال هامة وخطيرة فى تاريخ الشرق الأوسط، فترة الخروج من الزمن العثمانى إلى الزمن البريطانى- الفرنسى، إلى الاستقلال الوطنى، إلى الزمن الأمريكى وزرع الصهيونية فى المنطقة.

كما يتناول الكتاب التناقضات الداخلية التى تتجسد فى النزاع والصراع الطبقي والاثنى: أصوله ودوافعه، مقوماته وتوجهاته.

والمؤلف عندما يتناول هذا التاريخ الممتد طولا وعرضاً وعمقاً، فى تلك الصفحات التى تعتبر محدودة قياساً على ما اشتملت عليه، يقدم موجزاً وافياً كثيفاً، يعكس عمق إلمامه بالموضوعات التى يتعرض لها، والذي يؤكد هذا الاستنتاج ذلك العدد الكبير من المصادر التى رجع إليها يستقى منها ما يؤكد طموحه ورؤيته، والتى بلغ عددها حوالى مائتى مصدر، غير أنه لم يكتب كتابه هذا على ضوء قراءاته للمصادر والمراجع فقط، لكنه قام هو نفسه بعدة زيارات للشرق الأوسط، زيارات إلى تركيا ومصر وسوريا وقبرص واليونان وأرمينيا ومراكش وتونس وإسرائيل والضفة الغربية، وألقى عدداً من المحاضرات فى الجامعات ومراكز أبحاث بالشرق الأوسط، والتقى بالعديد من الأساتذة فيها.

إن هذا الكتاب يحمل صفة السهل الممتنع، سهل فى تناوله وفى عرضه وفى تحليلاته وفى استنتاجاته، لكنه السهل الممتنع بما يحمله من عمق وجدية وشعور بالمسئولية، كما يتميز هذا الكتاب أيضاً بموضوعيته، التى لا بد وأن تصل بصاحبها إلى الحقيقة التى يلزم نفسه بالوقوف إلى جوارها والدفاع عنها، حتى وإن اختلف فى السياق العام، مع موقف هنا أو موقف هناك، شأنه فى ذلك شأن أصحاب القضية أنفسهم، يتفقون ويختلفون فيما بينهم.

والمؤلف د.بيرش بيربيروجلو، أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع، ومدير معهد الدراسات الدولية بجامعة نيقادا رينو، حيث كان يقوم بالتدريس والإشراف على أعمال البحث خلال الاثنى والعشرين عاماً الأخيرة. إنه مؤلف ومحرر ستة عشر كتاباً، والعديد من المقالات حول الشرق الأوسط.

هذا كتاب عن الشرق الأوسط أو ملف عن الشرق الأوسط، هام وضرورى للشباب حتى يعرفوا ماذا حدث؟ وماذا يحدث؟ وبالتالى ما الذى يمكن أن يحدث؟.

المترجم

تمهيد

ظل هذا المشروع قيد الإعداد قرابة عقد، وقد أوضحت في كتاب سابق - هو "القوة والاستقرار في الشرق الأوسط" - افتقاد هذه المنطقة من العالم لأي استقرار دائم؛ إنها منطقة تمرقها الحروب، وقد اعتبر الكتاب الحالى بمثابة ملحق لذاك العمل السابق، يلقي الضوء على تأثير الإمبريالية والحرب والاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط عبر مجرى القرن العشرين منذ الدمار الذى حملته الحرب العالمية الأولى عبر العديد من الأزمات والنزاعات التى أدت إلى دورات من الحرب والهبات، والانقلابات، والتمردات والثورات.

وقد استفاد هذا الكتاب من عدة زيارات إلى الشرق الأوسط، عبر عدد من السنوات الماضية - زيارات إلى تركيا ومصر وسوريا وقبرص وأرمينيا ومراكش وتونس وإسرائيل والضفة الغربية عام ١٩٩٧، ولبنان عام ١٩٩٨، واليونان عام ١٩٩٩ - زيارات منحتنى فرصة تقديم سلسلة من المحاضرات، ولقاء زملاء فى العديد من الجامعات، بما فى ذلك الجامعة الأمريكية فى بيروت، والجامعة الأمريكية اللبنانية، وكلية الجامعة الحجازية، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، وجامعة قبرص، والجامعة الأمريكية بأرمينيا، وكلية الأمريكية بتسالونيكى، ومركز الدراسات الآسيوية البسيطة، وقد قدم زملاء وأصدقاء يعملون فى تلك الكليات وكليات أخرى ومراكز أبحاث عبر الشرق الأوسط، قدموا معلومات قيمة وفيرة ضمنتها هذا الكتاب.

وبينما يركز الكتاب على التناقضات الداخلية لدول الشرق الأوسط، والتى ترفع بها ديناميكات النزاع الطبقي والصراع الطبقي فى مجالات عديدة فى المجتمع، وكذا العلاقات الاجتماعية، فإنه يقوم بدراسة الاقتصاد السياسى للنزاعات الراسخة منذ زمن طويل، والأزمات فى الشرق الأوسط، مع الالتفات بصورة خاصة إلى دور القوى الخارجية القوية، النابعة من الإمبريالية الغربية بقيادة بريطانيا وفرنسا، والولايات المتحدة فيما بعد.

إن هذا الكتاب يوضح مركزية العلاقة بين الإمبريالية والحرب والاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط، مع إشارة خاصة إلى تحليل الطبيعة الطبقيّة للدولة، والقوى الاقتصادية المشاركة فى الحركات الوطنية والأصولية، والسياق التنظيمى الذى تحشد فيه هذه القوى نفسها سياسياً حتى تكون ذات أثر فى التغيير، ومن ثم فقد تمت

دراسة انهيار الدولة العثمانية، وظهور الدول القومية المشكلة حديثاً، ونضال الفلسطينيين، والأكراد، والأقليات القومية الأخرى، والحروب الأهلية والنزاعات والحروب الإقليمية، بما في ذلك النزاع العربي الإسرائيلي وحرب الخليج، وبالمثل الهبات العديدة، وأعمال التمرد والعصيان، والثورات من تمردات الفلسطينيين والأكراد في الثلاثينيات إلى الثورة في إيران، والانتفاضة في الأراضي المحتلة، تمت دراستها كلها في إطار معالجة تقوم على التحليل الطبقي، معالجة وضعت في حساباتها الدور المركزي للإمبريالية، ورد فعل النيوكولونيالية باعتبارهما العمودين التوأمين للاقتصاد السياسي العالمي المعاصر، واللذين كان لهما أثرهما في الشرق الأوسط.

إنها مهمة صعبة تلك التي تحاول فرز القوى الطبقية التي كانت وراء النزاعات السياسية التي قادت إلى الصدام الأهلي، والمواجهة العسكرية عبر الشرق الأوسط. إن هذا الكتاب يحاول رسم خريطة لديناميكات الصراع الاجتماعي، والتحول الاجتماعي في هذه المنطقة الهائجة- والهامة بصورة جوهرية- من العالم، لتقديم تحليل للطبيعة الطبقية للدولة، وتوازن القوى الطبقية المشاركة في الصراع من أجل السيادة السياسية عبر الكثير الخاص بالشرق الأوسط.

شكر

إن دراسة يحتويها هذا كتاب صغير، دراسة لها عمق واتساع أحداث تاريخية تحركت آثارها على منطقة بكاملها، مثل الشرق الأوسط، ليست بالمهمة السهلة. إن المعلومات والتحليلات المقدمة في الصفحات التالية إنما هي نتيجة عمل عشرات من الدارسين للشرق الأوسط، والمتخصصين فيه، وقد قمت بدراستها عبر العديد من سنوات البحث والكتابة، وتوصلت خلال هذه العملية إلى منظوري الخاص، والذي خدمني كأساس لفهم الأبنية والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تحدد طبيعة وديناميكات الشرق الأوسط المعاصر.

وقد ساهم العديد من الزملاء والطلاب، بصورة مباشرة أو غير مباشرة في هذا السعي، ساهموا في تشكيل آرائى حول أمور تتناول موضوعات حاسمة، أثّرت ونوّقت في هذا الكتاب. إننى أبغى شكر قأهاكن داديان، وسبروس بينا، وسوهراب بيهداد، وفيكتر سيهون، وأمير سلطاني، وسافاس كاتسيكيدس، وأسيف بيات، وليقون قارتان لمساهماتهم ومناقشاتهم حول طبيعة وديناميكات الأحداث الكبرى في الشرق الأوسط.

إننى أود شكر كلاى مورجان وزينا لورانس محرري "مطبعة سونى" لسماحهم لى بوقت إضافى كنت فى حاجة إليه لاستكمال هذا المشروع، ولصبرهما، وتعاونهما خلال المراحل المختلفة لعملية النشر.

إن المنحة التى قدمتها جامعة نيقادا، مؤسسة رينو- والتى منحت كجزء من نفقات أستاذيتى من عام ١٩٩٥ حتى عام ١٩٩٨- قد جعلت الجهد البحثى الذى بذل فى الإعداد لهذا المخطوط ممكناً، وهى قد زودتنى بالاعتمادات المالية اللازمة، ووقت الفراغ الذى كنت أحتاجه لإتمام هذا المشروع.

وختاماً فإننى أود شكر زوجتى سوزان لسنواتها العديدة، سنوات الرفقة والتشجيع لعملى، ولتقديمها تعليقات وانتقادات ثمينة أثّرت تحليلى عند كل منعطف؛ وشكراً لابنى ستيفن وميشيل، لصبرهما وفهمهما أهمية هذا المشروع.

مقدمة

لقد كان الشرق الأوسط لقرون نقطة تركيز للمنافسة الاستعمارية والحرب والاضطراب السياسى. إن دورات الغزوات الإمبريالية للمنطقة قد أحالت هذا الركن التاريخى فى العالم إلى نطاق من الدم المسفوك والموت، والدمار واليأس.

إن المنافسات فيما بين الإمبرياليين قد حولت الشرق الأوسط إلى أرض نزاع للقوى المتنافسة التى كانت تتبارى للسيطرة على الأرض والثقافة وشعوب هذه المنطقة عبر مجرى القرن العشرين إن اقتحام القوى الغربية هذه المنطقة سهل انحدار وسقوط الأمبراطورية العثمانية كقوة كبرى، فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وقد قاد انهيار الأمبراطورية العثمانية بدوره إلى المزيد من توسع الإمبريالية الغربية عبر الشرق الأوسط.

إن هذا الكتاب يتناول بالبحث ديناميكيات القوى الاجتماعية الكامنة وراء الاضطراب السياسى الذى اكتنف الشرق الأوسط المعاصر. إن الكتاب -وهو يركز على الأحداث السياسية الكبرى للقرن العشرين- يستكشف أصول وطبيعة وتناقضات النزاعات التى حولت تلك المنطقة إلى منطقة عدم استقرار دائم.

إن الفصل الافتتاحى لهذا الكتاب يركز على القوة المحركة للتوسع الإمبريالى فى الشرق الأوسط، والذى بدأ فى أواخر القرن التاسع عشر، ويناقش تأثيره على المنطقة خلال هذه الفترة؛ إنه يوضح أن الدافع الأساسى للقوى الغربية للسيطرة على المنطقة كان الزيت، إن خط سكة حديد بغداد والذى تم إنشاؤه برأس مال أوروبى، قد لعب دوراً كبيراً فى استخراج وتوزيع هذا المورد الرئيسى، وغدا أداة فى تأكيد توسع الإمبريالية الغربية فى المنطقة، وقد صاحب ذلك تحطيم الصناعة الوطنية فى المنسوجات وقطاعات أخرى من الاقتصاد، وإخضاع وتطوير السكان المحليين لأوامر القوى الغربية، وإجمالاً فإن تأثير الإمبريالية الغربية على الإمبراطورية العثمانية والشرق الأوسط عامة كان تأثيراً مدمراً.

ويتعرض الفصل الثانى للكارثة التى تلت انهيار الإمبراطورية العثمانية خلال هذه الفترة من النهب والتدمير الإمبريالى: رد الفعل القومى المفرط والذى قاد إلى مذبحه الشعب الأرمنى، والتى كانت أول إبادة عرقية واسعة النطاق فى القرن العشرين، بينما

نجحت مجموعات اثنية أخرى متناثرة فى أركان الإمبراطورية فى الحصول على استقلالها، وكانت قادرة على تأسيس الدولة القومية الخاصة بها.

وقد أدى الوضع المتفرد للأرمن فى تركيا خلال هذه الفترة إلى منعهم من الحصول على وطن لهم، لقد كانت النتيجة بالنسبة للأرمن كارثية؛ إذ قتل حوالى ٢ مليون أرمنى فى تركيا العثمانية، منهم ٥ ١ مليون قتلوا بأوامر حكومية خلال سنوات قليلة، إن مصير الشعب الأرمنى بأيدي جلاديه الأتراك، والذي كان نتيجة صعود "تركيا الفتاة" فى أونة حاسمة، كان علامة على انهيار الإمبراطورية العثمانية، وكان فاتحة لصعود القومية والنزاع الاثنى، فى أماكن أخرى فى الشرق الأوسط، خلال مجرى القرن العشرين. وبينما أحدثت الثورة القومية فى الأقاليم القديمة للدولة العثمانية صراعا مضادا للإمبريالية قاد إلى الاستقلال القومى، فإن هذا لم يتحقق دون كبت الأقليات الاثنية، داخل تلك الأراضى القومية، كما حدث فى حالة الأرمن فى تركيا العثمانية، والأكراد فى العراق وسوريا وتركيا الحديثة.

ويقدم الفصلان الثالث والرابع تحليلاً للبعث القومى فى الشرق الأوسط خلال القرن العشرين. إن شعوب فلسطين ومصر وسوريا ولبنان والعراق ومناطق أخرى فى الشرق الأوسط قد أصرت -خلال نضالها ضد الاحتلال الغربى للأراضى العثمانية القديمة- على كسب استقلالها، وتأسيس سلسلة من الدول القومية عبر المنطقة فى منتصف القرن، ورغم أن قيادة مختلف الحركات الوطنية، التى شنت حربا ضد الإمبريالية الغربية، كانت مكونة من تنويع من القوى الوطنية تُصنف استراتيجيا فى بيروقراطية الدولة- مما جعل الهبات تتخذ شكل انقلاب عسكرى، أكثر منه ثورة اجتماعية- فإن القوى التى جاءت إلى السلطة، خلال هذه الفترة من البعث القومى، لعبت دوراً فى تشكيل المجرى المستقبلى لتطور الشرق الأوسط فى النصف الأخير من القرن العشرين. ولتابعة تلك التطورات فى أربعة مواقع بارزة فى المنطقة، تناول الفصل الثالث تركيا ومصر، وتناول الفصل الرابع حالتى سوريا والعراق- وهى بلدان كان لها، ومايزال تأثيرها على كل الشرق الأوسط.

ويتناول الفصل الخامس المسألة القومية فى الشرق الأوسط، مركزاً على النضالات الفلسطينية والكردية من أجل تقرير المصير القومى، إنه يدرس التجربة التاريخية للمجموعتين الاثنتين/ القوميتين من خلال جهودهما لضمان وطن لشعبيهما، عبر مجرى القرن العشرين. ويمكن -عند وضع هذه المشكلة فى منظور مقارن- معالجة المسألة القومية فى الشرق الأوسط، باعتبارها ميراثاً للحكم العثمانى والسياسة

الإمبريالية لما بعد الحرب العالمية الأولى، سياسة تقسيم الأراضي، إن اقتحام القوى الغربية للشرق الأوسط، واحتلال وتقسيم الأراضي العثمانية بين الدول الاستعمارية الأساسية عبر الشرق الأوسط قد أدى إلى تشتت الفلسطينيين والأكراد في المنطقة. إن تجزئة الوطن القومي للأكراد، وإزاحة الفلسطينيين بواسطة قوى الاحتلال الإمبريالية التي هيمنت على المنطقة لعقود، وقهر هذين المجتمعين القوميين بواسطة الدول التي حكمت تالياً لذلك، قد أدى إلى قمع حقوقها الشرعية في تقرير المصير القومي. إن بعثرة هاتين المجموعتين عبر أمم عدة في المنطقة، جعلهما ضحايا أنظمة إمبريالية وقومية، أحالتهما إلى مواطنين من الدرجة الثانية في مختلف دول الشرق الأوسط، لكن الفلسطينيين والأكراد، كما يوثق هذا الفصل يناضلون ثانية، إنهم يسيسون بصورة متزايدة، وينشطون في النضال من أجل الاستقلال، وتقرير المصير القومي.

ویدرس الفصل السادس النزاع العربي-الإسرائيلي، وهو نزاع ينبع من ميراث الإمبريالية الغربية. إن الحرب والاضطراب السياسي قد صارا النظام الذي يسود الحياة خلال العقود التي تلت إزاحة الفلسطينيين وإقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، إن الخطة البريطانية لتجزئة فلسطين، وترك أرض (عربية) أخرى في الشرق الأوسط في فترة ما بعد الحرب، قد أدت إلى نزاع أكبر في المنطقة، حيث غدت إسرائيل هي العدو للدول العربية التي تبنت القضية الفلسطينية في السنوات الأولى لما بعد الحكم الكولونيالي في المنطقة. إن قضية الوطن الفلسطيني، والتي لم تحل، غدت نقطة احتشاد القومية العربية، وأثارت النقمة والغضب بين العرب ضد إسرائيل.

وقد أدى هذا، بدوره، إلى رد فعل إسرائيلي ضد كل الدول العربية والحركة الفلسطينية وهي في حداتها. وقد أدى تصعيد النزاع بين الجانبين إلى حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، وإلى الحروب التالية، بما فيها حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، والغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢.

ويركز الفصل السابع على حرب الخليج، كنتاج للمنافسة الإمبريالية بين قوى إمبريالية كبرى، من أجل التحكم في زيت الشرق الأوسط، ويقال بهذا الخصوص إن المنافسة بين اليابان وألمانيا والولايات المتحدة قد بلغت ذروتها في صراع قوى إقليمية، عبرت عن نفسها في حرب الخليج، غير أن طبيعة هذه المنافسة للهيمنة على الاقتصاد السياسي العالمي طبيعة ذات جذور أعمق، وكما أن القوى الرأسمالية الصاعدة تحتاج إلى مداخل مباشرة لمصادر المواد الخام، وخاصة الزيت، فإن ألمانيا واليابان فرضتا بعد الحرب العالمية الثانية تهديداً جديداً للقبضة التقليدية للولايات المتحدة في الشرق

الأوسط. إن انحدار قوة الولايات المتحدة فى المنطقة بعد كارثة سقوط الشاه والتى سمحت بإمكان ظهور مركز قوى إقليمى جديد فى الشرق الأوسط، قد استدعت هذين المركزين البارزين كى يلعبا دوراً مباشراً فى الاقتصاد السياسى المتغير للمنطقة، لقد كان رد فعل الولايات المتحدة للعبة القوة المحلية هذه سريعاً حاداً، بلغ ذروته فى حرب الخليج التى شنتها الولايات المتحدة، وبينما أعاق هذا الفعل منافسيها فى حينه، فإن عودة دخول الولايات المتحدة إلى المنطقة فى التسعينيات جاءت ومعها مجموعة جديدة من التناقضات بدلاً من أن يؤدى مجيئها إلى حل مشاكل المنطقة، لقد أدى ذلك بالفعل إلى المزيد من تكثيفها، ومن ثم فتح الطريق إلى نزاع وأزمة متجددين فى الشرق الأوسط.

ويناقد الفصل الثامن -فى النهاية- طبيعة "النظام العالمى الجديد" فيما بعد الحرب الباردة، متناولاً احتمالات السلام فى الشرق الأوسط فى الفترة القادمة.

إن التطورات خلال العقد الماضى قد أنتجت -عبر الكون- ديناميكية جديدة فيما بعد السوفييت، وفيما بعد سياسات الحرب الباردة، وأثارت الالتباسات الناجمة عن المنافسات الجديدة، بين المراكز البارزة للقوى الكونية فى هذه الفترة القريبة للغاية، أثارت عدداً من الأسئلة فيما يتعلق بمستقبل التطور فى الشرق الأوسط: هل سيواصل الشرق الأوسط كونه يعيش مرحلة أساسية من النزاع والأزمة كما كان خلال العقود العديدة الماضية؟ أم، هل ستظهر ديناميكية جديدة تعيد تحديد البنيان السياسى للمنطقة، كما تعيد تحديد توازن القوى فى العقد التالى؟ هل يصل النزاع العربى الإسرائيلى الدائم إلى نهاية، مرة وإلى الأبد؟ أم، هل ستبزع قوى جديدة مصارعة، قوى ترسخ قبضتها على جماهير كل من المجتمعين مما يطيل الأزمة ويغمس المنطقة فى المزيد من الفوضى والإضطراب؟

وبتقديم بعض الإجابات على تلك الأسئلة وأسئلة أخرى مرتبطة بها، ينهى الكتاب تحليله التاريخى لديناميكات سياسة الشرق الأوسط فى السياق الجارى لتناقضات الاقتصاد السياسى، على أساس تقييم رؤى السلام والتقدم الاجتماعى فى تلك المنطقة، سريعة التقلب، من العالم.

الفصل الأول

تأثير الإمبريالية الغربية على الشرق الأوسط

كانت الإمبراطورية العثمانية، حتى بداية القرن العشرين، هي القوة الأساسية الكبرى في الشرق الأوسط، وبدأت الدولة العثمانية -بعد قرون من التوسع والقهر- في فقدان الأرض لقوى منافسة في أوروبا، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وغدت عرضة لضغوط غربية، وأصبح العرش العثماني في سرعة أضعف وأضعف، وكانت نتيجة ذلك أن عانى نفوذه في البحر المتوسط تآكلاً متصلاً^(١).

وقد أخذت روابط اقتصادية في النمو بين الإمبراطورية العثمانية، ومراكز الإمبريالية الغربية^(٢)، مع توسع رأس المال الأوروبي شرقي البحر المتوسط ملاحقاً المواد الخام والأسواق الجديدة، وظهرت لهذه التجارة المتنامية بين أوروبا الغربية وتركيا العثمانية خلال هذه الفترة آثار عكسية على الصناعة العثمانية المحلية المحددة الانتشار، وكانت الروابط العثمانية غير قادرة -وهي تواجه ارتفاع التكاليف والعمل في ظل قواعد سعرية صارمة- على تقديم سلع منخفضة الأسعار بما يكفي للمنافسة مع السلع المصنعة الرخيصة من أوروبا، والتي دخلت الإمبراطورية دون قيد^(٣). وكانت النتيجة دخول الصناعة العثمانية التقليدية مرحلة انحدار سريع، وغدت الإمبراطورية مقيدة أكثر فأكثر إلى، ومعتمدة على، الاقتصاديات الأوروبية.

إن عملية التوسع البريطانية (وتوسع دول أوروبية أخرى) في الاقتصاد العثماني، تسارعت في أعقاب الاتفاقية التجارية الأنجلوتركية لعام ١٨٣٨، والتي منحت مزايا خارج الحدود الإقليمية لكل التجار الأجانب، وألغت تعريفات النولة الجمركية الحمائية والاحتكارات، وقد أدى ذلك إلى قلب البنيان الاستيرادي- التصديري للإمبراطورية، وقاد إلى تحطيم صناعة المنسوجات في تركيا العثمانية وسرعان ما تأثرت فروع أخرى عديدة من الصناعة العثمانية، وغدت كل الصناعة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر على شفا الانهيار^(٤)، وقد حددت تلك التطورات نهاية التصنيع عن طريق القطاع التصنيعي، وهبطت الإمبراطورية بدلاً من ذلك إلى إنتاج المواد الخام التي تتحرك في اتجاه احتياجات الاقتصاد العالمي الذي تهيمن عليه أوروبا؛ وتحولت الإمبراطورية العثمانية تدريجياً، وقد تحطمت صناعاتها المحلية إلى احتياطي زراعي للاقتصاديات الرأسمالية للتوسع الأوروبي^(٥).

وغدت الإمبراطورية العثمانية، في نهاية القرن التاسع عشر، ومن أجل كل الأغراض العملية، غدت شبه مستعمرة للقوى التوسعية الغربية. كان اقتصادها مرهوناً للرأسماليين الأجانب ودولهم، ووقعت حركات تمرد وعصيان واسعة الانتشار عبر

أراضيها المقهورة، وظهرت مجموعات اجتماعية جديدة، بدأت فى طرح مشاكل حتى تواصل وجودها، إن كانت سيئة الطالع، فى ظل حكم السلاطين وبيروقراطية القصر.

ووجدت القوى الغربية، فى تلك المشاكل فرصة لتشق طريقها إلى الداخل عبر إجراءات تحكم اقتصادية مباشرة عبر الاحتلال العسكرى فيما بعد، الاحتلال العسكرى لأجزاء كبيرة من الأراضى العثمانية فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أفعال بلغت ذروتها فى الاحتلال الفعلى لكل ركن من الامبراطورية خلال الحرب العالمية الأولى^(٦).

وأعقب انهيار الإمبراطورية العثمانية فى نهاية الحرب احتلال بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، وقوى غربية أخرى، أراضيها، واستمرت متحكمة فى أقاليمها المختلفة لعقود عديدة. ويكتب روجر أوين: "إن هزيمة البريطانيين والفرنسيين للعسكرية العثمانية، خلال الحرب العالمية الأولى، أدى إلى تغيير جذرى عبر الشرق الأوسط كله".

لقد قُطعت الأقاليم العربية للإمبراطورية إلى عدد من الدول الوريثة، والتي كان كل منها تحت سيطرة واحدة أو أخرى من القوى المنتصرة؛ كانت سوريا ولبنان الجديدتان تحت السيطرة الفرنسية، والعراق وفلسطين وشرق الأردن الجديدة تحت السيطرة البريطانية^(٧).

ومن ثم، يواصل أوين: "كان البريطانيون والفرنسيون - فى وسط عشرينات القرن العشرين - هم سادة الشرق الأوسط".

لقد كانوا هم الذين حددوا كل الحدود الجديدة على وجه التقريب، وهم الذين قرروا من الذى يجب أن يحكم، وأى شكل من أشكال الحكومات يتم إقامته، وكانوا هم أيضاً - فى ارتباط مع الأمريكيين - من كان لهم الكلمة العليا فى الكيفية التى توزع بها المداخل إلى الموارد الطبيعية للمنطقة، وخاصة حقول البترول^(٨).

إن كثيراً من أراضى الإمبراطورية - من الخليج الفارسى إلى فلسطين إلى قنال السويس وشبه الجزيرة العربية وعبر شمال أفريقيا - غدت إجمالاً تحت سلطة بريطانيا وفرنسا وقوى غربية أخرى، لقد قسم هؤلاء الأرض فيما بينهم لتأمين طرق التجارة، والمواد الخام، والأسواق الجديدة للاقتصاد العالمى المتسع والذى تحكمه أوروبا.

خلفية تاريخية ..

منذ انحدار الإمبراطورية العثمانية وتصدعها فى أواخر القرن التاسع عشر غدا الشرق فى مركز الصراعات بين القوى الإمبريالية الأساسية للغرب، والتي كان هدفها السيطرة على الزيت اللازم لتغذية اقتصاداتها الرأسمالية المتسعة^(٩)، ومن ثم فإن تاريخ الشرق الأوسط فى القرن العشرين كما أشار جوستورك "مرتبط بجهود القوى الغربية لتحقيق سيطرة مطلقة على موارده وتجارتها -المورد الرئيسى هو الزيت. إن السيطرة الأوروبية (والأمريكية فيما بعد) على الزيت، قد تحققت عبر سلسلة من التنازلات للشركات الأوروبية^(١٠) وكانت النتيجة أن "غدت السيطرة على مصادر البترول هى البؤرة المهيمنة على المنافسة الغربية فى المنطقة، والقوة الدافعة الأساسية للقوى لإقامة سيطرة سياسية واقتصادية على المنطقة، والحفاظ على هذه السيطرة"^(١١).

لقد كانت بريطانيا وفرنسا هما القوتان الكبيرتان وراء اختراق الشرق الأوسط حتى نهاية القرن التاسع عشر، غير أنه منذ تلك النقطة وما تلاها ظهرت مصالح ألمانية متجددة فى المنطقة، أدت إلى تدفق هائل للرأسمال الألمانى^(١٢).

وقد كتب إالين جريش ودومينيك قيдал فى إشارة إلى المنافسة الكثيفة بين القوى الأوروبية الأساسية من أجل السيطرة على الشرق الأوسط:

إن ما كانت تسعى إليه باريس ولندن وبرلين والآخرين هو المواد الخام بأسعار رخيصة، واستثمارات مربحة لرأسمالهم، وأسواق لمنتجاتهم، وضمان خطوط مواصلات آمنة، ومن ثم، يجى تدفق رأس المال الأجنبى.

... وقد سيطرت أوروبا -من خلال هذا الغزو- على الأعمال المصرفية، ووسائل النقل والاتصال (السكك الحديدية والموانئ والطرق) والخدمات الرئيسية (المياه والغاز والكهرباء، والهاتف)، ومشروعات التعدين والزيت بالطبع.

ويكتب أدوارد ميدايرل فى دراسته الكلاسيكية الحالية "تركيا، القوى الكبرى، وخط بغداد للسكة الحديدية": دراسة فى الإمبريالية:

"إن المنطقة التى يقطعها خط بغداد للسكة الحديدية إنما هى استراتيجية واحدة من أهم مناطق العالم.

وكانت تركيا الآسيوية -فضلاً عن ذلك- ثرية، إنها تمتلك موارد واسعة فى بعض المواد الأكثر أساسية للصناعة الحديثة: المعادن، الوقود، شحوم

تزييت الآلات، مواد التآكل، وكانت ترسيباتها من الزيت تكفى وحدها لإثارة
جشع وطمع القوى الكبرى... كان من المتوقع أن تحقق الإمبراطورية
العثمانية مصدرا ثميناً لمواد خام أساسية، سوق مريض لمنتجات معدة،
ومجال ثرى لاستثمار رأس المال. لقد كانت الأرض التى يخدمها خط بغداد
للسكة الحديدية واحدة من أكثر المناطق غير المتطورة فى العالم^(١٤).

لقد دخلت القوى الرأسمالية الغربية الكبرى -خلال مجرى القرن العشرين- فى
منافسة للسيطرة على الزيت فى الشرق الأوسط، وهو سلعة أثبتت أنها حيوية لآلات
الصناعة فى الدول الرأسمالية المتقدمة والتى هيمنت على الاقتصاد العالمى، لقد تمت
خلال القرن الماضى ثلاث مراحل تاريخية للمنافسة فيما بين الإمبرياليين، بين القوى
الرأسمالية الرئيسية فى اقتصاد العالم، (١) المرحلة من العقد الأخير للقرن التاسع
عشر إلى الحرب العالمية الأولى، (٢) مرحلة ما بين الحربين من ١٩١٨ إلى ١٩٣٩
و(٣) مرحلة ما بعد الحرب، من عام ١٩٤٥ إلى حرب الخليج الفارسي عام ١٩٩١،
وتشتمل كل مرحلة من تلك المراحل على عدة أحوال وأشكال تتكون من: المنافسة،
الهيمنة، التحدى والحرب، إن المنافسات فيما بين القوى الاستعمارية فى المراحل الثلاث
قد أدت إلى حربين من أجل إعادة تقسيم العالم وإقامة مجالات نفوذ وتحكم للقوة
المهيمنة التى ظهرت منتصرة عند ختام هذه الدوائر الثلاث من النزاع والمنافسة على
النطاق العالمى، ويمكن تقسيم هذه الدوائر إلى مراحل، تكون هى وأحوالها وأشكالها
المختلفة كما يلى:

[١] المرحلة الأولى: من ١٨١٨ إلى ١٩١٤- من قمة الإمبريالية البريطانية فى
العقود الختامية للقرن التاسع عشر إلى المنافسة بين القوى
الرأسمالية الأساسية (بريطانيا، فرنسا، ألمانيا، والولايات
المتحدة) خلال العقد الأول من القرن العشرين علاوة على
خسائر انهيار الإمبراطورية العثمانية والتى أدت إلى الحرب
العالمية الأولى.

[٢] المرحلة الثانية: من ١٩١٨ إلى ١٩٣٩ -سنوات ما بين الحربين- والتى سعت
خلالها القوى المنتصرة (بريطانيا، وبصورة أقل فرنسا) إلى
فرض سيطرتها ونفوذها على الاقتصاد العالمى، ومدت
حكمها الإمبريالى على أرض واسعة، عبر شمال أفريقيا،
والشرق الأوسط، حتى الخليج الفارسي وشبه الجزيرة

العربية، وقد أدت هذه المرحلة من الهيمنة البريطانية والفرنسية إلى صعود التحدي الألماني والياباني مما أدى في النهاية إلى الحرب العالمية الثانية.

[٣] المرحلة الثالثة: من ١٩٤٥ إلى ١٩٩١ -مرحلة ما بعد الحرب- والتي ظهرت فيها الولايات المتحدة باعتبارها القوة العظمى الرأسمالية الوحيدة، وهي قد هيمنت على اقتصاديات منافسيها الرأسماليين الأساسيين في القرن العشرين، ومن ثم منحها ذلك وضعاً غير مسبوق في الاقتصاد العالمي، إذ تحكمت في جزء جوهري من الموارد والثروة العالمية عبر هيمنة نيوكولونيالية.

وقد غدت الولايات المتحدة -في المرحلة منذ حرب الخليج الفارسي عام ١٩٩١- الحكم الوحيد للنزاعات والأزمات في الشرق الأوسط، وقد زاد دور الولايات المتحدة، في المنطقة بصورة واسعة، مع انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، وانهيار نفوذه السابق في شئون الشرق الأوسط.

دعونا -للوصول إلى فهم أفضل لتأثير الإمبريالية الغربية على الشرق الأوسط خلال القرن الماضي- دعونا نلقي نظرة أكثر قرباً على ديناميكات وتناقضات كل من تلك المراحل داخل سياق التحولات الاجتماعية والسياسية التي جرت في تلك المنطقة حتى وقتنا الراهن.

المرحلة الأولى: ١٨٨٨ إلى ١٩١٤

إن المرحلة الأولى للمنافسة ما بين القوى الاستعمارية، القوى الرأسمالية الكبرى في العالم- المرحلة منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى الحرب العالمية الأولى- شاهدت دخول القوى الرأسمالية الغربية إلى الشرق الأوسط وسلب ونهب الإمبراطورية العثمانية.

ويكتب أ.م. إيرل مشيراً إلى "حقبة العقود الثلاثة" التي تغطي المرحلة من ١٨٨٨ إلى ١٩١٨، "إن تاريخ تلك العقود الثلاثة، مهتم بصورة كبيرة بصراعات الرأسماليين الأوروبيين للحصول على تنازلات مربحة في تركيا الآسيوية، وبصراعات الدبلوماسيين الأوروبيين للتحكم في الشئون المالية والطرق الحيوية للمواصلات، بل وحتى القوى الإدارية للحكومة العثمانية^(١٥).

إن التطابق بين الدوافع الاقتصادية للمستثمرين والدوافع السياسية والاستراتيجية لرجال الدولة جعل تركيا واحدة من مناطق الاحتكاك الإمبريالي المتقدمة، إن أراضيها وثرواتها كانت "ركائز دبلوماسية" ناورت من أجلها مجالس وزراء فوق لوحة الداما الدبلوماسية، وحارب من أجلها زهرة بشرية العالم فوق رمال ما بين النهرين^(١٦).

ويستمر إيرل ليدل على "وجود الزيت بكميات كبيرة فيما بين النهرين"، كما تتميز المنطقة -طبقاً لتقرير صادر عام ١٩٠١ عن لجنة فنية ألمانية حول موارد البترول فيما بين النهرين- باعتبارها «بركة حقيقية من البترول»، ذات إمداد يكاد لا ينضب^(١٧).

وقد حصل بنك دويتش من برلين، وهو منشئ خط بغداد للسكة الحديدية على امتياز إجراء مسح شامل لحقول الزيت في وديان دجلة والفرات، مع حرية الاختيار في إطار عام للدخول في عقد مع الحكومة العثمانية لاستغلال هذه الآبار.

وحدث بعد ذلك بوقت قصير أن غدا نائب قائد أسطول الولايات المتحدة الأميرال كولبي م. شستر، مهتماً بتنمية صناعة الزيت في تركيا الآسيوية...

هنا، إذن، في الشرق الأدنى، كانت توجد إمبراطورية في انتظار استغلالها بواسطة رأس المال الغربي والمهارة الفنية الغربية^(١٨).

ويواصل إيرل، "وقد صاحب إنشاء الرأسماليين الألمان للسكة الحديدية الأناضولية، توسع هام للمصالح الاقتصادية الألمانية في الشرق الأدنى^(١٩)" ويكتب أيضاً "إن اقتفاء التجار الألمان أثر الماليين الألمان في الإمبراطورية العثمانية كان أمراً متوقعاً، إن بنك دويتش -راعى السكة الحديدية الأناضولية- كان نشطاً بصورة ملحوظة في تقديم التجارة الألمانية^(٢٠).... من ثم فإنه عبر مغامرات أعمال متنوعة، وعقود حكومية، جاء رأس المال الألماني مع نهاية القرن ليحصل على وضع في الإمبراطورية العثمانية.

إن القائمين على التسويق ورجال البنوك والتجار والمهندسين وصناع النخائر ومالكي السفن وبناء السكك الحديدية كانوا كلهم يلعبون دورهم في وضع أساس ضروري لمزيد من التوسع للمصالح الاقتصادية الألمانية في الإمبراطورية العثمانية^(٢١).

إن الجائزة الكبرى للإمبريالية الألمانية في الشرق الأوسط لم تكن على أي حال هي خط بغداد للسكة الحديدية والتنازلات التي ارتبطت به في حد ذاتها، ولا كانت العمليات

التجارية والمصرفية الهائلة التي نتجت عن إقامة خط السكة الحديدية، لقد كان خط بغداد للسكة الحديدية هو العربة التي يمكن أن تيسر المدخل الألماني إلى استغلال حقول الزيت الواسعة في وادي ما بين النهرين، من الموصل إلى بغداد إلى الخليج، إنها الأرض التي توجد العراق اليوم عليها.

وقد انتهى النفوذ الألماني في الشرق الأوسط، حيث استنفدت المنافسة بين القوى الاستعمارية الكبرى نفسها في المرحلة النهائية من الانهيار العثماني خلال الحرب العالمية الأولى، وحيث فرضت اتفاقية فرساي تصفية الاستثمارات الأجنبية الخاصة بما في ذلك خط بغداد للسكة الحديدية، وبدأت الولايات المتحدة -بينما يصارع الفرنسيون والبريطانيون للكسب من خسائر الأمبراطورية العثمانية، وأخذ غالبية أراضيها وتحويلها إلى بلاد تحت الانتداب- بدأت تلعب دوراً نشطاً في المجالات التجارية والمالية في الشرق الأوسط وخاصة في مجال استخراج البترول.

وقد لعبت تنازلات شستر دوراً هاماً في توسيع مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، فقد "منح" مؤسسو خطوط شستر للسكك الحديدية "حقوقاً مطلقة لاستغلال كل مصادر الثروة التعدينية، بما في ذلك الزيت الممتد داخل منطقة ٢٠ كيلو متراً على جانبي خط السكة الحديدية"^(٢٢) يضاف إلى ذلك أن حقول زيت الأناضول الشرقية كانت قد طُرحت كمشروع "يوفر موارد غنية من مخزون المواد الخام"، كما طُرِح أيضاً أنه "عند إقامة السكك الحديدية والموانئ وخطوط الأنابيب فإنه (سوف) يكون هنالك طلب هام على منتجات الصلب الأمريكية"^(٢٣)، ومن ثم، فقد أشار إيرل في باكورة العشرينيات من القرن العشرين إلى:

"إن التنمية الاقتصادية للمنطقة الواسعة التي ستمر عبرها السكة الحديدية الجديدة، تُعد بتجهيز سوق للمنتجات الأمريكية مثل الآلات الزراعية، وكذا تقديم فرصة وافرة لاستثمار مريح لرأس المال الأمريكي، إن مشروع شستر يمكن أن يصبح بحق مشروعاً جليلاً في المرتبة الأولى"^(٢٤)

ولمقاومة هذا التحدي الأمريكي للسيطرة والهيمنة الأوروبية على الشرق الأوسط، عادت بريطانيا وفرنسا إلى الظهور باعتبارهما القوة المهيمنة، فعززا سيطرتهم على المنطقة متجاوزتين الوجود الألماني هنالك، مع إخضاع وكبح تحدي الولايات المتحدة للهيمنة البريطانية، وهي حالة وضعت معايير المنافسة ما بين القوى الاستعمارية في الشرق الأوسط، في المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: ١٩١٨ إلى ١٩٣٩

إن المرحلة الثانية من المنافسات بين القوى الاستعمارية -القوى الرأسمالية الأساسية في العالم- المرحلة التي تُحدد عامة باعتبارها مرحلة ما بين الحربين، دخلت حقبة من الكولونيالية والتجزئة الكلية للشرق الأوسط من الخليج الفارسي إلى شواطئ شرقي البحر المتوسط.

لقد كانت إنجلترا قادرة من موقع قوتها على اختطاف الشريحة الكبرى من الكعكة العثمانية بعد هزيمة الأتراك وحلفائهم الألمان. إن الأراضي التي خصصت بعد الحرب العالمية الأولى للإدارة البريطانية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، طبقاً لاتفاقية سيكس- بيكو، اشتملت على ما يطلق عليه الآن إيران والعراق والأردن وموانئ حيفا وعكا في فلسطين، وبالمثل انتداب الأخيرة والتي يجب أن تضاف إليها الممتلكات البريطانية في مصر والسودان والجزيرة العربية والخليج^(٢٥).

وبذا- فإنه بنهاية الحرب العالمية الأولى- أصبح لبريطانيا قبضة عسكرية على العديد من الأراضي العربية التي كانت تحت الحكم العثماني فيما سبق، بما في ذلك ما بين النهرين... إن تقسيم الأراضي العربية بين بريطانيا وفرنسا الذي جاء في أعقاب الحرب العالمية الأولى... كان يقينا، واحداً من أكثر ممارسات القوى الإمبريالية سيئة السمعة... وهي التي حددت [مع] المصالح المرتبطة بالزيت الخطوط النهائية لخريطة الشرق الأوسط^(٢٦).

ومن ثم، فإن بريطانيا ومعها فرنسا كشريك أصغر أقامت هيمنتها بصورة فاعلة على أراضى ممتدة من الإمبراطورية العثمانية، وأمنت مدخلاً مباشراً إلى حقول الزيت، وبذا تحكمت في خط حياة الآلة الصناعية لأوروبا الغربية وبلدان عديدة على امتداد العالم^(٢٧). إن الإمبريالية البريطانية -وهي تمارس انتداباً مباشراً فوق الأرض والموارد وشعوب الشرق الأوسط- ضمنت وضعها القيادي في هذا الجزء من العالم باعتبارها القوى العظمى الوحيدة المسلم بها لمدة عقدين تقريباً.

وجهت بريطانيا العظمى -في أكتوبر ١٩١٨- ضرباتها النهائية في حملة باهرة كسبت من خلالها السيادة على العالم العربي، ولم تعد الإمبراطورية العثمانية هي: سوريا وفلسطين وشرق الأردن والعراق، إذ غدت جميعها تحت السيطرة البريطانية، وكانت العراق هي الجائزة الكبرى، وربما الأغنى في الحرب حيث كانت توجد بها احتياطات واسعة من الزيت، احتياطات لم تستخرج بعد^(٢٨).

إن بريطانيا -وهي تسعى لممارسة سيادتها على الشرق الأوسط ومناطق أخرى من العالم- غدت وجهاً لوجه مع تحدٍ جديد لحكمها، أولاً: تحدٍ من ألمانيا من خلال عمل عسكري كثيف أدى إلى الحرب العالمية الثانية، ثم بعد ذلك تحدٍ من الولايات المتحدة عند نهاية الحرب. إن الولايات المتحدة وهي تهزم منافستها ألمانيا -عند نهاية الحرب- بدأت تحل محل بريطانيا باعتبارها القوى العظمى الرأسمالية القائدة، محددة طبيعة وديناميكات الاقتصاد السياسى الكونى للمرحلة الثانية.

المرحلة الثالثة: ١٩٤٥ إلى ١٩٩١

تمتد المرحلة الثالثة للمنافسة فيما بين القوى الاستعمارية، من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى حرب الخليج الفارسي عام ١٩٩١ -الحقبة التى يشار إليها عادة بمرحلة ما بعد الحرب. وقد ظهرت الولايات المتحدة فى هذه المرحلة الثالثة من المنافسة الكونية باعتبارها القوة الغربية القائدة، وهي قد مدت تحكمها ونفوذها ليس فقط فوق أوروبا والحوض الباسفيكى- ولكن أيضاً فوق الشرق الأوسط والخليج الفارسي.

وقد ضمنت الولايات المتحدة -فى الحقبة التالية لنهاية الحرب العالمية الثانية- وضعاً مهيمناً فى الشرق الأوسط، إن دخولها العنيف فى المنطقة "أنهى أكثر من قرن ونصف من السيطرة [البريطانية] فى الشرق الأوسط... وكان على لندن أن تتحمل تكلفة المنافسة، ليس من جانب فرنسا التى أزيحت أيضاً من المنطقة ولكن من الولايات المتحدة؛ لقد كان صعود الأخيرة إلى السلطة متناسباً تناسباً عكسياً مع انحدار بريطانيا^(٢٩).

وقامت الولايات المتحدة مع تحول الأراضى التى كانت تحت الانتداب البريطانى سابقاً ومناطق النفوذ من فلسطين إلى إيران إلى شعب الجزيرة العربية، قامت مع تحول تلك الأراضى إلى يديها بغزوات فى حقول زيت الشرق الأوسط ومنطقة الخليج مقيمة سلسلة من الدول الوكيله التى تميل إلى الولايات المتحدة النيوكولونىالية الممتدة من تركيا إلى إسرائيل إلى إيران إلى العربية السعودية، وقد ضمنت الولايات المتحدة -بمثل تلك القبضة القوية الحازمة على مثل تلك الدول الموالية الأساسية فى المنطقة- ضمنت تحكمها الجيوبوليتيكي على المنطقة، وقد أمنت مدخلها إلى، واستغلالها لمصادر الزيت الواسعة فى الشرق الأوسط، ومن ثم التحكم فى سلسلة استراتيجيه حيوية للآلة الصناعيه للاقتصاديات الرأسمالية المتقدمة^(٣٠).

وقد مددت الولايات المتحدة فى الخمسينيات فى القرن العشرين سيطرتها على كل منطقة الشرق الأوسط عبر: (١) مبدأ ترومان الذى قيد اليونان وتركيا إلى المصالح الأمريكية؛ (٢) روابط مع الدولة الإسرائيلية حديثة التكوين باعتبارها نقطة أمامية للولايات المتحدة؛ (٣) نقل التحكم فى آبار الزيت من الشركات البريطانية إلى شركات الزيت الأمريكية فى العربية السعودية؛ (٤) هندست الى آى إيه قلب نظام مصدق فى إيران وإقرار الشاه فى السلطة باعتباره دمية للولايات المتحدة الذى يشرف على تدفق الزيت من الخليج الفارسى.

وسعت الولايات المتحدة -خلال الفترة من باكورة الخمسينيات حتى نهاية السبعينيات من القرن العشرين- إلى ممارسة هيمنتها لما بعد الحرب فى الشرق الأوسط من خلال نقلات ضخمة من الأسلحة والمساعدات العسكرية إلى تركيا وإسرائيل والعربية السعودية وإيران، لتقف ضد كل من الاتحاد السوفيتى ومنافسيها الرأسماليين الأساسيين -بريطانيا وفرنسا وألمانيا واليابان- وكان هؤلاء المنافسون هم الأكثر أهمية.

إن المنافسات فيما بين القوى الاستعمارية والتي غدت مرئية فى تدفقات تجارة الوارد- الصادر والتي بدأت فى منتصف سبعينيات القرن العشرين كانت تتم بين القوى الرأسمالية الأساسية فى مواجهة المركزين المتنافسين اللذين يتمتعان بقوة إقليمية فى الشرق الأوسط (إيران والعراق) واللذين يتحكمان فى مصادر هامة للزيت، مصادر حيوية لاقتصاديات البلدان الرأسمالية المتقدمة^(٣١).

إن هيمنة الولايات المتحدة فيما بعد الحرب فى الشرق الأوسط قد جاءت فى ظل ضغط متزايد مع سقوط شاه إيران وصعود الأصولية الإسلامية عبر المنطقة فى أواخر السبعينيات من القرن العشرين، وكذا عبر الثمانينيات من القرن العشرين^(٣٢) وبينما قادت العداوات المستمرة بين إيران والعراق إلى حرب الخليج الأولى عام ١٩٨٠ -حرب دامت قرابة عقد- لحسم مسألة القوة الإقليمية فى الشرق الأوسط فإنها أدت أيضاً إلى مراجعة الانحيازات الإقليمية للقوى المتنافسة الإمبريالية المرتبطة بالصراع من أجل التحكم فى زيت الشرق الأوسط والتي بلغت ذروتها فى حرب الخليج الفارسى عام ١٩٩١، إن التدخل العسكرى الضخم للولايات المتحدة فى العربية السعودية والغزو التالى لذلك للعراق اختزل القوة العسكرية العراقية فى المنطقة وعمل باعتباره زاجراً للمنافسين الرأسماليين الأساسيين للولايات المتحدة والذين كانوا قد استعانوا بالعراق كى ترعى مصالحهم الاقتصادية فى الشرق الأوسط.

"النظام العالمى الجديد" لما بعد ١٩٩١

وتأثيره على الشرق الأوسط

أعلنت الولايات المتحدة بعد هزيمة العراق فى حرب الخليج الفارسي عام ١٩٩١ وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى فى أول التسعينيات من القرن العشرين، أعلنت "نظاماً عالمياً جديداً" يلزم أن تقر فيه كل الأطراف بسيادة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط". ويكتب حاييم بريشيت ونيرا يوفال- دافيس: "كانت هذه هى الحرب الأولى التى لم تلعب فيها الولايات المتحدة فقط دوراً جيد التخطيط حددته لذاتها -دور رجل الشرطة العالمى- لكنها كلفت أيضاً المجتمع العالمى بأجرة خدماتها^(٢٣) ثم يضيفان:

إن مناوراتها [الولايات المتحدة] فى مجلس الأمن ومعارضتها الحادة لآى وسائل سلمية لحل النزاع يمكن أن تكون علامة على نظام جديد للأشياء... فإن كان الأمر كذلك، فإن هذه العلامة تحمل معها رسالة تبصير لسكان البلدان النامية والتى تعاني المجاعة والمديونية فى الجنوب، رسالة مصاعب إضافية هى الكدح والجوع فى ظل نظام تحكم عالمى أحادى القطبية^(٢٤).

لقد وجدت الولايات المتحدة، مع العصف بالقوة السوفيتية وزجر القوى المنافسة، وجدت أن احتكارها الجديد للقوة الذى نالته أمراً مريحاً بما يكفى لتعيد رسم حدود سياسة القوة الكبرى فى الشرق الأوسط، تلك الإعادة التى جاءت إلى المنطقة بمناخ التوتر والحيرة والالتباس.

إن دور الولايات المتحدة فى المنطقة خلال تسعينيات القرن العشرين غدا أكثر سيولة، عندما تكثف الصراع العربى الإسرائيلى عبر نهوض الأصولية الإسلامية فى "الأراضى المحتلة"، إن النقل المحدود النهائى لتلك الأراضى للفلسطينيين عبر مجرى العقد لم يؤد إلى السلم المنتظر، حيث إن الاضطراب السياسى الموروث منذ انتفاضة أواخر الثمانينيات من القرن العشرين فى غزة والضفة الغربية، والقمع الإسرائيلى المتواصل والتجاوزات الإمبريالية للولايات المتحدة أثارت المزيد من لهب السخط والاستياء، وبذلك أصبح "النظام العالمى الجديد" كلمة شفرية لكل جديد من التحكم والهيمنة الإمبريالية على الشرق الأوسط تحت حماية ورعاية الولايات المتحدة باعتبارها القوة الإمبريالية الأساسية فى أواخر القرن العشرين^(٢٥).

إن ازدياد أعمال العدوان في الجنوب اللبناني والأزمة السياسية المتصلة في قبرص والاضطراب المتواصل في غزة والضفة الغربية والناتج عن بناء مستوطنات جديدة في أورشليم الشرقية، وبالمثل الحالة السياسية التي تنطوي على صراعات قوى لا تحل، صراعات داخلية وخارجية بالنسبة للمنطقة، قد وضعت الشرق الأوسط مرة أخرى في مقدمة نزاع واضطراب سياسى وأدت إلى المزيد من سفك الدماء والموت في المرحلة القريبة للغاية.

إن الغزو الإسرائيلي الأخير لجنوب لبنان والقتل بلا تمييز للمدنيين في ذلك البلد يثيران أسئلة جديدة حول طبيعة دور إمبريالية الولايات المتحدة والتي استخدمت حلفاء الجناح اليميني كقوة شرطة إقليمية للتحكم في الشرق الأوسط والهيمنة عليه في نهاية القرن العشرين.

الهوامش

[1] Roger Owen, *State, Power and Politics in the Making of the Modern Middle East* (London: Routledge, 1992), pp. 8-11.

[١] روجر أوين: "الدولة، القوة والسياسة في صنع الشرق الأوسط الحديث" (لندن: روتليدج، ١٩٩٢) ص. ٨-١١.

[٢] الإمبريالية هي الهيمنة الاقتصادية والسياسية والعسكرية لأمة على أخرى، بغرض تحقيق ربح مالى، بينما يمكن أن تُعرف الإمبريالية وتُحدد تاريخياً وبصورة عامة، في تلك العبارات (مثال ذلك، يمكن تطبيقها على الامبراطورية العثمانية) فإن الإمبريالية الحديثة تُعرف وتُحدد باعتبارها المرحلة الاحتكارية للرأسمالية، والتي تغطي المرحلة من أواخر القرن التاسع عشر عبر القرن العشرين حتى الآن، إن إمبريالية الزمن الحالى -مثلها مثل الكولونيالية- تشتمل على استغلال أو قهر أمة وسكانها وأرضها ومواردها لأغراض الربح، غير أنها لا تماثل الكولونيالية، والتي تستلزم حكماً مباشراً سياسياً/عسكرياً، والإمبريالية المعاصرة تعنى ضمناً تحكم وهيمنة أمة ما بواسطة أساليب غير مباشرة عبر واسطة من مؤسسات ضخمة كونية متنوعة.

[3] E.M. Earle, *Turkey, The Great Powers, and the Bagdad Railway: A Study in Imperialism* (New York: Russell & Russell, 1966), p.13; T. Cavdar, "Cumhuriyet Devri Baslarken Turkiye Ekonomisi" (The Turkish economy at the beginning of the republican era), in *Turkiye Ekonomisinin 50 Yili Semineri* (Bursa: I. ve T.I. Akademisi, 1973), p.62.

[٣] أ.م. إيرل. تركيا، القوى الكبرى، وخط بغداد للسكة الحديدية: دراسة في الإمبريالية" (نيويورك: روسل وروسل، ١٩٦٦) ص. ١٣.

ت. كاقدار "الاقتصاد التركي في بداية الحقبة الجمهورية": ١٩٧٣، ص. ٦٢.

[4] O.C. Sarc, "Ottoman Industrial Policy, 1840-1914," in *The Economic History of the Middle East, 1800-1914*, ed. Charles Issawi (Chicago: University of Chicago Press, 1966) pp. 52-55

[٤] أ.س. سارك، "السياسة الصناعية العثمانية، ١٨٤٠-١٩١٤" في التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط" تحرير شرلز عيسوى (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٦٦)، ص. ٥٢-٥٥

[5] Resat Kasaba, *The Ottoman Empire and the World Economy- The Nineteenth Century* (Albany: State University of New York Press, 1988), chaps. 2 and 3. See Huseyin Ramazanoglu, "A Political Analysis of the Emergence of Turkish Capitalism, 1839-1950," in *Turkey in the World Capitalist System*, ed. H. Ramazanoglu (Aldershot, U.K.: Gower, 1985), pp. 49-54.

[٥] ريسات كاسابا، "الإمبراطورية العثمانية والاقتصاد العالمى - القرن التاسع عشر (البانى: مطبعة جامعة الدولة بنيويورك، ١٩٨٨) الفصول ٢، ٢ إن ذلك، على أى حال، لا يعنى حصاراً تاماً للتنمية الرأس مالية فى تركيا، ولكن وقفة مؤقتة فى تطور البورجوازية الصناعية الوطنية التركية، إن الرأس مالية المحدودة التى تطورت فى الإمبراطورية منذ أواسط القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين قد نتجت من خلال الأقلية العثمانية البورجوازية التجارية كوسيط.

أنظر حسين رامازانوجلو "تحليل سياسى لظهور الرأس مالية التركية ١٩٢٩ - ١٩٥٠، فى تركيا فى النظام الرأسمالى العالمى"، تحرير ح. رامازانوجلو (إلرشوت) المملكة المتحدة جوير، ص. ٤٩-٥٤.

[٦] أوين، الدولة، القوة والسياسة فى صنع الشرق الأوسط الحديث، ص. ٨-١١.

[٧] المصدر السابق ص. ٩.

[٨] المصدر السابق ص. ١٠-١١.

[9] T. Cavdar, Osmanlilarin Yari Somurge Olusu (The semicolonization of the Ottomans) (Istanbul: Ant Yayinlari, 1979)

[٩] ت كافدار "التحول العثمانى إلى شبه الكولونىالية" (اسطمبول أنت يايينلارى، ١٩٧٠).

[10] Joe Stork, Middle East Oil and the Energy Crisis (New York: Monthly Review Press, 1975), p. 7.

[١٠] جو ستورك، "زيت الشرق الأوسط وأزمة الطاقة" (نيويورك. مونتلى ريفيو برس، ١٩٧٥)، ص. ٧.

[١١] المصدر السابق ص. ٨.

[12] D.C. Blaisdell, European Financial Control in the Ottoman Empire (New York; Columbia University Press, 1929).

[١٢] د.س. بلايسدل، "التحكم المالى الأوروبى فى الامبراطورية العثمانية" (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، ١٩٢٩).

[13] Alain Gresh and Dominique Vidal, eds., An A to Z of the Middle East (London: Zed Books, 1990), p.141.

[١٣] ألان جريش ودومينيك فيدال، "ألف باء الشرق الأوسط" (لندن: كتب زد، ١٩٩٠)، ص. ١٤١.

[١٤] إيرل، تركيا، القوى الكبرى وخط بغداد للسكة الحديدية ص. ٤-٥.

[١٥] المصدر السابق ص. ٧-٨.

[١٦] المصدر السابق، ص. ٨.

[١٧] المصدر السابق، ص. ١٥.

[١٨] المصدر السابق، ص. ١٥، ١٧.

[١٩] المصدر السابق، ص. ٢٦.

[٢٠] المصدر السابق، يواصل إيرل ليشير إلى: "احتوت التيمس اللندنية فى ٢٨ أكتوبر ١٨٩٨ على عرض له شأنه لوضع المشروع الألمانى فى الامبراطورية العثمانية خلال العقد السابق مباشرة، حيث كانت

الشنون المالية والتجارية لتركيا (العثمانية) خلال السنوات العشر الماضية محتكرة عملياً بواسطة فرنسا وبريطانيا العظمى، والألمان الآن هم المجموعة النشطة للغاية في القسطنطينية وآسيا الصغرى: المصدر السابق ص ٢٧، وبصورة أكثر تحديداً فإن الشركة الألمانية لبناء السفن والمملكة لكروب، كانت تعد طوربيدات للأسطول التركي، وكانت لودويج لوي أند كومباني في برلين تمد الآلة العسكرية للسلطان بالأسلحة الصغيرة، كانت كروب -من إس- تشارك أرمسترونج وأمر احتياجات المدفعية... وقد أسست عام ١٨٩٩ مجموعة من المالين الألمان "بنك دويتش بالاستينا" والذي سار في طريق إنشاء فروع له في بيروت ودمشق وغزة وحيفا ويافا وأورشليم ونابلس والناصرية وطرابلس في سوريا، المصدر السابق.

[٢١] المصدر السابق.

[٢٢] المصدر السابق، ص ٢٤١

[٢٣] المصدر السابق، ص ٢٤٣

[٢٤] المصدر السابق.

[٢٥] جريش وقيدال، محرران، "ألف باء الشرق الأوسط" ص. ٥٢

[٢٦] ستورك، "زيت الشرق الأوسط وأزمة الطاقة" ص ١٤٠

[27] Daniel Yergin, The Prize: The Epic Quest for Oil, Money, and Power (New York: Simon & Schuster, 1991).

[٢٧] دانييل يرجين، "الجائزة: الحاجة الملحة للزيت والنقود والقوة (نيويورك: سيمون وشوستر، ١٩٩١).

[28] William Stivers, Supremacy and Oil; Iraq, Turkey, and the Anglo- American World Order, 1918- 1930 (Ithaca: Cornell University Press, 1982), p. 15.

[٢٨] ويليام ستيفرز، "السيادة والزيوت، العراق، تركيا، والنظام العالمي الأنجلو أمريكي، ١٩١٨ - ١٩٣٠" (إيتاكا: مطبعة جامعة كورنيل، ١٩٨٢)، ص. ١٥

[٢٩] جريش وقيدال، محرران، "ألف باء الشرق الأوسط"، ص. ٥٤

[٣٠] أصبحت الولايات المتحدة في عام ١٩٤٨ متحكمة في أكثر من نصف إنتاج الزيت في الشرق الأوسط.

[٣١] شكلت صادرات الزيت أكثر من ٩٠٪ من إجمالي صادرات إيران والعراق خلال العقدين الماضيين، وقد شكلت صادرات الزيت عام ١٩٩٠، ٩٢٪ من إجمالي صادرات إيران و ٤٠٪ من إجمالي صادرات العراق، أنظر "منظمة البلدان المصدرة للبترول، النشرة الإحصائية السنوية للوبيك. ١٩٩١ (فيينا: أوبك، ١٩٩٢)، ص. ٨

[32] Farideh Farhi, "Class Struggles, the State, and Revolution in Iran," in Power and Stability in the Middle East, ed. Berch Berberoglu (London: Zed Books, 1989); Cyrus Bina and Hamid Zangeneh, eds., Modern Capitalism and Islamic Ideology in Iran (New York: St. Martin's Press, 1992).

[٣٢] فريده فارحي، "النضالات الطبقية، الدولة والثورة في إيران، في القوة والاستقرار في الشرق الأوسط." تحرير بيرش بيربروجلو (لندن: كتب زد، ١٩٨٩): سيروس بينا وحميد زانجينه، محرران، "الراسمالية الحديثة والأيدولوجية الإسلامية في إيران" (نيويورك، مطبعة القديس مارتين، ١٩٩٢).

[33] Haim Bresheeth and Nira Yuval-Davis, introduction to *The Gulf War and the New World Order*, ed. Haim Bresheeth and Nira Yuval-Davis (London: Zed Books, 1991). p.1

[٢٢] حاييم بريشيت ونيرا يوفال دافيس، "مقدمة" حرب الخليج والنظام العالمى الجديد" تحرير حاييم بريشيت ونيرا يوفال دافيس (لندن: كتب زد، ١٩٩١) ص ١

[٢٤] المصدر السابق.

[٢٥] المصدر السابق.

الفصل الثانى

**القومية، النزاع الاثنى، والاضطراب السياسى فى
الشرق الأوسط فى باكورة القرن العشرين**

لقد كان لانحدار وسقوط الإمبراطورية العثمانية فى أوائل القرن العشرين تأثير عميق على شعب تركيا العثمانية، وخاصة على المجموعات الاثنية (اليونانيين واليهود والأرمن) والتي كانت قد حققت وضعاً هاماً فى المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع العثماني، وقد كانت المجموعة الأرمنية هى أبرز تلك المجموعات.

إن انحدار الإمبراطورية العثمانية -والذى لعب الغرب الإمبريالي فيه دوراً أساسياً- أدى إلى صعود رد فعل سياسى محافظ متطرف، رد فعل انتقى الأرمن كبش فداء لأمراض المجتمع العثماني، وفقد، فى سنوات قليلة من الحرب والاضطراب السياسى عبر الإمبراطورية، فقد أكثر من ١.٥ مليون أرمني حياتهم فى فتن ومذابح مخططة، ومسيرات إجبارية، ونفى وإبعاد عام ١٩١٥.

إن هذا الفصل يدرس نهوض القومية والنزاع الاثنى والاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط، مع التركيز على المجتمع الأرمني فى تركيا العثمانية فى أوائل القرن العشرين^(١)، إنه يوضح أن نهوض القومية التركية كان رد فعل للإمبريالية الغربية (التي عجلت بانحدار وسقوط الإمبراطورية العثمانية)، وأن العدوانات التي تلت ذلك موجهة نحو الأقليات الاثنية وخاصة الأرمنية- قادت إلى الإبادة العرقية الواسعة الأولى فى القرن العشرين.

دور الأقليات الاثنية فى المجتمع العثماني

لقد لعبت الأقليات الاثنية -المكونة من الأرمن واليونانيين واليهود ومجموعات قومية عديدة أخرى موجودة عبر الإمبراطورية- لعبت دوراً هاماً فى البنيان الاجتماعى العثماني. كان اليونانيون والأرمن واليهود إلى مدى أقل متمركزين أساساً فى اسطنبول وأزمير، وكان لهم بالفعل دور قيادى فى التجارة والمالية العثمانية فى أواخر القرن الثامن عشر^(٢)، وقد نما السكان الاثنين فى الحجم عبر العقود، واتجه وضعهم نحو المزيد من التحسن، وبدأوا يلعبون دوراً مهيمناً فى فروع أساسية فى الاقتصاد العثماني عند نهاية القرن التاسع عشر، وقد شكل الأرمن واليونانيون واليهود فى العاصمة العثمانية اسطنبول حوالى نصف سكان المدينة خلال هذه المرحلة، كان هنالك من المليون الذين يقطنون اسطنبول، ٥٠٠ ألف تركيا، ٤٠٠ ألف من الأرمن واليونانيين، ١٠٠ ألف من اليهود والأوروبيين^(٣)، وحققت مجتمعات الأقليات -فى أماكن أخرى فى

أزمير وبلدان كبيرة من الإمبراطورية، وإن كانت أصغر نسبياً في حجم سكانها- حققت تحكماً متفاوتاً على الاقتصاد المحلي، وجنت ثروة حقيقية من تجارة الإمبراطورية وماليتها، ونشاطات اقتصادية أخرى، ويقرر بيان ألماني عن دور اليونانيين والأرمن واليهود في الاقتصاد العثماني نشر في برلين عام ١٩١٢، أنهم:

قسموا كل شئ فيما بينهم أو هيمنوا معاً على المكان، كان كل ما يخص الضرورات المباشرة للحياة، عملياً، في أيدي اليونانيين وكل الفروع ذات العلاقة الأقل مباشرة بالحياة، وإن كانت ذات علاقة باكتساب الحضارة في أيدي الأرمن. كانت لهم أكبر الأعمال في مجالات الحديد والقصدير والزنك، وأيضاً كل تلك المختصة بتجارة البناء والتشييد، وتركت فقط الخربوات الصغيرة والأشياء الزهيدة والسلع التجارية الكولونيالية لليهود وكانت الأعمال الخاصة بالنقود من المصرفيين الكبار إلى من يعملون في تغيير العملة التافهين في القسطنطينية، كانت أساساً في أيدي يونانية- أرمنية، كان هناك فقط مصرفيون يهود صغار، وعدد قليل للغاية ممن يعملون في تغيير العملة... كان باعة العاديات وتجار السجاد في القسطنطينية يكادون أن يكونوا نون استثناء من السفارديم^(٤).

وقد لعب اليهود -على أي حال في أزمير وسالونيك- دوراً أكثر نشاطاً في التجارة والبيع والشراء، رغم أن الوجود اليوناني الأرمني كان جوهرياً للغاية فيما سبق.

ويشير شارلز عيسوى في كتابه "التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إلى الدور الأساسي الذي لعبه التجار الأرمن واليونانيون واليهود في تجارة الاستيراد والتصدير التي يمكن أن تعالج وتمول الانسياب الخارجي للإنتاج الزراعي والانسياب الداخلي للمنتجات الصناعية وسلع استهلاكية أخرى^(٥)، ويضيف أن تلك الشركات كانت تكاد أن تكون أجنبية كلية".

كان مدخل البريطانيين في مصر والعراق، والفرنسيين في سوريا وشمال أفريقيا، والبريطانيين والروس في إيران، والبريطانيين والفرنسيين والنمساويين والإيطاليين وآخرين في تركيا.. كان مدخلهم إلى المزارعين عبر التجار الصغار ومقرضى النقود المجندين أساساً من مجموعات الأقليات من الأرمن واليونانيين واليهود ومسيحيين من سوريا ولبنان والذين كانوا يدفعون نقوداً مقدماً، ويشترون المحاصيل كي يعيدوا بيعها للمصدرين، ويسوقون السلع التي تستهلك في الريف، وقد أقام أفراد من الأقليات

أحياناً علاقاتهم الخاصة مع بريطانيا وفرنسا وبلدان أخرى صناعية، منشئين فروعاً لشركات التصدير^(٦).

ويكتب عيسوى، "إن اليونانيين والأرمن واليهود فى تركيا قد هيمنوا بهذا الترتيب على القطاع الحضرى وتحكموا فى جزء هام من القطاع الزراعى".

لقد تحكم رجال مصرف جالاتا، والذين يتكونون من شرقيين وأعضاء من الأقليات، تحكموا فى الشئون المالية، وقد أدى استبدال تلك البنوك ببנק حديثة إلى توسيع حقل العمل فقط؛ إذ كان هناك عام ١٩١٢ تركى مسلم واحد فقط من بين الـ ١١٢ العاملین فى المصارف ومديرى المصارف فى الإمبراطورية العثمانية، وكان للأتراك حجم تم تقديره ١٥٪ فقط من رأس المال، وقد وطد الأرمن واليونانيون أنفسهم فى مجال التجارة فى أوروبا مبكراً فى القرن التاسع عشر، وأمسكوا بغالبية تجارتها مع تركيا، وفى مجال الزراعة نشطت الملل بشكل خاص فى تلك المحاصيل النقدية الهامة كالحرير والقطن^(٧).

ويقدم بياناً تركيا، حول النشاطات الاقتصادية لليونانيين والأرمن واليهود فى تركيا الغربية (أساساً إسطنبول وأزمير) كما يقدم وصفاً أكثر تفصيلاً لمشاركتهم فى تجارة الصادر الخارجية وهى فى هذه الحالة الشحن بالسفن للمنتجات الزراعية إلى الخارج:

يكاد يُؤتى بكل محصول من جزء واسع من الأناضول المرتبط بأزمير إلى هناك، يملأ المنطقة الكبيرة من "سوق الفاكهة" حتى "الرسوم الجمركية"، وتفص تلك المنطقة بأناس من كل الأمم، وأيضاً بهؤلاء الذين تُعرف أصولهم وإن كانوا معروفين عادة كقاطنين لأزمير، إن هؤلاء الناس يحملون أوراق هوية متنوعة وكائنهم أوروبيون، غير أنهم أشبه بخلية نحل تتكون من اليونانيين والأرمن وخاصة اليهود، إن لهذه الخلية نشاطاً لا يتوقف، ويطن أفرادها فيما حولهم ويمتصون بطريقة لا نهائية زاد العسل المتاح حتى تفيض به قوائصهم، كانت هنا وهناك أيضاً متاجر تركية قليلة.

كان فى وسع المنتج فى الأناضول -عندما لا يكون مقيداً بعقد إلى تاجر تصدير أجنبى- إحضار ما تبقى من محصوله إلى الوسطاء فى "سوق الفاكهة" ..

وبذا شكل التجار الأتراك غالبية هذه الطبقة من الناس، أو فى الحقيقة كل هذه الطبقة من الناس الذين يقبلون أن يكونوا وسطاء بين المنتجين وتجار التصدير ..

وكان المنتجون هم الفساحيا في أرض هذه المعركة التجارية؛ وكانت العناصر الأجنبية وشبه الأجنبية هي العناصر الكاسبة، وكان الأتراك هم النظارة والمتفرجون، يقينا كان اليهود هم الأقوى والأكثر نشاطاً والأكثر نكاحاً^(٨).

وكما بين هذا البيان التركي بوضوح دور الأقليات الاثنية في التكوين العثماني، ودور الأرمن واليونانيين واليهود، هذا الثلاثي الاثنى المتضمن في تركيا العثمانية، فإنه بين أيضاً أنه كان يُنظر إليهم بعيون تركية باعتبارهم "عنصراً شبه أجنبياً"، عنصراً له مصالح متناقضة مع الغالبية الواسعة من السكان العثمانيين والأمة التركية عامة، وقد استخدمت تركيا الفتاة وجهات نظر قومية تم الارتكاز الأيديولوجي بقوة عليها، وجهات نظر تماثل تلك التي عبر عنها أنفا لتغذي مشاعر النقمة والغضب بين السكان الأتراك ضد كل الأقليات الاثنية غير المسلمة في المجتمع العثماني، وخاصة ضد الأرمن مع قربهم الوثيق من مركز قوة الدولة العثمانية خلال آخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

وضع المجتمع الأرمني في تركيا العثمانية

كان عدد الأرمن في الإمبراطورية العثمانية خلال هذه الفترة يقدر بحوالي ٢ ٥ مليون، يعيش أكثر من ٨٠٪ منهم في مناطق زراعية في الأناضول الشرقية وفي مناطق أضعف و"ماراس" في الجنوب^(٩)، وقد بلغ عدد الأرمن في المركز الحضري الأساسي اسطنبول حوالي ٢٠٠ ألفاً في أوائل هذا القرن، وكانوا في أزمير على الشاطئ الغربي أرضروم، وكارس وغان في الشرق؛ سيفاس وأماسيا في المنطقة الوسطى الشمالية؛ وأضنة، ومرسيني، ودياربكر، وماراس في الجنوب الشرقي حيث توجد مراكز حضرية أناضولية أقل سكاناً، حيث كان يتمركز الأرمن؛ كانوا يتراوحون من عشرة آلاف إلى مائة ألف في كل من تلك المدن متوسطة الحجم مع المزيد ممن يقيمون داخل كل من الفيلاطيس أو الأقاليم^(١٠)، وقد عاش بقية السكان الأرمن في مدن صغيرة وقرى عبر الأناضول الشرقية والجنوبية، حيث كانوا يدبرون معاشهم عن طريق زراعة قطع أراضيهم الصغيرة. كان كبار ملاك الأراضي يشكلون نسبة صغيرة من السكان الأرمن، بينما الغالبية العظمى كانت من فلاحين يزرعون أكراتهم القليلة من الأرض^(١١).

وقد ساد في المدن والمراكز الحضرية مثل إسطنبول والبلدات المجاورة لها تكوين طبقي مختلف: هنا، يلعب التجار ورجال المصارف والصناعات والوسطاء دوراً هاماً، رغم حقيقة أن غالبية الأرمن قاطنى المدن كانوا إما ملاك أعمال صغيرة، حرفيين أو عمالاً عاديين^(١٢).

وكان البطريرك الأرمنى للقسطنطينية يُرسم قائداً "للملة الأرمنية" طبقاً لنظام الملل (الجماعات القومية/ الاثنية) الذى وضعه السلطان محمد الثانى فى القرن الخامس عشر^(١٣)، وكان البطريرك فى ظل هذا النظام من الإدارة السياسية مسئولاً عن الحياة الدينية والتعليمية والاجتماعية للأرمن فى الأمبراطورية العثمانية، ويكتب -على أى حال- لويس نالبانديان "لقد غدا المكتب البطريركى هذا فى القرن التاسع عشر ضعيفاً، حتى إن القوة الحقيقية لم تكن فى يدى البطريرك، ولكن كانت تمسك بها "أوليجاركية" تتألف من عناصر ثرية محافظة من أرمن القسطنطينية^(١٤).

إن هذه الأوليجاركية قد خرجت من طبقة "الأمراء"، التى تتكون من رجال البنوك والتجار والأثرياء وموظفى الحكومة، وقد هيمن الأمراء بتحكمهم فى البطريرك على النشاط القومى وكثير من النشاط الدينى لأرمن القسطنطينية^(١٥).

ومن ثم، لعبت النخبة الأرمنية فى بداية القرن التاسع عشر دوراً مهيمناً فى المجتمع الأرمنى، وكانت مؤثرة للغاية فى بنىان القوة العثمانية بالمثل، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى وضعهم الإستراتيجى داخل الاقتصاد وإدارة الدولة.

وقد لعب رجال البنوك اللذين يشكلون العنصر المهيمن لهذه النخبة دوراً مباشراً فى اقتصاد الإمبراطورية، فقد كانوا يقومون بجمع الضرائب، ويقدمون القروض إلى الدولة، ويضمنون الاعتمادات المالية فى مواجهة الخسائر، وهيمنوا على النقد الأجنبى والعمليات التجارية مما جعلهم على علاقة وثيقة بأوروبا والغرب^(١٦)، كما لاحظ أحد مراقبى المجتمع العثمانى القريبين.

إن الوجهاء الذين عرفوا بالأمراء، لعبوا دوراً مهيمناً فى الكنيسة الأرمنية والمجتمع، ودوراً هاماً فى الإدارة العثمانية، إن مجموعة واحدة من هؤلاء الأمراء تتكون من "الصرافين" أو رجال البنوك اللذين أمسكوا المزارعين بالضريبة والموظفين الإقليميين الآخرين برأس المال المطلوب للمزايدة وضمنوا دفع إيرادات الضريبة المتفق عليها فى الخزانة الإمبراطورية، وقد أصبح رجال البنوك الأرمن فى بداية القرن التاسع عشر مهمين فى مجال النقد الأجنبى والعمليات التجارية بالمثل^(١٧).

ومن ثم، فإنه بينما كانت كتلة سكان الحضر الأرمن مكونة من عمال عاديين وحرفيين منظمين في روابط أو "أسناف"، فإن عناصر النخبة (يقودها الأمراء) كانوا بشكل واضح قوة مهيمنة من خلال نفوذها على المؤسسات الأساسية للمجتمع العثماني، وبالمثل من خلال التحكم في المجتمع العثماني ذاته^(١٨)، وكما يشرح ادجاريان:

كان الأمراء هم موظفي الحكومة الأرمن القدامى وقد حدث ظهورهم على النحو التالي، كانت الحكومة التركية تنصب باشا تركيا كحاكم، وكان الأخير يعين صرافاً أرمنياً كضامن لدفع الضرائب؛ وكان الصراف يقوم بسداد نفقات القصر، ثم يقوم هو -بعد إخراج تلك مقابل ضرائب قابلة للدفع- بجمع الضرائب شخصياً من الناس، وكان "الأمراء" في الغالب من الأقاليم، وكان في وسعهم باعتبارهم أكثر الناس نفوذاً في البلاد أن يشاركوا في كل الشئون القومية (أي الأرمنية)، وكان البطريك والجمعية القومية في أيديهم^(١٩).

وكانت هناك مجموعة أخرى تتكون من الوجهاء، من كبار موظفي الحكومة المسؤولين في مختلف مؤسسات الدولة أو إداراتها، بما في ذلك القصر الإمبراطوري والنظام التعليمي والصحة والأعمال العامة والشئون الخارجية^(٢٠)، يضاف إلى ذلك أن وزارة الخزانة الإمبراطورية الخاصة [الثروة الشخصية للسلطان] كانت دوماً في أيدي الأرمن^(٢١).

إن هذا الوضع المحوري لجزء مختار من السكان الأرمن في الدولة والاقتصاد والمجتمع العثماني قد أدى بهم إلى مراكز قوة ونفوذ جيدة في الإمبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر.

المنافسة الاثنية وصعود القومية التركية

بدأ السكان الأتراك يحسون توسع قوة الأقليات الاثنية الاقتصادية (وخاصة الأرمن) خلال القرن التاسع عشر في كل من المجالين الحضري والزراعي، عندما بدأت المجموعات الاثنية غير المسلمة (اليونانيين، الأرمن واليهود) الهيمنة على النشاطات التجارية والمالية للإمبراطورية، واشتروا الكثير من الأراضي الخصبة في المناطق الزراعية، وقد أخرجوا منافسيهم الأتراك من الأعمال في الحواضر والمدن حيث كان

الأتراك هم القوة المهيمنة^(٢٢)، وبينما تتحول الثروة من الأتراك إلى أيدي الأرمن واليونانيين، وبمدى أقل إلى اليهود، فإن الفجوة المتسعة بين الأتراك وبين مجموعات الأقليات الاثنية تلك قد أدت إلى الغضب والاستياء ضد الأقسام الثرية من السكان غير المسلمين، الذين احتلوا منزلة مركزية متزايدة في الاقتصاد والمجتمع، وكما يوضح تقرير تجارى عن الوضع فى أرضروم فى شرقى تركيا:

فإن علامة واضحة لا لبس فيها عن الثراء الصاعد قد وُجدت فى القيمة المتزايدة للأرض، فقد تضاعف ثمنها خلال وقت قصير، وربما يرجع هذا أساساً للمعاملة الأكثر إنصافاً التى لقيها المزارعون فى ظل "التنظيمات"... ومن الجدير بالاعتبار، على أى حال، أن مشتري الأرض عموماً كانوا من الأرمن، ويكاد أن يكون الباعة يوماً من المسلمين، وهى حقيقة لها دلالة قوية فيما يتعلق بتأثير التنظيمات على الجزء المسيحى من السكان والذى كان يزداد ثراء بشكل واضح^(٢٣)، وفى مكان آخر من تركيا الشرقية احتل الأرمن مراكز رئيسية فى التجارة والأعمال مما سهل الإثارة المضادة للأرمن بين الكتل المسلمة والأكراد فى المحل الأول، مثلاً: فى "فيليت" [إقليم] سيفاس (حيث شكل الأرمن ٣٥٪ من السكان) كان هناك ١٢٥ أرمنياً من بين ١٦٦ مستورداً كبيراً، و٢٢ أرمنياً من بين ٢٧ من رجال البنوك، و٦٨٠٠ أرمنياً من بين ٩٨٠٠ تاجراً صغيراً، وكان الأرمن يمتلكون ١٣٠ مشروعاً من بين ١٥٠ مشروعاً صناعياً، وفى فيليت فإن، كان يُمسك الأرمن بـ ٩٨٪ من التجارة، ٨٠٪ من الزراعة... كان هناك ١٨ تاجراً كبيراً، كلهم من الأرمن، ٥٠ مقرضاً للنقود (٢٠ أرمنياً و٢٠ تركياً)، ٢٠ صرافاً كلهم من الأرمن، ١١٠٠ حرفياً (١٠٢٠ أرمنياً و٨٠ تركياً)، ٨٠ تاجر خضروات (٥ أرمنياً، ٣٠ تركياً)، ٢٠٠ تاجر فواكه، كلهم من الأرمن، وكان كل العاملين فى الحرف الحرة- أطباء، صيادلة ومحامين... الخ - كانوا كلهم من الأرمن^(٢٤).

وفى المنطقة الغربية من الإمبراطورية- فى أزمير وبورصا وأماكن أخرى- كانت الحالة مماثلة، وطبقاً لتقرير من المكتب الأجنبى البريطانى:

فإن التحسن العام فى أزمير هو، على أى حال، فى صالح السلالات المسيحية عامة، بصورة أكثر، تلك السلالات التى تشتري الأتراك.. إن الأتراك الذين كان التجنيد الإجبارى يقيد حريتهم وقوتهم، وقعوا فى أيدي بعض رجال البنوك المرابيين المسيحيين [أرمن، يونانيين وأحياناً أوروبيين]

الذين سرعان ما كان يُضحى لهم بكل الملكية أو العقار، وفي الجوار المباشر
"لسيميرنا" ظل باقيا عدد قليل للغاية من ملاك الأرض الأتراك" (٢٥).

وعن المزيد من الاتجاه غرباً يكتب المؤلف البريطاني و.م. رامساي: "إن كل إمريء
يألف السواحل الريحية(*) أو الأيونية(**) يعرف العديد من القرى اليونانية المزدهرة
والتي كانت منذ سنوات مضت ليست بالعديدة للغاية خالية أو يسكنها الأتراك فقط، إن
الأتراك يفقدون أو قد فقدوا في بعض الأماكن قبضتهم على الساحل وعلى الوديان
التي تفتح على السواحل... وكلما دخلت السكك الحديدية إلى داخل البلاد كلما دخل
العصر اليوناني أو حتى سبقها" (٢٦).

ويكتب عيسوي: "إن هذا الشعور بالإغراق والإزاحة سبب الكثير من الحنق
والغضب بين الأتراك، ويساعد في توضيح أسباب المرارة الكثيفة والعنف في الصراع
بين الأتراك والأرمن واليونانيين في الفترة من ١٨٩٥ إلى ١٩٢٣" (٢٧).

إن بروز "الأمراء" الأرمن في داخل المجتمع العثماني قد أدى إلى كثير من المرارة
بين أجزاء عريضة من السكان الأتراك، وخاصة العناصر القومية منهم وجنرالات
وضباط الجيش، وسرعان ما تحولت مثل تلك المرارة ضد الأرمن الأثرياء إلى غضب
واستياء معمم ضد المجتمع الأرمني ككل، وتسبب في صعود القهر الوحشي للأرمن
ومذابح ١٨٩٤-١٨٩٦ (٢٨).

إن السلب والنهب الدوري وتدمير الجيران الأرمن وقتل أعداد كبيرة منهم في
مذابح انتقائية أوركستراالية تجيزها الحكومة (٢٩)، مع غياب التدخل الغربي لوقف
الفظائع التي ارتكبت ضد السكان الأرمن، قد أعد المسرح لقهر واسع النطاق
للمجتمع الأرمني، مع صعود قوة فاشست تركيا الفتاة التي كان يقودها الباشوات
أنور وكمال وطلعت في العقود الأولى من القرن العشرين، وبهذا مهدوا الطريق
للحل النهائي" لك "مسألة الأرمنية" - باستئصال ١.٥ مليون أرمني عام
١٩١٥ (٣٠).

(*) منسوبة إلى عولس إله الريح (المترجم)

(**) نسبة إلى الأيونيين من أسلاف اليونانيين (المترجم)

القومية المتطرفة والإبادة العرقية للأرمن في تركيا العثمانية عام ١٩١٥

لقد أدت المحاولات العديدة للقيام بهبة قومية أرمنية في الشرق إلى قمع حاد ومذابح للآلاف من الأرمن في أواخر القرن التاسع عشر^(٣١)، ومع ذلك فإن نقطة التحول في استمرار بقاء المجتمع الأرمني تحديداً في تركيا العثمانية تعود إلى ثورة تركيا الفتاة عام ١٩٠٨. ويكتب بول سابا: "منذ بداية الثورة أمسكت القوميات المقهورة داخل الإمبراطورية بالفرصة كي تعلن استقلالها، بينما سعت القوى الأجنبية للاستفادة من الفوضى التركية الداخلية لتحقيق كسب خاص بها".

أعلنت بلغاريا عام ١٩٠٨ استقلالها، وسرعان ما ثارت كريت لتتحد مع اليونان، وضممت النمسا-هنغاريا البوسنة-والهرسجوفينا، وغزت إيطاليا في ١٩١١-١٩١٢ ليبيا وهزمته، وأخيراً قام تحالف بلقاني متحد عام ١٩١٣ بطرد الأتراك من مقدونيا، وفي داخل بقايا الإمبراطورية طالبت قوميات أخرى مقهورة بما فيها الأرمن والشعوب العربية بحكم ذاتي أكبر أو حق تقرير المصير^(٣٢).

وفي إطار هذا السياق من التصدع للإمبراطورية العثمانية، ومحاولة القوى القومية التركية إنقاذ أجزاء من الامبراطورية المفككة، اتخذ رد فعل تركيا الفتاة أكثر أشكاله قسوة.

واتجهت تركيا مهتزة نحو الديكتاتورية العسكرية، وغدت التتركة الأيديولوجية هي المهيمنة في الـ سى يو بى [لجنة الاتحاد والترقي] القائدة والدوائر الحكومية، كانت الرابطة التركية كما نظرتُها الـ سى يو بى تعبيراً متطرفاً عن رد الفعل المتناقض عن تردد وتقلب القوميين الأتراك في مواجهة الاختراق الغربى وتأثيره المدمر على وحدة الإمبراطورية العثمانية... كانت العنصرية والنصرة القومية والعسكرية والتفاضى عن كثير من الإسلام التقليدى كانت كلها سمات الرابطة التركية، إننا إن أخذنا هذا الخليط من العناصر الأيديولوجية معاً فإنه يرمز إلى أيديولوجية مماثلة كانت ستبرز في ألمانيا في العشرينيات من القرن العشرين، إنها النازية^(٣٣).

ويشير سابا إلى أن "منظرى الرابطة التركية وضعوا مفهوماً يصور الأتراك باعتبارهم سلالة سادة، وتخيلوا الخلق القهرى لإمبراطورية عظيمة (طوران) لكل

الشعوب الطورانية الآرية عبر آسيا، ونُظر إلى روسيا والشعوب السلافية والأرمن باعتبارهم عقبات أمام تحقيق هذا الهدف^(٣٤).

كان على الأتراك أن يتحدوا في دولة جديدة نقية ليس فيها مكان لشعوب أجنبية، إن جهود سى يوبى لحشد شعبي للكتل التركية على أساس نداءات قومية وتعصب عنصري وطقوس تشبه النازية لماض تركي جاهلي، خلق مناخاً لتعصب متزايد ضد كل الشعوب الأقلية داخل الإمبراطورية^(٣٥).

ودخلت الإمبراطورية العثمانية الحرب العالمية الأولى، في إطار هذا السياق لإيديولوجية التوسع القومي للرابطة التركية إلى الشرق، بأمل الاستحواذ على روسيا كجزء من استراتيجيتها لإعادة فتح "الطوران" القديمة، "غير أنه قتل، على أي حال، خلال أسبوعين من الحملة ٨٠٪ من قوات [الجيش الثالث] إما بواسطة القوات الروسية أو بواسطة الشتاء القوقازي الرهيب^(٣٦).

وصممت تركيا- الفتاة بعد الهزيمة في المعركة على توجيه ضربة إلى أسهل هدف، وفي أواخر فبراير ١٩١٥ قرر المجلس المركزي للجنة الاتحاد والترقي الاستئصال المنظم لكل الأرمن داخل الإمبراطورية العثمانية.

وقد قدم تعاطف الأرمن مع روسيا وكذلك امتلاكهم لأسلحة غير قانونية، المبررات، بينما قدم غياب مراقبين حلفاء عن المنطقة نتيجة الحرب الفرصة لرد الفعل التركي ليوجه ضربته فعلاً دون أن يلحظه أحد^(٣٧).

ويواصل سابا:

واستخدم ذات النمط من الاستئصال عبر الأقاليم الأرمنية بتخطيط وإشراف وتوجيه لجنة الاتحاد والترقي على كل مستوى ويثبات شرس من تعصب عنصري وعقلانية القرن العشرين التي لا يقيدتها تبكيت أو ضمير.

لقد كان نمطا يرمز في كثير من الوجوه إلى الهولوكوست الذي ابتلى به اليهود الأوروبيين بواسطة النازي^(٣٨).

وبذا فإن أول إبادة عنصرية في القرن العشرين قد انتشرت بكامل قوتها واستمرت حتى استهلكت حياة ١ ٥ مليون أرمني، وقد اشتملت على الاغتصاب والسطو والسلب والنهب والقتل لسكان بأكملهم بهدف سابق التدبير، هدف قومي متطرف لاستئصال ومحو المجتمع الأرمني في تركيا العثمانية^(٣٩).

إن هذا الفعل المخطط من الإبادة العنصرية والذي ارتكب ضد الشعب الأرمني حقق تقريباً أهدافه المقررة، حيث إن غالبية الأرمن والذين يقدر بـ ٨.١ إلى ٢ مليون من سكان تركيا العثمانية قد استئصلوا عبر القتل الجماعي أو ساروا إلى حتفهم في الصحراء السورية والسهول الشرقية، إن أقل من ١٥٪ من تعداد السكان الأرمن فيما قبل الحرب استطاعوا النجاة من رعب الإبادة العنصرية، ولجأوا إلى روسيا أو إلى دول أخرى محيطة؛ وكان هنالك بعد الانهيار النهائى للإمبراطورية العثمانية وظهور دولة تركيا الجديدة عام ١٩٢٣ أقل من مائة ألف أرمني متبقين في البلد كله^(٤٠).

بعض الملاحظات الختامية:

إن مشروع القوة القومية المتطرفة لحكومة تركيا الفتاة -والذى امتد لأراض تتجاوز تلك التى كانت تتحكم فيها الدولة المركزية العثمانية- كان محاولة لتأسيس إمبراطورية تركية أكبر طالبت بميراثها التاريخى لوسط آسيا. يجب النظر إذن إلى مسألة توسع الرابطة التركية شرقاً فى هذا السياق من المشروع القومى حيث تم تشجيع النزاع والمنافسات الاثنىة لتحقيق نتائج إمبراطورية.. ومن ثم، فإنه من المنطقى تماماً النظر إلى العدوانات التى أحدثت بين الأرمن والأكراد فى تركيا الشرقية كجزء من حملة تركيا الفتاة لقهر التمردات الاثنىة بدفع المجموعات الاثنىة ضد بعضها البعض، وبذلك يخلق الطريق لمزيد من التوسع التركى عبر الأراضى.

لقد أصبح الأرمن هم الضحية الأولى لهذا التصميم السياسى، لقد أمسك بهم بين قوى سياسية كونية وإقليمية وقومية، أمسك بهم واقفين فى طريق تأسيس إمبراطورية تركية وسط آسيوية عظمى، ودفع الأرمن ثمناً باهظاً فى شكل طرد ونفى ومذابح وإفناء لكل شعبهم تقريباً، ومن الواضح أن القوى الخارجية كانت منغمسة بكثافة فى المرحلة النهائية لانهيار وتفقت الإمبراطورية العثمانية، والتى احتلت أراضيتها مباشرة فيما بعد ذلك الدول الإمبريالية الغربية خلال الحرب العالمية الأولى. إن الوضع الخاص للأرمن فى صراع القوى هذا، محددين ومعرفين كأصدقاء أو أعداء بواسطة واحد أو آخر، من القوى المتصارعة فى هذا النزاع كلف الأرمن ١ ٥ مليون حياة.

إن حقيقة قرب بعض الأرمن من مراكز القوة العثمانية لم تساعد القضية الأرمنية أيضاً، وربما كان اقتراب الأرمن من مراكز حكومية حساسة وفرت لهم مداخل إليها -مداخل يمكن استخدامها فى هبة قومية للأرمن فى الأقاليم الشرقية- ربما كان هذا

عاملاً إضافياً مساهماً يبرر فى عقلية الأتراك الحركة لسحق الأرمن وبذا يُجتث هذا التهديد ضد الدولة العثمانية.

إن اليونانيين وكذا اليهود خاصة والمقيمين أساساً فى مراكز حضرية كبرى مثل إسطنبول وأزمير لم يكن لهم أى ادعاءات خاصة بالأراضى، كما لم ينظر إليهم باعتبار أنهم يقفون فى طريق الخطط التركية التوسعية، وكذلك لم تتعارض الأقاليم العثمانية فى شمال أفريقيا وشبه الجزيرة العربية، لم تتعارض والرؤية القومية المتطرفة لتركيا الفتاة، كما أنها كانت بعيدة للغاية عن مراكز القوة والتحكم فى هذه المرحلة من الانحدار والتآكل العثماني، ومن ثم.. فقد تم الحصول على تلك المناطق بسهولة بواسطة القوى الأوروبية، وتم تحويلها إلى مخافر أمامية للامبريالة الغربية وقُسمت المناصب والمراكز بين فرنسا وبريطانيا -القوتين المهيمنتين عالمياً فى ذلك الوقت- إن الغزو اليوناني لتركيا الغربية والهزيمة التى تلت ذلك لليونانيين فى معارك دموية فى أزمير ومناطق أخرى على امتداد الساحل الغربى لتركيا لم تؤد إلى قتل أعداد كبيرة من اليونانيين فى تركيا خلال الحرب، إن وجود وطن لليونانيين قدم على أى حال مخرجاً لهذه الحالة.

كانت العملية عملية إبعاد ونفى واسعة لليونانيين إلى اليونان، وبذا تم تفادى مذبحة على نطاق واسع.

لم يوهب الأرمن مثل تلك الحماية فى مواجهة القوى العثمانية المتقدمة والتى تحركت من خلال أوامر حكومية مباشرة، تحركت بكل قوتها لتزيحهم من وطنهم التاريخى، إن المسيرات الإجبارية والمذابح الجماعية لقرى بأكملها للأرمن استأصلت كل من وقف فى طريق المشروع القومى التركى^(٤١).

الهوامش

[١] "القومية" معرفة هنا باعتبارها أيديولوجية تدعم الالتصاق بالأمة فوق هوية كل مجموعة أخرى مثل الطبقة الاجتماعية أو الدين، إنها تشجع مصالح أمة واحدة (أو مجموعة إثنية) فوق كل الآخرين، وهي عادة أيديولوجية البورجوازية الصغيرة أو القومية، ولذا فإنها تستخدم أحياناً بواسطة طبقات أخرى لتقدم وترقى مصالح طبقة بعينها، لمزيد من مناقشة طبيعة وديناميكات القومية، أنظر بيرش بيربيروجلو،

Class, State and Nation: The Class Nature of Nationalism and Ethnic Conflict (Westport, Conn.: Greenwood Press, 2000), chaps. 1 and 2.

"الطبقة، الدولة، والأمة، الطبيعة الطبقية والنزاع الإثنى (ويست بورت، كون: مطبعة جرينوود، ٢٠٠٠)، الفصل الأول والثاني.

[2] Charles Issawi, The Economic History of Turkey, 1800- 1914 (Chicago: University of Chicago Press, 1980), p.54.

[٢] شارلز عيسوي، "التاريخ الاقتصادي لتركيا، ١٨٠٠ - ١٨١٤" (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٨٠)، ص ٥٤.

[3] Hrachya Adjarian, "Hayots dere Osmanian Kaysrutyeay medj," in Banber Erevani Hamalsarani (Yerevan, Armenia: Yerevan State University Press, 1967), cited in ibid., p. 62. See also S.Shaw, "The Ottoman Census System and Population, 1831- 1914," International Journal Of Middle East Studies 9 (1978): 332; Kemal H.Karpat, Ottoman Population, 1830- 1914: Demographic and Social Characteristics (Madison: University of Wisconsin Press, 1985), pp. 51-55; and idem, "Ottoman Population Records and the Census of 1881/82-1893," International Journal of Middle East Studies 9 (1978): 254.

[٣] أنظر أيضاً س. شاو، "نظام التعداد العثماني والسكان، ١٨٢١ - ١٩١٤"، الجريدة الدولية لدراسات الشرق الأوسط ٩ (١٩٧٨)، ٢٢٢؛ كمال هـ كاريات، "السكان العثمانيون، ١٨٢٠ - ١٩١٤، الخواص الديموجرافية والاجتماعية (ماديسون، مطبعة جامعة ويسكونسين، ١٩٨٥)، ص.ص. ٥١-٥٥، ومثله "سجلات السكان العثمانيين وتعداد ١٨٨١/٨٢-١٩٨٣"، الجريدة الدولية لدراسات الشرق الأوسط ٩ (١٩٧٨)، ٢٥٤.

[4] Alphons Sussnitski, "Die wirtschaftliche Lage der Juden in Konstantinopel," Allgemeine Zeitung des Judentums (Berlin), 8, 12, and 19 January 1912, in Issawi, Econocic History of Turkey, p. 70.

[٤] الفونس سوسنيتسكي، و ١٩ يناير ١٩١٢، في عيسوي، "التاريخ الاقتصادي لتركيا، ص ٧٠.

[5] Charles issawi, The Economic History of the Middle East and North Africa (New York: Columbia University Press, 1982), p. 6.

[٥] شارلز عيسوى، التاريخ الاقتصادى للشرق الأوسط وشمال أفريقيا (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، ١٩٨٢)، ص. ٦.

[٦] المصدر السابق.

[٧] المصدر السابق ص.ص ٨٩-٩٠.

[8] Halit Ziya Usakligil, *Kirk Yil*, 5 vols. (Istanbul: Matbaacilik ve Nesriyat, 1936), excerpted in Issawi, *Economic History of Turkey*, pp. 72-73.

[٨] مقتبسة فى عيسوى، التاريخ الاقتصادى لتركيا، ص.ص ٧٢-٧٣.

[9] Vartan Artinian, "A Study of the Historical Development of the Armenian Constitutional System in the Ottoman Empire" (Ph.D. diss., Brandeis University, 1970); and idem, "The Formation of Catholic and Protestant Millets in the Ottoman Empire," *Armenian Review* 28 (Spring 1975): 3-15.

[٩] فارتان آرتينيان، 'دراسة للتطور التاريخى للنظام الدستورى الأرمنى فى الإمبراطورية العثمانية (مبحث دكتوراة فى الفلسفة، جامعة برانديز، ١٩٧٠؛ ومثلة تكوين الملتين الكاثوليكية والبروتستانتية فى الإمبراطورية العثمانية، أرمنيان ريفيو ٢٨ (ربيع ١٩٧٥): ٣-١٥.

[10] Artinian, "Armenian Constitutional System." See also Karpas, *Ottoman Population, 1830- 1914*, pp. 51-55; and Justin McCarthy, *Muslims and Minorities* (New York: New York University Press, 1983), pp. 47-88 for various contradictory estimates of the Armenian population by the Armenian Patriarchate and the Ottoman government, as well as by independent European sources.

[١٠] آرتينيان، 'النظام الدستورى الأرمنى'، أنظر أيضاً كارباس، 'السكان العثمانيون' ١٨٢٠-١٩١٤، ص.ص ٥١-٥٥، وجوستين مكارثى، 'المسلمون والأقليات' (نيويورك- مطبعة جامعة نيويورك، ١٩٨٣) ص.ص ٤٧-٨٨ من أجل تقديرات متناقضة عن السكان الأرمن بواسطة البطريركية الأرمنية والحكومة الأرمنية، وكذا بالمثل مصادر أوروبية مستقلة.

[11] Christopher J. Walker, *Armenia: The Survival of a Nation* (New York: St. Martin's Press, 1980), pp. 94-95.

[١١] كريستوفر ج. والكر، 'أرمينيا بقاء أمة حية' (نيويورك. مطبعة القديس مارتين، ١٩٨٠)، ص.ص ٩٤-٩٥.

[12] Among the more important trades in which Armenian craftsmen were prominent were: Jewelry, textiles, work with gold, silver, and copper, and shoemaking. See L. Arpee, *The Armenian Awakening, 1820- 1860* (Chicago: University of Chicago Press, 1909); and Grigor Zohrap, *La Question Armenienne a la Lumière des Documents* (Paris: A. Challamel, 1913). See also Walker, *Armenia*, pp. 94-98.

[١٢] كان من بين أكثر أعمال التجارة أهمية والتي برز فيها الحرفيون الأرمن. المجوهرات، النسيج، العمل بالذهب، الفضة، والنحاس وصناعة الأحذية، أنظر ل. أربى "النهضة الأرمنية، ١٨٢٠-١٨٦٠" (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٠٩)، وجريجور زوهارب، "المسألة الأرمنية في ضوء الوثائق (باريس أ. شالامل، ١٩١٢)، أنظر أيضاً والكر، "أرمينيا"، ص.ص. ٩٤-٩٨.

[13] Ermeni means "Armenian" in Turkish. The Ermeni millet refers to the Armenian national/ ethnic community.

[١٣] أرمنى تعنى أرمينى فى التركية، وتشير الملة الأرمنية إلى المجتمع الأرمنى القومى/ الاثنى.

[14] Louise Nalbandian, The Armenian Revolutionary Movement (Berkeley: University of California Press, 1967), p. 43.

[١٤] لويس نالبانديان، "الحركة الثورية الأرمنية" (بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا، ١٩٦٧)، ص. ٤٣.

[١٥] المصدر السابق.

[١٦] كما يشير ارتينيان، "كان هناك فى منتصف القرن التاسع عشر أكثر من ثلاثين مشروعاً تجارياً أرمنياً فى لندن ومنشستر، وكان مقر رئاستها إما فى سميرونا (أزمير) أو اسطنبول". إرتينيان، "النظام الدستورى الأرمنى"، ص. ٧٥ أنظر أيضاً والكر، "أرمينيا".

[١٧] عيسوى، "التاريخ الإقتصادى لتركيا"، ص. ٦٢.

[١٨] والكر، "أرمينيا"، ص. ٩٧، كانت تلك هى الحالة أيضاً فى الأراضى المجاورة لتركيا العثمانية، مثل عبر القوقاز الروسية، وكما يبين والكر فإن 'البورجوازية الأرمنية غدت الطبقة التجارية المهيمنة فى تفليس وباكو ومدن أخرى عبر القوقاز، لقد كان ثلثى التجار فى تفليس عام ١٨٧٦ من الأرمن، كما كان الأرمن يديرون أربعة من البنوك الستة، وسيطر الأرمن فى باكو فى العقد الأخير من القرن، على أكثر من نصف آبار البترول". والكر، "أرمينيا"، ص.ص. ٦٠-٦١.

[19] Adjarian, "Hayots dere Osmanian Kaysrutyeen medj," in Issawi, Economic History of Turkey, p.62. However, Hagop Barsoumian points out that, despite their enormous wealth and power within the Armenian community, the amiras had virtually no political power within the Ottoman state. Hagop Barsoumian, "The Dual Role of the Armenian Amira Class within the Ottoman Government and the Armenian Millet (1750- 1850)," in Christians and Jews in the Ottoman Empire, ed. Benjamin Braude and Bernard Lewis (New York: Holmes & Meier, 1982), pp. 176-77. See also Uner A. Turgay, "Trade and Merchants in Nineteenth- Century Trabzon: Elements of Ethnic Conflict," in Christians and Jews in the Ottoman Empire, ed. Braude and Lewis, p. 305.

[١٩] يبين هاجون برسوميان، على أى حال، أنهم رغم ثروتهم الهائلة وقوتهم داخل المجتمع الأرمنى فإنه لم يكن للأمراء فعليا أى قوة سياسية داخل الدولة العثمانية.

هاجون برسوميان، "الدور المزدوج لطبقة الأمراء الأرمنية داخل الدولة العثمانية والملة الأرمنية (١٧٥٠-١٨٥٠)، فى "المسيحيون واليهود فى الإمبراطورية العثمانية"، تحرير بنجامين برود وبراناردلويس

(نيويورك هولز وميير، ١٩٨٢)، ص. ٧٧-١٧٦. أنظر أيضاً أونر أ. تورجاي، "التجارة والتجار في ترابزون القرن التاسع عشر: عناصر النزاع الاثنى" في "المسيحيون واليهود في الإمبراطورية العثمانية"، تحرير برود ولويس ص. ٢٠٥.

[20] Mesrob K. Krikorian, Armenians in the Service of the Ottoman Empire, 1860-1908 (London: Routledge & Kegan Paul, 1977).

[٢٠] ميسروب ك. كريكوريان، "الأرمن في خدمة الإمبراطورية العثمانية، ١٨٦٠-١٩٠٨" (لندن: روتليدج و كيجان بول، ١٩٧٧).

[21] Adjarian, "Hayots dere Osmanian Kaysrutyeay medj," p. 63

[22] Sir Charles Eliot, Turkey in Europe (New York: Barnes and Noble, 1965), p. 153; Turgay, "Trade and Merchants in Nineteenth-Century Trabzon," p. 305.

[٢٢] سير شارلز إليوت، "تركيا في أوروبا" (نيويورك: بارنس ونوبل، ١٩٦٥)، ص. ١٥٣: تورجاي، "التجارة والتجار في ترابزون القرن التاسع عشر"، ص. ٣٠٥.

[٢٣] جاء في عيسوي، "التاريخ الاقتصادي لتركيا"، ص. ٦٥.

[24] M.S. Lazarev, Kurdistan i Kurdskaia Problema (Moscow: Nauka, 1964) in ibid., p. 67. Another (Austrian) source, which provides more See Freiherrn M. Kapri, Die Historische und kulturelle Bedeutung des armenischen Volkes (Wien: Mechitharisten-Buchdruckerei, 1913), pp. 65-67.

[٢٤] م.س. لازارييف، كردستان والمشكلة الكردية (موسكو: ناوكا، ١٩٦٤) في المصدر السابق: وهناك مصدر آخر (نمساوي) يقدم تفاصيل أكثر حول عدد الأرمن في إقليم سيفاس والذين كانوا مرتبطين بأعمال متنوعة مما يؤكد هذه البيانات، بينما يختلف قليلاً مع أرقام لازارييف في مثلين، إنه يذكر هنا تحديداً أن عدد الأرمن المستوردين الكبار ١٤١ (بدلاً من ١٢٥) من ١٦٦، وكان عدد الأرمن الذين يمتلكون مشروعات صناعية ١٢٧ (بدلاً من ١٣٠) من ١٥٠، إنظر فريهيريون م. كابري.

[٢٥] جاء في عيسوي "تاريخ الاقتصاد التركي"، ص. ٥٦.

[26] W. M. Ramsay, Impressions of Turkey (London: Hodder & Stoughton, 1897), pp. 130-31.

[٢٦] و.م. رامساي، "تأثيرات تركيا" (لندن: هودر وستوفتون، ١٨٩٧)، ص. ١٢٠-١٢١.

[٢٧] عيسوي، "تاريخ الاقتصاد التركي"، ص. ٥٦.

[28] Robert Melson, "A Theoretical Inquiry into the Armenian Massacres of 1894-1896," Comparative Studies in Society and History 24, no. 3 (July 1982): 481-509.

[٢٨] روبرت ميلسون، "استقصاء نظري في المذابح الأرمنية من ١٨٩٤ إلى ١٨٩٦" "دراسات مقارنة في المجتمع والتاريخ ٢٤، رقم ٣ (يوليو ١٩٨٢): ٤٨١-٥٠٩.

[29] According to W.L. Langer, "blood was shed in the capital [Istanbul] itself; in the provinces there were massacres at Trebizond and many other places.... It was perfectly obvious that the Sultan [Abdul Hamid] was determined to end the Armenian question by exterminating the Armenians. "William L. Langer, *The Diplomacy of Imperialism, 1890- 1902*, vol. 1 (New York: Alfred A. Knopf, 1935), p. 203.

[٢٩] طبقاً لـ ١ و.أ. لانجر، "سفك الدم في العاصمة (إسطنبول) ذاتها؛ وكانت هنالك مذابح في الأقاليم في تريبيزوند وأماكن أخرى عديدة... كان واضحاً تماماً أن السلطان (عبد الحميد) قد صمم على إنهاء المسألة الأرمنية عن طريق استئصال الأرمن"، ويليام أ. لانجر، "دبلوماسية الإمبريالية ١٨٩٠-١٩٠٢"، الجزء الأول (نيويورك: ألفريد أ. كنوف)، ص. ٢٠٣.

[30] For a documentation of the Armenian genocide and the extent of the massacres, see: *Christians and Jews in the Ottoman Empire*, ed. Braude and Lewis; Vahakn N. Dadrian, "Genocide as a Problem of National and International Law: The World War I Armenian Case and Its Contemporary Legal Ramifications," *Yale Journal of International Law* 14, no. 2 (Summer 1989): 272; Gerard Chaliand and Yves Terson, *The Armenians: From Genocide to Resistance* (London: Zed Books, 1983); and *Permanent Peoples' Tribunal, A Crime of Silence: The Armenian Genocide* (London: Zed Books, 1985).

[٣٠] من أجل توثيق الإبادة العرقية الأرمنية ومدى المذابح أنظر: مسيحيون ويهود في الامبراطورية العثمانية، تحرير برود ولويس؛ فهاكن ن. دادريان، "الإبادة العرقية كمشكلة للقانون الوطنى والدولى: الحرب العالمية الأولى القضية الأرمنية وتشعباتها القانونية المعاصرة"، "جريدة يال للقانون الدولى ١٤، رقم ٢ (صيف ١٩٨٩). جيرارد ثالياند ويكس تيرنون، "الأرمن من الإبادة العرقية إلى المقاومة" (لندن: كتب زد، ١٩٨٣)، ومحكمة الشعب الدائمة "جريمة صمت: الإبادة العرقية الأرمنية (لندن: كتب زد ١٩٨٥).

[٣١] الأحداث التى هيجت مذابح ١٨٩٤-٩٦ اشتملت على هبة الأرمن فى تالورى: فى فيلايت بيتليس، حيث أرسلت القوات العثمانية لقمع التمرد: مظاهرة جماهيرية فى أغسطس ١٨٩٥ واحتلال الثوار الأرمن المسلح للبنك العثمانى فى سبتمبر ١٨٩٦، أنظر ميلسون، "استقصاء نظرى فى المذابح الأرمنية عام ١٨٩٤-٩٦، ص.ص. ٤٨١-٥٠٩.

[32] Paul Saba, "The Armenian National Question," in *Power and Stability in the Middle East*, ed. Berberoglu, p. 188. On this point, see also Akaby Nassibian, *Britain and the Armenian Question, 1915- 1923* (New York: St., Martin's Press, 1984), p. 26.

[٣٢] بول سابا، "المسألة القومية الأرمنية"، فى "القوة والاستقرار فى الشرق الأوسط" تحرير بيربروجلو، ص. ١٨٨ فيما يتعلق بهذه النقطة، أنظر أيضاً أكابى ناصيبيان، "بريطانيا والمسألة الأرمنية، ١٩١٥-١٩٢٣"، (نيويورك: مطبعة القديس مارتين، ١٩٨٤)، ص. ٢٦.

[٢٣] سابا، "المسألة القومية الأرمنية" ص. ١٨٩.

[٢٤] المصدر السابق.

[٢٥] المصدر السابق.

[٢٦] المصدر السابق.

[٢٧] المصدر السابق: ص.ص. ١٨٩ - ٩٠.

[٢٨] المصدر السابق، ص. ١٩٠.

[40] For an extended bibliographic compilation of historical sources on the Armenian genocide, see Richard G. Hovannisian, *The Armenian Holocaust* (Cambridge, Mass.: Armenian Heritage Press, 1978) and Vahakn N. Dadrian, "The Naim-Andonian Documents on the World War I Destruction of Ottoman Armenians: The Anatomy of a Genocide," *International Journal of Middle East Studies* 18 (1986): 311-60. See also Chaliand and Temon, *Armenians; Permanent Peoples' Tribunal, Crime of Silence*; and Vahakn N. Dadrian, *The History of the Armenian Genocide* (Providence, R.I.: Berghahn Books, 1995).

[٢٩] من أجل جمع فهرس للمصادر التاريخية حول الإبادة العرقية الأرمنية، أنظر ريتشارد ج. هوفانيسيان، "الهولوكوست الأرمني" (كمبريدج، ماساشوست: مطبعة التراث الأرمني، ١٩٧٨) وقهااكن ن. دادريان، وثائق نعيم أندونيان حول تحطيم الحرب العالمية الأولى للأرمن العثمانيين: تشريح الإبادة العرقية، "الجريدة الدولية لدراسات الشرق الأوسط ١٨ (١٩٨٦): ٣١١ - ٦٠، أنظر أيضاً شالياند وتيرنون، "الأرمن، محكمة الشعب الدائمة 'جريمة الصمت': وقهااكن ن. دادريان، تاريخ الإبادة العرقية الأرمنية"، (بروفيدنس، رود أيلاند: كتب برغاهن، ١٩٩٥).

[٤٠] والكر، "أرمينيا"، ص. ٢٣٠، يبين بول سابا أنه فيما يتعلق ببقاء الأرمن أحياء، تحديداً كمجموعة اثنية، فإن "العام ١٩١٥ كان عام كارثة بالنسبة للأرمن، كان هنالك تقدير قبل الحرب، أن هنالك ما بين ١ ٥ و ٢ مليون أرمني في الإمبراطورية العثمانية هرب منهم حتى عام ١٩١٦ حوالي ٢٥٠ ألفاً إلى روسيا، وأُقتلوا من المقتلة العظمى، وقتل مليون آخر كان نصفهم أطفالاً ونساءً، وحُول بالجبر حوالي ٢٠٠ ألفاً من الـ ٦٠٠ ألفاً المتبقين أحياء تقريباً إلى الإسلام، وعانى الـ ٤٠٠ ألفاً المتبقين كلاجئين وفي معسكرات الاعتقال عانوا وجوداً اتسم بالشقاء والرداءة، وقد قتل حوالي ٥٠ ألفاً إلى ١٠٠ ألفاً من هؤلاء خلال الغزو التركي للقوقاز في مايو- سبتمبر ١٩١٨، كما قتل حوالي ٢٥٠ ألفاً آخرين في ١٩١٩ - ١٩٢٣، خلال محاولات من بقى حياً بعد للعودة إلى ديارهم، سابا، "المسألة القومية الأرمنية"، ص.ص. ٩١-٩٠.

[٤١] احتفل في إبريل عام ١٩٩٥ بإحياء الذكرى الثمانين للإبادة العرقية الأرمنية في "المؤتمر الدولي حول مشاكل الإبادة العرقية، الذي انعقد في الأكاديمية القومية للعلوم في يريفان، أرمينيا، وقد قُدمت هناك نسخة ملخصة لهذا الفصل، وقد نشرت أعمال المؤتمر فيما بعد بواسطة معهد زوريان تحت عنوان "مشاكل الإبادة العرقية" (تورنتو: معهد زوريان بكندا، ١٩٩٧).

Zoryan Institute under the title problems of Genocide (Toronto: Zoryan Institute of Canada, 1997).

الفصل الثالث

الإمبريالية والبعث القومي في الشرق الأوسط
.. تركيا ومصر ..

كان البعث القومي في الشرق الأوسط -خلال القرن العشرين- رد فعل للدور المهيمن للإمبريالية الغربية في المنطقة من أواسط القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين، إن انحدار وسقوط الإمبراطورية العثمانية -خلال هذه الفترة من الأزمة في الشرق الأوسط- سمح للإمبريالية الأوروبية وإمبريالية الولايات المتحدة باقتحام المنطقة، ومن ثم استنفر رد فعل معاد للإمبريالية، ورد فعل قومي في تركيا ومصر والعراق وسوريا ومناطق أخرى من الشرق الأوسط.

وسوف ندرس في هذا الفصل أصول وتطور الحركات القومية في تركيا ومصر، وفي سوريا والعراق في الفصل التالي وهي الحالات الأربع الأكثر بروزاً للحركات القومية في القرن العشرين والتي نجحت في الاستيلاء على سلطة الدولة في الشرق الأوسط.

الإمبريالية وصعود القومية في تركيا

إن الحركة القومية في تركيا، وأصول تركيا الحديثة، تعود إلى تركيا الفتاة التي استولت على السلطة عشية انهيار الإمبراطورية العثمانية. إن صعود مصطفى كمال والكماليون إلى قيادة الحركة القومية -وفيما بعد ظهور جمهورية تركيا الجديدة- مدينة بميلادها إلى هبة ١٩٠٨ التي كانت تمرداً سياسياً ضد جهاز دولة إمبراطورية متآكلة فاسدة بهدف الإصلاح السياسي إنقاذاً للدولة من الانهيار الكلي والتفتت^(١).

إن عدداً متزايداً من الطلبة العسكريين في أوائل القرن العشرين في اسطنبول كانوا ساخطين على سياسة الدولة العثمانية الاستبدادية، وطرح العديد من المثقفين والصحفيين الآراء القومية، وحاول عبد الحميد الثاني "السلطان الحاكم" قهر الحركة عن طريق أعمال القبض والنفى الإجباري والإعدام ولكن بدون نجاح، وتشكلت مجتمعات سرية داخل مقرات قيادة الجيش في طول الإمبراطورية وعرضها، وفي باريس وجنيف والقاهرة، وكانت لجنة الاتحاد والترقي (سى يوبى) أو تركيا الفتاة^(٢) هي الأكثر تأثيراً في تلك الجماعات.

وظلت تركيا الفتاة متحركة في جهاز الدولة حتى انهياره الأخير عند نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد أدت القومية المتطرفة والحكم الديكتاتوري لتركيا الفتاة، خلال عهد عقدهم الطويل الذي اقترن به فقدان الجسيم للأرض الذي جاء إثر حربى البلقان

(١٩١٢ - ١٣)، ومذابح ١.٥ مليون أرمني بين ١٩١٥ - ١٩١٨، وفشل الحكومة في حماية تركيا من الهجوم الضارى لقوات الاحتلال الإمبريالية خلال الحرب العالمية الأولى، أدت إلى انهيار الإمبراطورية العثمانية عند نهاية الحرب، ويصف برنارد لويس الوضع في السنوات النهائية للإمبراطورية العثمانية على النحو التالي:

بدا في نهاية عام ١٩١٨ أن رجل أوروبا المريض يوشك أخيراً على الموت، وكان الاستياء ضد بيكتاتورية قادة تركيا الفتاة يتصاعد لفترة من الزمن؛ وقد منحه تقدم الجيوش المتحالفة قوة لا يمكن مقاومتها أكثر من ذلك..

وفي ٢٩ أكتوبر بعد ثلاثة أيام من المفاوضات الأولية توجه وفد برئاسة وزير البحرية رؤوف بك إلى سطح سفينة صاحب الجلالة "أجا مهنون" الراسية أمام مودروس في جزر ليمنوس ووقع في اليوم التالي هدنة حربية، وفر باشوات تركيا الفتاة، طلعت وأنور وسيمال عبر البحر الأسود على قارب حربي ألماني، وأبحر أسطول متحالف من ستين سفينة عبر مدافع الدردنيل الصامتة، وألقى بمراسيه يوم ١٣ نوفمبر في ميناء إسطنبول^(٣).

كان عهد قرون الإمبراطورية العثمانية القديمة ولكل الأسباب العملية قد بلغ نهايته. كانت حكومتها مقهورة، واقتصادها في المجازر، ووحدة أراضيها مهددة، ومن ثم فإن الإمبراطورية أذعنت لقوة الحلفاء وسلمت حكمها، الذي كان جباراً ذات يوم على أرض واسعة عبر الشرق الأوسط.

وفي ٨ ديسمبر ١٩١٨ أقامت القوى المتحالفة إدارة عسكرية في إسطنبول، عاصمة العثمانيين:

احتلت القوات المتحالفة أحياء مختلفة من المدينة، وتم تحقيق سيطرة صارمة على الميناء وخطوط الترام، والدفاعات، والجندرية والشرطة... وكانت الأقاليم العربية قد أصبحت في حوزة الحلفاء بالفعل، ووعُنت بالاستقلال، وبدأت قوات الحلفاء تهدد الآن حتى الأقاليم التركية ذاتها، وتقدمت القوات الفرنسية من أزمير إلى سيليسيا وإقليم أضنة، واحتلت القوات البريطانية الدردنيل وسامسون وإينتاب ونقاط استراتيجية أخرى، وبالمثل كل طول خط الأناضول للسكة الحديدية، وفي ٢٩ إبريل ١٩١٩ هبطت قوات إيطالية في أنطاليا لتضع يدها على بعض المناطق المخصصة لها بواسطة اتفاقيات الحلفاء السرية زمن الحرب^(٤).

ويكتب لويس: "بدأت إرادة البقاء مستقلين - بين القادة الجدد في العاصمة - وكأنها قد أُحبطت، وتمركزت المناقشة السياسية حول الشكل الذي يجب أن يتخذه الخضوع

التركي، وحول الفضائل النسبية للانتداب الأمريكي أم الانتداب البريطاني^(٥)، ويواصل لويس: "كان حيز الأمل في الحقيقة ضئيلاً".

رقدت الإمبراطورية العثمانية التي كانت عظمى يوماً ما منبطحه في الهزيمة، وقد أرمقتها ثمانية أعوام من الحرب تكاد تكون متواصلة، عاصمتها مهزومة، وقائتها هاربون، كان البلد مضعضعاً، يعاني الإفقار الشديد، مثبط العزيمة، وقد أخلّى من السكان، وبدا الشعب التركي -وقد هُزم وأذل- على استعداد تقريباً لقبول أى شئ يختاره المنتصرون ليفرضوه عليه^(٦).

ويضيف لويس: "على استعداد تقريباً وليس تماماً، إذ عندما هبط الجيش اليوناني إلى أزمير في مايو ١٩١٩ تحت غطاء من سفن الحلفاء الحربية، التهب أخيراً الغضب الكامن في شعلة لا تخمد"^(٧) ومن ثم كان المسرح معداً لظهور حركة قومية يقودها مصطفى كامل والكماليون في محاولة خندق أخير لإنقاذ بقايا إمبراطورية تركية أُخترلت إلى حد كبير وقد حُبست الآن في النواة الأناضولية.

وقرر الكماليون في ظل ظروف تركيا العثمانية السائدة خلال هذه الفترة من الاحتلال أنه يجب هزيمة الإمبريالية على جبهات ثلاث تكتيكية: قوات الاحتلال الإمبريالية، بيروقراطية القصر العثماني، والبورجوازية البيروقراطية الأقلية^(٨)، ولما كان التركيز الثقيل للقوات الإمبريالية في المناطق الحضرية الكبرى، فإن الكماليين انسحبوا إلى الريف التركي لينظموا ويشنوا الحرب القومية^(٩).

كانت المهمة المباشرة للقيادة هي جمع كل القوى المحاربة عبر الأناضول لتشن هجوماً كلياً ضد الإمبريالية وطبقة عملائها المحليين. وبينما تعاون كبار ملاك الأراضي ورجال الدين مع القصر وقوات الاحتلال الإمبريالية اعتبر الكماليون أن الحلف الطبيعي للقوميين هو حلف أناضولي فلاحى. إنه في هذه المجموعة من صفار المستأجرين الفلاحين في الأناضول الوسطى والشرقية والذين كانوا يعتمدون إلى حد كبير على ملاك الأراضي ورجال الدين، وجدت القيادة القومية قاعدتها الجماهيرية لهزيمة الإمبريالية ولقهر رد الفعل الداخلي الذي كانت ترعاه الدولة وكبار ملاك الأراضي والبورجوازية الكومبرادورية^(١٠)، إن مناورات كمال التكتيكية مع ملاك الأراضي ورجال الدين حتى يشتبك الفلاحون إلى جانب القوميين ضد العدو الرئيسي أدت في المدى القصير إلى ضمان نصر قومي.

مع كمال الذي يناضل من أجل قاعدة قوة مستقلة لبيروقراطية الدولة عبر هذا النصر من يدعموه في حزب سياسى جديد -حزب الشعب- الذى أسسه فى ديسمبر عام ١٩٢٢، وحقت تركيا استقلالها فى أكتوبر ١٩٢٣، وانتخب كمال أول رئيس للجمهورية، وكان ذلك علامة على بداية عهد البورجوازية الصغيرة، والنخبة القومية البيروقراطية، والحركة نحو مؤسسة البورجوازية القومية وتماسكها، مما فتح الطريق أمام تطور رأسمالى قومى مستقل فى تركيا^(١١).

ويكتب توجوت تايلان إن الكمالين "بورجوازية الثورة" انتجوا دولة قوية مركزية تدخلت بنشاط فى كل مناحى الحياة الإجتماعية.

لقد حطمت بصورة لا رجعة فيها القواعد السياسية والقضائية والإيديولوجية لدولة ما قبل الرأسمالية القديمة، ووضعت أسس بناء نوع جديد من الدولة -جمهورية بورجوازية مهدت الطريق للتطور التالى لنمط إنتاج رأسمالى^(١٢).

بدأ دور الدولة يتسع فى الاقتصاد فى العشرينيات من القرن العشرين عندما دخلت فى فروع عديدة من الصناعة المحلية لتطوير البنية التحتية، وتأسيس البنوك، وإعادة تنظيم التجارة^(١٣)، وكان من بين أكثر النشاطات وضوحاً للدولة -فى مجالات الإنتاج الصناعى والشئون المالية- تطوير وتوسيع المشروعات المملوكة للدولة، والخاضعة لسيطرتها، وتأسيس بنوك عديدة كبرى صناعية وتجارية، يضاف إلى ذلك أن الدولة حققت ملكية كاملة لصناعة البترول والسيطرة عليها، والسكك الحديدية، وتسهيلات كبرى للموانئ البحرية وعدد من المشروعات فى صناعة التعدين^(١٤).

وكان للكساد الكبير عام ١٩٢٩ أثر ضخم على الاقتصاد التركى، وقاد ذلك الدولة للقيام بدور أكثر فعالية باعتبارها صاحبة مشروعات خلال الثلاثينيات من القرن العشرين، مضطلة بالعديد من المهام التى كانت تقوم بها تقليدياً البورجوازية الصناعية القومية^(١٥)، وكان على الدولة -مع ازدياد عدد المشروعات العامة من ٤٧٠ عام ١٩٢٧ إلى ١٤٧٣ عام ١٩٣٣- أن تلعب دوراً مركزياً فى الاقتصاد القومى فى نهاية العشرينيات وخلال الثلاثينيات من القرن العشرين، وعلى أى حال، فإنه بينما حسنت تنمية رأسمالية الدولة فى الثلاثينيات من القرن العشرين الوضع الإجمالى للاقتصاد التركى، ووضعت البلاد فى وضع مناسب فيما يتعلق بالصناعة، فإنها زادت حدة التناقضات المتأصلة فى النظام، حيث إن تراكم رأس المال -فى ظل رأسمالية الدولة فى تركيا، خلال تلك الفترة- كان يتحقق أساساً من خلال الاستغلال المكثف للعمل المأجور فى الصناعات العامة مثلما يتحقق من الصناعات الخاصة^(١٦)، وبهذا

المعنى فإن التناقض بين رأس مال الدولة (والرأس مال الخاص) والعمل المأجور شكل التناقض الرئيسى فى تركيا خلال تلك الفترة^(١٨).

إن تناقضات أخرى عديدة داخلية فى نظام رأسمالية الدولة ساهمت فى نفس الوقت فى زيادة الصراع بين الدولة ومختلف الطبقات داخل البلاد، وكان أكثرها حسما ذلك الذى كان بين الدولة وملاك الأراضى والكومبرادور المتحالفين مع الإمبريالية، وقد أحبط ملاك الأراضى كل المحاولات لإعادة توزيع الأرض على صغار المستأجرين والفلاحين الذين لا يمتلكون، وحاولوا منع تطور التعاونيات وتلاعبوا بالبرامج التى كانت تسعى إلى خدمة الفلاحين الفقراء، وذلك بتحويل الاعتمادات العامة الممنوحة للتطوير المحلى للمشروعات لحسابهم الخاص، ومقاومة التطور الرأسمالى للحفاظ على وضعهم الأوليجاركى فى الريف على الفلاحين الذين يعانون الإفقار، كما قاوم الكومبرادوريون الأتراك بالمثل كل محاولات الدولة لتحويلهم إلى رأسماليين صناعيين، كانوا يرون، وقد اعتادوا وضعهم كوسطاء بين ملاك الأراضى والإمبرياليين، وسطاء يقومون بتجارة الإستيراد والتصدير ومشروعات تجارية أخرى، يرون فى سياسة الدولة تهديداً لعلاقاتهم الحميمة مع ملاك الأراضى والإمبرياليين، وبالتالي فإنهم قاطعوا كل الجهود من أجل تطور رأسمالى قومى مستقل تبدأه الدولة^(١٩).

إن هذا الحلف الطبيعى للكومبرادور وكبار ملاك الأراضى يتطابق والمصالح الإمبريالية للولايات المتحدة فى المنطقة، وغدت الولايات المتحدة مستفيدة من الانفتاح المتاح بواسطة أزمة رأسمالية الدولة فيما بعد الحرب فى النصف الأخير من أربعينيات القرن العشرين، وتداخلت أكثر فأكثر لدعم ومساندة قوى ملاك الأراضى - الكومبرادور لمساعدتهم على الوصول إلى سلطة الدولة فى نهاية العقد، ومن ثم فإن أواخر الأربعينيات من القرن العشرين كانت علامة على مرحلة جديدة فى الاقتصاد السياسى التركى فيما بعد الحرب، وقد شهدت هذه المرحلة الطور النهائى والحاسم للصراع بين دولة الكماليين ومصالح ملاك الأراضى - الكومبرادور، والتى استطاعت بفضل الدعم المالى والسياسى الذى قدمته الولايات المتحدة أن تمسك بسلطة الدولة عام ١٩٥٠، إن مجئ قوى ملاك الأراضى - الكومبرادور إلى السلطة، والذى وضع البلاد فى مجرى جديد، ضَمَّنَ قبضة الولايات المتحدة على تركيا، وساعد على تقوية مكانتها فى الاقتصاد الرأسمالى العالمى^(٢٠).

وكما يشير تايلان فإن "الاتجاه الجديد جاء كرد فعل للتغيرات التى ثارت فى الاقتصاد الرأسمالى العالمى عقب آثار كارثة الحرب مباشرة... [وبالمثل] التغيرات فى صف القوى الطبيعية داخل المجتمع التركى، تغييرات يسرت إلى حد كبير التحول الجديد".

إن حكومات حزب الشعب الجمهورى الحاكم المتعاقبة قد أبعدت ملاك الأراضي والبورجوازية الريفية عبر سياسات أضافت إلى تأثيرات مصاعب وقت الحرب، وأضررت إضراراً بالغاً بالقطاع الزراعى، كما إن البورجوازية التجارية الحضرية دخلت هى الأخرى فى صراع متزايد مع حزب الشعب الجمهورى منذ ابتداء ما سمي بـ "الدولانية" (*)، وقد مثل الصدام حول قانون الإصلاح الزراعى لعام ١٩٤٥... الأرضية المباشرة للانشقاق داخل حزب الشعب الجمهورى، وسرعان ما جاء الحزب الديمقراطى الذى تشكل على أسس هذا الانشقاق ليمثل حلفاً من البورجوازية الريفية وكبار ملاك الأراضي مع البورجوازية التجارية الحضرية.

وجاء هذا الحلف يغذيه استياء كتل الفلاحين وقطاعات من البروليتاريا الريفية إلى السلطة عام ١٩٥٠، وحكم البلاد مدة عشر سنوات^(٢١).

جاء حكم الحزب الديمقراطى خلال الخمسينات من القرن العشرين بتحول كلى من نظام رأسمالية الدولة القومية إلى ذيل نيوكولونيالى للإمبريالية تهيمن عليه الاحتكارات عابرة القومية، وقد أدى استياء الجماهير ضد أفعال الحكومة -بسبب سياساتها الداخلية والخارجية- إلى احتجاجات جماهيرية وهبات فى نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، قمعها بوحشية نظام مندريس، وأدت إلى انقلاب عسكرى فى مايو ١٩٦٠، ولم تُوقف الإصلاحات السطحية الساعية لتهدئة غضب الجماهير، لم تُوقف الكتل عن الضغط قدما بمطالب أكثر راديكالية خلال الستينيات، وأدت إلى المزيد من القهر، ثم جاء تحول إلى أقصى اليمين من خلال التدخل العسكرى فى مارس ١٩٧١، ومرة أخرى فى سبتمبر ١٩٨٠، عندما أُحتجز عشرات الآلاف من العمال والنقابيين والطلبة والمتقنين التقدميين والمحامين والصحفيين فى سجون ومعتقلات النظام العسكرى، حيث عذب الكثيرون منهم وماتوا هناك^(٢٢).

وقد عاشت تركيا -خلال عقد الثمانينيات من القرن العشرين- اتجاهاً أصولياً أكثر عمقاً منبثقاً من صعود وانتشار الأصولية الإسلامية، إن رد الفعل الإسلامى ممتداً من نفوذ الثورة الإسلامية فى إيران، تعززه القوى اليمينية صاحبة المصلحة فى الأبقاء على كبح العمل والحركات التقدمية الأخرى التى تهدد النظام خلال تلك المرحلة، جاء ليلعب دوراً هاماً فى الإبقاء على التحكم الاجتماعى، بينما يتحرك المجتمع التركى فى اتجاه أكثر محافظة. كان الحال هكذا فى التسعينيات من القرن

(*) تركيز السلطة الاقتصادية والتخطيط الاقتصادى فى يد الدولة (المترجم)

العشرين، عندما غدا الحكم الإسلامى فى منتصف العقد مؤسسياً فى السياسة التركية. وعلى الرغم من الحركات العسكرية التى جرت منذ عهد قريب ضد القوى الأصولية والتى أدت إلى الاستقالة الجبرية لرأس الدولة، نيكميتين ارباكان، فقد واصلت القوى الإسلامية فرض تهديد خطير على سياسة تركيا العلمانية، فى نهاية التسعينيات من القرن العشرين.

وقد بلغت أزمة النظام النيوكولونىالى فى تركيا ارتفاعات جديدة عام ١٩٩٩ مع ارتقاء حكومة ائتلاف جديد للسلطة، ائتلاف يحتوى على حزب العمل القومى الفاشى باعتباره واحداً من سماسرة السلطة. إن اتحاد السياسات ذات التوجه الرأسمالى المتطرف وتوالى أنظمة الجناح اليميني الرجعى خلال العقدين الماضيين قد كثف تناقضات المجتمع التركى فى نهاية القرن العشرين.

الإمبريالية وبعث القومية فى مصر

تحركت بريطانيا وفرنسا وقوى أوروبية أخرى مع انهيار الإمبراطورية العثمانية فى نهاية الحرب العالمية الأولى، واحتلت الأقاليم المختلفة للإمبراطورية البائدة حالياً، وغدت بريطانيا هى القوة المحتلة المهيمنة عبر الشرق الأوسط، وظلت بالمنطقة خلال النصف الأول من القرن العشرين، ونصبت بريطانيا خلال تلك الفترة من الحكم الكولونىالى سلسلة من الحكومات على استعداد لتلبية المصالح البريطانية فى المنطقة، مشتملة على مصر وفلسطين والأردن والعراق والكويت وسلسلة من الملحقات والتوابع فى الخليج الفارسى.

وبينما أستبقى الحكام المحليون (سلاطين وولاه) كرؤساء شكلين صوريين فإنه غدا على هذه الأراضى أن تقوم بخدمة المصالح الاقتصادية والاستراتيجية البريطانية الإمبريالية، لقد تم تأمين مدخل إلى الزيت ومواد خام أخرى، وضمان ممر إلى الهند والصين وأجزاء أخرى من الشرق الأقصى وطرقها التجارية، وكانت هنالك هيمنة عسكرية على منطقة استراتيجية تربط القارات الثلاث جاعلة شرقى البحر المتوسط والسويس ومنطقة الخليج تحت سيطرة الإمبريالية الغربية، ولعبت مصر دوراً هاماً فى كل هذا بتقديمها استخدام قناة السويس مما يربط أوروبا والبحر المتوسط والمحيط الهندى عن طريق البحر الأحمر.

كان زيت الشرق الأوسط يعتبر حيويًا للمصالح الاقتصادية والاستراتيجية البريطانية، في نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث كان يُنظر إليه باعتبار أنه قد حل محل الفحم كوقود...

وقد كانت قناة السويس أساسية لاستغلال زيت الشرق الأوسط، لم يكن هنالك من عبدان إلى بريطانيا طريق آخر يتمتع بمزيه ما، وأصبح الزيت هو الشحنة الكبرى على الطريق المتجه شمالاً... كانت بريطانيا هي المستخدم الرئيسي لهذا الزيت، وكانت تستورد في الثلاثينيات من القرن العشرين خمسة أضعاف ما يستهلكه أكبر زبون لها^(٢٣).

ويكتب ريشارد س. هويتينج: "لقد لعبت قناة السويس دوراً هاماً في وضع بريطانيا الدولي في بداية هذا القرن".

إذ بينما قربت القناة الهند من بريطانيا فإنها أنت أيضاً إلى توفيرات أكبر في الرحلة من بومباي، أو كلكتا إلى الموانئ الأوروبية... إن مقدرة الاقتصاد الهندي التي تحسنت كثيراً على بيع بضائع مباشرة إلى أوروبا... قد سمحت لذلك البلد بأن يستهلك صادرات بريطانيا... كان ذلك لأنه قد أصبح في وسع بريطانيا مواجهة عجز ونقص تجارتها مع أوروبا بإرسال صادراتها إلى الهند، أعمال شراء تُمول بدورها من مبيعات سلع أولية لأوروبا الصناعية مما جعل وضع بريطانيا يظل وضعاً قابلاً للحياة...^(٢٤)

ومن ثم: "كان يُنظر إلى قناة السويس منذ افتتاحها عام ١٨٦٩ حتى عام ١٩٥٦ باعتبارها سمة رئيسية للاقتصاد البريطاني"^(٢٥) وهي قد لعبت دوراً أساسياً في وضع بريطانيا المهيمن في الشرق الأوسط، كما فعلت بالنسبة لتوسيع إمبراطورتها الكونية، وهذا بدوره أصبح نقطة تجمع للمصريين لتحرير مصر من قيود وأصفاد الإمبريالية البريطانية.

إن الوجدان القومي ينساب عميقاً بين المثقفين المصريين والشباب والضباط الصغار في الجيش الذين استنكروا الاحتلال الإمبريالي لتربتهم، وما تمليه بريطانيا والقوى الأوروبية على حياة أمتهم الاجتماعية والاقتصادية، وقد قامت القوى القومية في الجيش بقيادة جمال عبد الناصر مدعومة بسلسلة من تمردات فقراء الفلاحين والعمال الزراعيين وإضرابات العمال الصناعيين بانقلاب ناجح عام ١٩٥٢ أطاح بالملك والملكية التي كانت تدعمها الإمبريالية البريطانية.

ويكتب كيرك ج. بيتي: "قام الضباط الأحرار في ليلة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ بالسيطرة على الجيش والإطاحة بالحكومة".

كان الاستيلاء على السلطة بلا دماء تقريباً (قُتل أقل من عشرة أشخاص ولم يزد من جرحوا عن ذلك كثيراً) لقد حشد يوسف صديق مصادفة فرقته المكونة من اثني عشر ضابطاً، وفي ستين أو سبعين جندياً من جنود المشاة متقدماً عن برنامج المواعيد المحدد، وقد أمّن السيطرة على مقر القيادة العامة بمساعدة فاروق الأنصاري، وقبض على رئيس أركان الحرب الجنرال حسين فريد وضباط عديدين من نوى الرتب العالية من هيئة أركان الحرب، وتبع ذلك السيطرة على العديد من المعسكرات الحربية والقواعد الجوية، كما تم الاستيلاء على الهدف الباقي الكبير، محطة الإذاعة.

وتم تأمين طريق قنال السويس لمنع تدخل القوات البريطانية^(٢٦).

وأعلنت أخبار الانقلاب في المذيع في صبيحة ٢٣ يوليو، وخلع الملك فاروق في غضون أيام قليلة، وأعلن قادة الانقلاب -وقد أحكموا قبضتهم على مراكز القوة- أعلنوا أنفسهم حكومة جديدة.

حاصرت الدبابات قصر رأس التين في الصباح الباكر من ٢٦ يوليو حيث قاوم البعض من الحرس الملكي في مناوشة نتج عنها سبعة من الجرحى، في هذا الوقت خاف الملك على حياته ووقع مرسوم التنازل عن العرش... وكان على مصر أن تظل ملكية نظرياً لإحدى عشر شهراً أخرى، لكن القرن ونصف من حكم أسرة محمد على كان في الحقيقة قد بلغ نهايته^(٢٧).

إن انتصار الضباط الأحرار في خلع الملكية أدخل مرحلة رأسمالية الدولة في الاقتصاد القومي^(٢٨)، وكما كان الحال في تركيا وأنظمة قومية أخرى، استجمع النظام الناصري دعم قطاعات عريضة من الجماهير، واستخدم الدولة كأداة للتطور الرأسمالي القومي في ظل الحكم البيروقراطي للبرجوازية الصغيرة.

إن الطبيعة الطبقيّة البرجوازية الصغيرة للدولة المصرية في ظل النظام الناصري هي التي أرست إطار الفعل السياسي الذي مارسه الموظفون البيروقراطيون كطبقة خلال هذه الفترة، إن النظام الناصري مخلصاً لطموحات البرجوازية الصغيرة القومية -مخطط التنمية- من خلال التدخل المباشر في الاقتصاد القومي أخذ على عاتقه السير في برنامج اقتصادي قومي شامل يبنى أسس اقتصاد رأسمالي متكامل يمكنه في ذات الوقت الدفع إلى المقدمة بمصالح البرجوازية القومية والصغيرة.

وقد اتخذت الدولة خلال الفترة الأساسية لرأسمالية الدولة عدداً من الإجراءات النوعية لتسهيل تطوير الاقتصاد القومى، وهى... أولاً: أقرت قوانين الإصلاح الزراعى فى أواخر عام ١٩٥٢ لإزالة علاقات الإنتاج شبه الإقطاعية فى الريف، ولتسهيل التصنيع فى المناطق الحضرية، وجاءت بعد ذلك سلسلة من المواد فى دستور ١٩٥٦ حددت الدور الذى يجب على القطاع الخاص أن يلعبه فى خدمة الاقتصاد القومى داخل إطار خطة اقتصادية قومية توجهها الدولة، ويلى هذا مباشرة إقدام الدولة على سياسة تأمين المشروعات الأجنبية بما فى ذلك البنوك، وبدأت فى تطوير قطاع سلع رأسمالية يقوم على التوسع فى صناعة الحديد والصلب^(٢٩).

إن قانون الإصلاح الزراعى أقر فى سبتمبر ١٩٥٢... وصمم لتصفية نظام إقطاعى قد وضع نهاية لشقاء ملايين الفلاحين وضمن تحريك الاقتصاد نحو المزيد من التصنيع، ولقد شدد دستور ١٩٥٦ على ضرورة توجيه رأس المال الخاص نحو خدمة الاقتصاد القومى.

إن تأمين قناة السويس والشركات البريطانية والفرنسية وتمصير البنوك الأجنبية... (قد تم اتخاذه لتسهيل تفويض الدولة وتوكلها) حتى يمكن لمصر أن تصنع سلعها الرأسمالية، ولذا كانت صناعة الحديد والصلب على قمة قائمة أولويات الدولة^(٣٠).

وقد أقدمت الحكومة رداً على الغزو الأنجلو-فرنسى لمصر فى حرب السويس عام ١٩٥٦ على مصادرة كل الممتلكات البريطانية والفرنسية، والدخول فى سياسة انتقامية كبيرة لتأمين وتمصير رأس المال الأجنبى عبر إقرار قوانين تحول الأعمال المملوكة للأجانب إلى المواطنين المصريين وخاصة إلى الحكومة المصرية:

وقد صدرت سلسلة من القوانين عام ١٩٥٧ تجبر كل البنوك الأجنبية وشركات التأمين على تمصير نفسها، وبيعت البنوك الإنجليزية والفرنسية، مثل باركليز وكريدى ليونيه إلى بنوك مصرية، وكان هذا يعنى -بالإضافة إلى تأمين شركة قناة السويس- أن الجزء الأكبر من النصيب الأجنبى فى الاقتصاد المصرى قد تمت تصفيته، وقد نقل الكثير من هذا النصيب إلى الحكومة المصرية، وأنشئ فيما بين ١٩٥٧ و ١٩٦٠ عدد من المنظمات الاقتصادية العامة، بينما تم توسيع تلك الأخرى التى كانت موجودة بالفعل^(٣١).

إن هذا التحويل الكبير للملكية إلى الدولة يسر نمو وتوسيع نصيب الدولة فى الاقتصاد القومى، وأدى إلى بروز أكبر للقطاع العام فى الشؤون الاقتصادية، ودخلت

مصر خلال هذه الفترة فى النشاط القومى فى وحدة قصيرة العمر مع سوريا تحت مسمى الجمهورية العربية المتحدة (وتلك حادثة هامة سوف تتم مناقشتها فى الفصل التالى).

ولعبت الحكومة -وهى تعكس وضعها المركزى فى الاقتصاد- دوراً نشطاً فى إدخال مشروعات تنموية عبر خطط خمسية، وقد تلى هذا المزيد من تأميم الشركات الخاصة فى الصناعة والمال والتجارة والسلع الاستهلاكية، وبهذه الطريقة أخذت الدولة على عاتقها القيام بدور كبير فى تعزيز وتوجيه الاقتصاد القومى نيابة عن رأس المال الخاص، وبذا.. أصبحت الدولة هى العامل الأساسى لتراكم رأس المال، والمصدر الرئيسى للتطوير الرأسمالى الذى نقل مصر إلى دولة رأسمالية نامية^(٣٢).

وقد استمر الدور المركزى للدولة وغدت غالبية الصناعات تحت سيطرة الدولة، وحيث إن الأعمال الكبيرة قد تم تأميمها وغدت تحت ولاية الدولة، فإن القطاع الخاص انحصر فى الإنتاج السلعى على نطاق ضيق والتجارة المحلية داخل إطار سوق تنافسى، وغدت إذن الأعمال الصغيرة هى نمط الرأسمالية القومية فى مجالات الإنتاج والصرف، المجالات التى بقيت خارج حدود الاقتصاد الرأسمالى للدولة.

ورغم أن الدولة قد نجحت فى أهدافها الاقتصادية الخاصة باحتضان التصنيع القومى خلال مرحلة رأسمالية الدولة، فإن المنظر البيروقراطى الضيق لموظفى الدولة منعهم من الوصول إلى فهم واضح للمجتمع المصرى وأقسامه الطبقيّة. لقد انتهى الحكام الجدد بدون منظور طبقى للبنية الاجتماعية السائدة إلى دعم وتعظيم العلاقات الرأسمالية للإنتاج فى ظرف جديد تجيزه الدولة^(٣٣) ولذا فإنه بالإضافة إلى تأميم الشركات الأجنبية وتطوير التعاوينات وتعزيز ملكية الدولة للبنوك والتسهيلات الإنتاجية التى عززت التصنيع القومى، شاهدت هذه الفترة أيضاً التوسع التدريجى لرأس المال الخاص الذى أخذ يتحدى فيما بعد ذلك أسس الاقتصاد الرأسمالى للدولة.

وقد تلى موت عبد الناصر عام ١٩٧٠ صراع مفتوح بين القطاعين العام والخاص، صراع أخذ فى التطور مع دخول الاقتصاد الرأسمالى للدولة فى مرحلة أزمة حادة.

ومن هذه النقطة وصاعداً حقق القطاع الرأسمالى الخاص بعض المكاسب الكبرى وتحدى اقتصاديات الناصرية التى بزغ هو ذاته عنها فى فترة مبكرة^(٣٤).

ويسأل أحمد عظيم: "ماذا كانت بعض الأسباب الحقيقية للتغيرات فى السياسة الاقتصادية بعد وفاة ناصر، ويقدم هو لنا الإجابة التالية:"

أولاً: وقبل كل شيء التعاون التدريجي (وإن كان متصلاً) للبورجوازية التقليدية والجديدة (الدولة) مع إمبريالية الولايات المتحدة، ثانياً: ظهر عقب وفاة عبد الناصر في سبتمبر ١٩٧٠ مستويان من الصراع: الصراع على السلطة بين هؤلاء الذين كانوا قريبين من ناصر، والصراع الطبقي بين المجموعات المتنافسة، ثالثاً: إن السادات في صراعه من أجل السلطة تحالف مع عناصر الجناح اليميني الذين كانوا في الانتظار، رابعاً: زيادة النفوذ النشط- ذي الطبيعة الاقتصادية في الأساس- للأنظمة العربية المحافظة، خامساً: طغيان النفوذ النشط للقوى الغربية وخاصة الولايات المتحدة، كل تلك ساهمت في الانتقال إلى سياسة إقتصادية جديدة سياسة "الباب المفتوح" والتي سُميت بـ "الانفتاح"^(٣٥).

ويقول عظيم: إنه كان للانفتاح أهداف ثلاثة: "جذب رأس المال الأجنبي؛ وتشجيع القطاع الخاص؛ وتغيير طبيعة القطاع العام المصري".

وقد شددت الحكومة على مزايا وفوائد رأس المال الأجنبي، وقامت وسائل الاتصال الجماهيرية الرئيسية القوية بحملة شديدة في صالح دعوة رأس المال الأجنبي، وكان الدافع الحقيقي وراء مثل تلك التصريحات على أي حال هو خطة تحويل البنية الاقتصادية في اتجاه تفويض وتفكيك القطاع العام^(٣٦).

إن التكامل التدريجي لمصر في الاقتصاد الرأسمالي العالمي خلال هذه المرحلة مهد الطريق لتآكل رأسمالية الدولة وظهور طبقة رأسمالية قومية (سابقاً بيروقراطية) متحالفة مع المصالح التجارية الكبرى ومصالح امتلاك الأراضي، إنهم معا يقودون ائتلاف قوى طبقية مهيمنة تعتمد على الإمبريالية.

إن الانتقال إلى اقتصاد رأس مالي تابع نيوكولونيالي عزز، علاوة على ذلك، اختراق رأس المال الأجنبي لمصر خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، وعكس الاتجاهات التي كان يُعمل بها في باكورة الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، ومع تحول ميزان القوى في الاقتصاد العالمي في فترة ما بعد الحرب لصالح الولايات المتحدة، غدا استثمار الولايات المتحدة، وغدت مصلحتها في مصر أكثر ظهوراً وبروزاً في سنوات ما بعد ناصر، وقد بلغ إجمالي الاستثمارات الأجنبية والمشاركة في أوائل الثمانينيات من القرن العشرين ١٠ مليار دولار؛ وباستثناء قطاع البنوك فإن الغالبية من تلك الاستثمارات جاءت من الولايات المتحدة^(٣٧).

إن تطور النيوكولونياتية في مصر كان الناتج المنطقي لتطور رأسمالية الدولة الذي عزز ودعم رأس المال المحلي والذي غدا في ظروف الهيمنة الإمبريالية على النطاق العالمي غدا ملحقا بطريقة لا مفر منها برأس المال الأجنبي في علاقة جديدة أكدت البقاء المحدود السابق، ولذا فإنه -كما في تركيا وأماكن أخرى من العالم الثالث- سهلت رأسمالية الدولة في مصر التحول إلى رأسمالية نيوكولونياتية تعتمد على الإمبريالية، إن مجرى التطور المتبع في مصر اليوم في نهاية القرن العشرين قد أدى إلى زيادة التقسيمات والصراعات بين القوى الطبقية المتنازعة في المجتمع المصري، وأوجد حالة غير مستقرة مع ملابس كثيفة لكل الشرق الأوسط^(٢٨).

خاتمة

إن صعود القومية والحركات القومية في الشرق الأوسط -تلك التي ناضلت لكسب الاستقلال من الهيمنة الكولونياتية والإمبريالية خلال القرن العشرين- قد أدى إلى وجود تنويع من أزمة رأسمالية الدولة في المنطقة في مرحلة ما بعد الحرب، إن صعود النضالات القومية خلال هذه الفترة لعب دوراً هاماً في مقاومة الهيمنة الإمبريالية.

وقد نمت تلك الأنظمة مع الوقت ونضجت إلى دول رأسمالية نامية إلى حد ما في النصف الأخير من القرن العشرين، إن مثل ذلك المنظور إلى الطريق الرأسمالي قد أدى إلى ظهور قوى طبقية جديدة أصبحت أداة في إعادة توحيد تلك الدول المستقلة حديثاً في الاقتصاد العالمي من خلال تحالفات نيوكولونياتية جديدة.

إن تجربة تركيا ومصر على طريق رأسمالية الدولة القومية هذه يوضح أنه رغم أصلهما المعادي للإمبريالية فإن التراكم الرأسمالي في بلدان العالم الثالث، والذي ظل محكوماً داخل إطار الاقتصاد العالمي بواسطة الدول الإمبريالية لابد وأن يقود بطريقة لا مهرب منها إلى النيوكولونياتية، إن الدولتين القوميتين الراديكاليتين اللتين تناولناهما بالبحث في هذا الفصل يصوران عملية التطور الرأسمالي في نهاية القرن العشرين، والذي يُحدد ويُعرف معايير الاقتصاد السياسي الكوني المعاصر.

الهوامش

- [1] Bernard Lewis, *The Emergence of Modern Turkey*, 2d ed. (New York: Oxford University Press, 1969), pp. 210-38
- [٢] برنارد لويس، "بزوغ تركيا الحديثة"، الطبعة الثانية (نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد، ١٩٦٩)، ص.ص. ٢١٠-٢٨.
- [2] Feroz Ahmad, *The Young Turks: The Committee of Union and Progress in Turkish Politics, 1908-1914* (London: Oxford University Press, 1969); E.E. Ramsaur, *The Young Turks: Prelude to the Revolution of 1908* (Beirut: Khayat, 1965).
- [٢] فيروز أحمد، "تركيا الفتاة: لجنة الإتحاد والترقي في السياسة التركية، ١٩٠٨ - ١٩١٤" (لندن: مطبعة جامعة أوكسفورد، ١٩٦٩)، أ.أ. رمساور، "تركيا الفتاة - مقدمة لثورة ١٩٠٨ (بيروت: خياط، ١٩٦٥)
- [٢] لويس، "بزوغ تركيا الحديثة"، ص.ص. ٢٣٩ - ٤٠.
- [٤] المرجع السابق، ص. ٢٤٠.
- [٥] المرجع السابق، ص. ٢٤١.
- [٦] المرجع السابق.
- [٧] المرجع السابق.
- [٨] تتكون "البورجوازية الكومبرادورية" من شرائح من الطبقة الرأسمالية المحلية التي ارتبطت بتجارة الاستيراد والتصدير ونشاطات أخرى في علاقة مباشرة بالمراكز الامبراطورية.
- [9] Berch Berberoglu, *Turkey in Crisis: From State Capitalism to Neo- Colonialism* (London: Zed Press, 1982), p. 9.
- [٩] بيرش بيربروجلو، "تركيا في الأزمة: من رأسمالية- الدولة إلى النيوكولونيالية" (لندن: مطبعة زد، ١٩٨٢) ص. ٩٠.
- [١٠] المرجع السابق.
- [11] Ibid., p. 11. See also Hüseyin Ramazanoglu, "A Political Analysis of the Emergence of Turkish Capitalism, 1839- 1950," in *Turkey in the World Capitalist System*, ed. Ramazanoglu, pp. 54-66.
- [١١] المرجع السابق، ص. ١١، أنظر أيضاً حسين رامازانوجلو، "تحليل سياسي لبزوغ الرأسمالية التركية ١٨٣٩ - ١٩٥٠"، في "تركيا في النظام الرأسمالي العالمي"، تحرير رامازانوجلو، ص.ص. ٥٤ - ٦٦.
- تعريف "البورجوازية الصغيرة" هنا باعتبارها مكونة من هؤلاء الذين يمتلكون ولا يسيطرون على وسائل الإنتاج، غير أنهم لا يوظفون لديهم عمالا مأجورين - لقد نُظر تقليدياً إلى الذين يقومون بوظائفهم

بأنفسهم (أو أصحاب المتاجر الصغار والحرفيين وفلاحى الأرض) باعتبارهم لب هذه الطبقة، كما تتضمن البورجوازية الصغيرة أيضاً المهنيين والبيروقراطيين الحكوميين متوسطى المستوى، وكذا قطاعات وسطية أخرى من المجتمع عامة. إن البورجوازية الصغيرة باعتبارها طبقة وسطية فإنها تقع بين الطبقة (الطبقات) الحاكمة المهيمنة والطبقة العاملة، وهى تشاركهما خصائص معينة منها، إنها مثلها مثل البورجوازية الكبيرة وملاك الأراضى تمتلك أو تتحكم فى وسائل الإنتاج، ومثلها مثل الطبقة العاملة مرتبطة مباشرة بعملية الإنتاج حيث تقدم قوتها العاملة، ولذا فإن البورجوازية الصغيرة ليست طبقة استغلالية ولا طبقة مُستغلة، وبينما يطمح أفراد هذه الطبقة فى أن يصبحوا رأسماليين كباراً، فإن مصالحهم المباشرة تتركز حول حماية وضعهم كمنتجين صغار مستقلين أو حرفيين، ونحن عندما نتناول القطاعات العسكرية والمدنية لبيروقراطية الدولة باعتبارها بورجوازية صغيرة فإن ذلك ليس لأن البيروقراطية تحتل فى ذاتها وصفاً متوسطاً داخل طبقات المجتمع، ولكن لأن الضباط فى أكثر مجتمعات العالم الثالث فيما بعد الكولونيالية أو النيوكولونيالية، فى كل من تلك القطاعات (وخاصة الضباط الصغار فى الجيش، والذين هم غالباً القادة الأساسيين الذين يحرصون ويحثون على الانقلابات العسكرية المعادية للإمبريالية) إنما هم خارجون عن صفوف البورجوازية الصغيرة

[12] Turgut Taylan, "Capital and the State in Contemporary Turkey," Khamsin. no. 11 (1984): 7-8.

[١٢] تورجوت تايلان، 'رأس المال والدولة فى تركيا المعاصرة'، خمسين، رقم ١١ (١٩٨٤) ٧-٨.

[13] Çağlar Keyder, State and Class in Turkey (London: Verso, 1987), pp. 91- 115.

[١٣] كاجلار كيدر، 'الدولة والطبقة فى تركيا' (لندن: فيرسو، ١٩٨٧)، ص.ص. ٩١-١١٥.

[١٤] المرجع السابق.

[١٥] تتكون البورجوازية الصناعية القومية أو ببساطة 'البورجوازية القومية' من ذلك الجزء من طبقة الرأسماليين المحليين الذى يمتلك السيطرة على وسائل الانتاج الصناعى، بينما البورجوازية الكومبرادورية مركزة أساساً فى تجارة الاستيراد والتصدير ومرتبطة بشكل مباشر مع المراكز الإمبريالية. وللبورجوازية القومية مصالح محلية ولذا توجد لها قاعدة قومية، إن قومية الرأسماليين الصناعيين هى ناتج اهتمامهم بصيانة وحماية الملكية فى وسائل الإنتاج الموجودة داخل حدود أرضهم القومية.

[16] H. Derin, Türkiye' de Devletçilik (Statism in Turkey) (Istanbul: Cituri Biraderler, 1940), p. 83. See S. Aksoy, Türkiye'de Toprak Meselesi (The land question in Turkey), (Istanbul: Gerçek Yayınevi, 1971), pp. 52-67.

[١٦] هـ. ديرين، 'الدولانية فى تركيا' (اسطنبول: سيتورى بيرادرلر، ١٩٤٠)، ص. ٨٣. لقد اتخذت الدولة أيضاً عدداً من الخطوات الهامة فى هذه الفترة للتعبيل بعملية التراكم الرأسمالى فى الريف فى موازاة لعملية تنمية وتوسيع الصناعة المحلية، وكان من بين تلك الخطوات إلغاء 'العشور' (ضريبة العشر) عام ١٩٢٥ وتوزيع الأرض على الفلاحين المعدمين عن طريق قوانين عام ١٩٢٧ و١٩٢٩، وحدث نتيجة ذلك توزيع إجمالى ٧١١٤٣١٥ دونم (أو ١٧٧٨٥٧٨٧ أكر) من الأرض عام ١٩٢٤ لهؤلاء الذين بلا أرض، انظر س. أكسوى، 'مسألة الأرض فى تركيا'، (اسطنبول، جيرسيك يابنيقى)، ص.ص. ٥٢-٥٧.

(١٧) 'رأسمالية الدولة فى العالم الثالث هى نوع من النظم يتحدى النظام الاجتماعى النيوكولونىالى، ويتخذ موقفا معاديا لرأس المال الأجنبى حتى ييسر تراكم رأس المال القومى، حيث إن القوى الطبقية المتعاطفة مع تنمية رأس المال القومى قد أمسكت بسلطة الدولة، وحلت محل حكم كتلة سلطة النيوكولونىالية القديمة.

إننا نؤكد أن الدولة فى ظل رأسمالية الدولة فى العالم الثالث قد هيمنت وسيطرت بواسطة البورجوازية الصغيرة وهى تقود قطاعات من بيروقراطية الدولة العسكرية والمدنية.

[١٨] بيربروجلو 'تركيا فى الأزمة'، ص.ص. ٢٤-٦٥.

[19] Dogu Ergil, "From Empire to Dependence: The Evolution of Turkish Underdevelopment" (Ph.D. diss., State University of New York at Binghamton, 1975).

[١٩] دوجو إرجيل، 'من الإمبراطورية إلى التبعية نشوء التخلف التركى' (مبحث دكتوراة فى الفلسفة، جامعة الدولة نيويورك فى بينجها متون، ١٩٧٥).

[٢٠] رامازانوجلو، 'تركيا فى النظام العالمى الرأسمالى'، ص.ص. ٦٩-٧٠.

[٢١] تايلان، رأس المال والدولة فى تركيا المعاصرة، ص.ص. ١٠-١١.

[٢٢] بيربروجلو، 'تركيا فى الأزمة'، ص.ص. ١٢٨-٢٢.

[23] Richard C. Whiting, "The Suez Canal and the British Economy 1918- 1960," in Imperialism and Nationalism in the Middle East, ed. Keith M. Wilson (London: Mansell 1983), p. 84.

[٢٢] ريشاردس. هويتينج، 'قناة السويس والاقتصاد البريطانى ١٩١٨- ١٩٦٠ فى 'الإمبريالية والقومية فى الشرق الأوسط'، تحرير كيف م. ويلسون (لندن. مانسيل، ١٩٨٢)، ص. ٨٤.

[٢٤] المرجع السابق، ص. ٧٩.

[٢٥] المرجع السابق، ص. ٧٦.

[26] Kirk J. Beattie, Egypt During the Nasser Years (Boulder, Colo.: Westview Press, 1994), pp. 66-67.

[٢٦] كيرك ج. بيتى، 'مصر خلال سنوات ناصر' (بولدر، كولورادو: مطبعة وست غيو، ١٩٩٤)، ص.ص. ٦٦-٦٧.

[27] Peter Mansfield, Nasser's Egypt (Baltimore, Md.: Penguin, 1965), p. 43.

[٢٧] بيتر مانسفيلد، 'ناصر مصر'، (بليتمور، مميلاند: مينجوين، ١٩٦٥)، ص. ٤٣.

[28] Samir Amin, The Arab Nation: Nationalism and Class Struggles (London: Zed Press, 1978).

[٢٨] سمير أمين، 'الأمة العربية: القومية والصراع الطبقي' (لندن. مطبعة زد، ١٩٧٨).

[29] Ahmad N. Azim, "Egypt: The Origins and Development of a Neo-colonial State," in Power and Stability in the Middle East, ed. Berberoglu, p. 4.

[٢٩] أحمد ن. عظيم، "مصر: أصول دولة نيوكولونيالية وتطورها"، في "القوة والاستقرار في الشرق الأوسط"، تحرير بيربيروجلو، ص. ٤٠.

[٣٠] المرجع السابق.

[٣١] مانسفيلد، "ناصر مصر"، ص ١٣٥.

[٣٢] المرجع السابق، ص.ص. ٤-٥.

[33] Mahmoud Hussain, *Class Conflict in Egypt, 1945- 1970* (New York: Monthly Review Press, 1973). See *ibid.*, pp. 104-9.

[٣٣] محمود حسين، "التراعات الطبقية في مصر"، ١٩٤٥-١٩٧٠ (نيويورك: مطبعة مونثلي ريفيو: ١٩٧٣). إن حسين ينظر في الحقيقة خطوة أكثر إلى الأمام في تقصى دور الدولة (وبور بيروقراطية دولة البورجوازية الصغيرة) في عملية التراكم، ويقول إنه بفضل وضعهم الاستراتيجي في السيطرة على ممتلكات الدولة تحول موظفو الدولة إلى طبقة جديدة مهيمنة "بورجوازية دولة" لها مصالح معاصرة لتلك التي للطبقات الحاكمة، حيث إنها استفادت مباشرة من التنمية الرأسمالية (التي توجهها الدولة) أنظر المرجع السابق، ص.ص. ١٠٤-١٠٩.

[34] Mark Cooper, "Egyptian State Capitalism in Crisis," in *The Middle East*, ed. Talal Asad and Roger Owen (New York: Monthly Review Press, 1983). See also Joel Beinin, "Egypt's Transition Under Nasser," *MERIP Reports* 107 (July/August 1982).

[٣٤] مارك كوبر، "رأسمالية الدولة المصرية في أزمة"، في "الشرق الأوسط"، تحرير طلال أسد وروجر أوين (نيويورك: مونثلي ريفيو، ١٩٨٣). أنظر أيضاً جويل بينين، "تحول مصر في ظل ناصر"، تقارير ميريب ١٠٧ (يوليو/ أغسطس ١٩٨٢).

[٣٥] عظيم "مصر: أصول دولة نيوكولونيالية وتطورها"، ١١.

[36] *Ibid.* See also Ghali Shoukri, *Egypt: Portrait of a president* (London: Zed Press, 1981).

[٣٦] المرجع السابق، أنظر أيضاً غالي شكري، "مصر: صورة رئيس" (لندن، مطبعة زد، ١٩٨١).

[37] Jim Paul. "Foreign Investment in Egypt," *MERIP Reports* 107 (July/ August 1982): 17.

[٣٧] جيم باول، "الاستثمار الأجنبي في مصر"، تقارير ميريب ١٠٧ (يوليو/ أغسطس ١٩٨٢) ١٧، الاستثمار الأجنبي في مصر خلال هذه الفترة كان الأكثر ثقلًا في البترول والمصارف والكيماويات وفروع أخرى في الصناعات وخاصة الأليكترونيات ومعدات النقل.

[38] See Charles Tripp and Roger Owens, eds., *Egypt Under Mubarak* (London: Routledge, 1989).

[٣٨] أنظر تشارلز تريپ وروجر أوينز، محرران، "مصر في ظل مبارك" (لندن: روتليدج، ١٩٨٩).

الفصل الرابع

الإمبريالية والبعث القومي في الشرق الأوسط
.. سوريا والعراق ..

ظلت المنطقة التي تتكون من سوريا والعراق اليوم جزءاً من أراضي الإمبراطورية العثمانية مدة أربعة قرون منذ باكورة القرن السادس عشر حتى باكورة القرن العشرين، وأصبحت سوريا والعراق وبالمثل الأراضي المجاورة للبنان وفلسطين وشرق الأردن تحت سيطرة وولاية القوتين العظميين بريطانيا وفرنسا.

وقد طالب البريطانيون والفرنسيون -وهما يقتسمان تلك الأراضي فيما بينهما- بمناطق مختلفة من الإمبراطورية، إذ طالبت فرنسا عصبية الأمم أن تقوم هي بالانتداب على سوريا ولبنان، وطالبت بريطانيا أن تقوم بالانتداب على العراق، وقد حولت هذه المنطقة إلى نقطة أمامية للغرب، إذ دام الانتداب البريطاني والفرنسي على تلك الأراضي حتى منتصف القرن العشرين.

ويدرس هذا الفصل أثر الإمبريالية وأصول القومية وتطورها في سوريا والعراق، لقد كان رد الفعل في مواجهة الاحتلال الكولونيالي للأراضي العربية عبر المنطقة، هو شن الحركات القومية في تلك البلدان لنضال طويل الأمد للاستيلاء على سلطة الدولة ونجحت تلك الحركات في تحقيق هدفهما في تأسيس دولة قومية مستقلة في سوريا والعراق على التوالي.

الإمبريالية ورد الفعل القومي في سوريا

إن فلاحى سوريا والمنتجين الصغار للسلع الذين خضعوا ذات مرة لحكم وتبعية الدولة العثمانية المستبدة أصبحوا بصورة متزايدة تحت سيطرة كبار ملاك الأراضي والتجار والرأسمالية الذين كانوا في السلطة بفضل النظام الكولونيالي أثناء الانتداب الفرنسي، بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى. وقد ازدهرت علاقات الإنتاج شبه الإقطاعية في الريف وعززت العلاقات الرأسمالية في التجارة والصناعة في المناطق الحضرية مثل دمشق وحلب، وتحولت بيروت في لبنان المجاورة بسبب موقعها الجغرافي الخاص إلى مركز تجارى إقليمى تسهل اختراق رأس المال الفرنسى لسوريا ولباقى الشرق الأوسط^(١).

ويكتب ديريك هويوود "كانت سوريا هي الأخيرة في خط طويل من الأراضي التي سقطت في فلك الإمبراطورية الفرنسية.

دخل الفرنسيون كفاتحين.. وأمسك المفوضون الساميون بكل السلطة، وكان الثلاثة الأول منهم جنرالات اكتسبوا خبرة كولنيالية في أفريقيا، وحتى يمارسوا الإدارة من وراء واجهة سورية عينوا موظفين ومستشارين فرنسيين، كان الإنفاق العسكى فى سوريا عشرة أمثال الإنفاق على مشروعات مدنية، وكان على فرنسا أن تستخدم دائما قواتها العسكرية (أو التهديد بها) للمحافظة على سلطتها^(٢).

وقد لجأت فرنسا إلى استخدام سياسة فرق تسد، وهى أسلوب كولونىالى قديم للإبقاء على سيطرتها على الشعوب الخاضعة لها بإثارة مختلف الديانات والمجموعات الاثنية ضد بعضها البعض لتحقيق غاياتها. ويكتب نيكولاس فان دام "استقرت الطائفية عمدا، فى ظل الانتداب الفرنسى، لمنع أو قهر نهوض قومية العرب".

وقد حبنت فرنسا كجزء من سياسة فرق تسد التجنيد العسكى لوحدات خاصة من بين العلويين والدروز والأكراد والشراكسة وأقليات أخرى، شكلت حينذاك جزءاً من "القوات الخاصة للشرق الأدنى" التى استخدمت للحفاظ على النظام وقهر المتمردين المحليين، إن حقيقة كون تلك القوات كانت مكونة أساسا من أقليات زاد من حنق واستياء السنة المتحشين بالعربية، كما استثير أيضا النفور بين الأقليات الدينية والاثنية وفى داخلها عن طريق حقيقة تحريض فرنسا لقائد قبلى ضد قائد قبلى آخر.^(٣)

ورغم تلك التقسيمات التى غذتها الكولونىالية الفرنسية للإبقاء على قبضتها الشديدة على سوريا، فإن رد الفعل فى مواجهة الحكم الكولونىالى القمعى فوق الأرض اتخذ أكثر فأكثر صفة قومية. لقد ظهرت القومية فى سوريا باعتبارها أيديولوجية جماهيرية علمانية تقوم على خبرة توحيدية للصراع من أجل هوية قومية واستقلال قومى.

لقد دام الانتداب الفرنسى على سوريا حوالى ثلاثة عقود، كان هناك خلالها صراع دائم من جانب الوطنيين السوريين لانتزاع السلطة السياسية من الفرنسيين، وقد تطور الصراع القومى فى سوريا عبر مجرى "الانتداب الفرنسى" فى عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٤٦، وقد شاهدت هذه الفترة التمرد الكبير عام ١٩٢٥ والإضراب العام عام ١٩٣٦، وبالمثل كذلك نشاطا قوميا ممتداً ضد النظام الكولونىالى. وقد واصلت الحركة القومية الضغط من أجل استقلال سوريا، وقاومت من أجل النهاية المريرة لإجبار فرنسا على التخلّى عن ما استحوذت عليه كجائزة كولونىالية، ولم تعد فرنسا -وقد أضعفتها هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية- وهى تواجه احتجاجات ومظاهرات متزايدة فى دمشق ومدن أخرى فى سوريا، لم تعد بقادرة على الحفاظ على قبضتها القوية على

هذه الأراضي، وطردت من سوريا عام ١٩٤٦ العام الذي كسبت فيه سوريا استقلالها.^(٤)

وقد مرت سوريا خلال العقد الذي تلى استقلالها بمرحلة من الانقلابات والانقلابات المضادة، بما فيها ثلاثة انقلابات عام ١٩٤٩، وواحد عام ١٩٥١، وآخر عام ١٩٥٤ بواسطة قوى سياسية متنافسة، تتنافس على سلطة الدولة باستخدام الجيش كوسيلة لإنجاز أهدافها.

وقد وضع الانقلاب الأول في سوريا ما بعد الاستقلال فيما بعد الحرب في فلسطين وضع أسس الدور المركزي للعسكرية السورية في الشؤون السياسية، والذي سوف يصبح ملمحا للسياسة السورية لعقود قادمة. ويكتب تابيتا بيتران "لقد خلق السخط الشعبي والصراعات والانتهاكات والانتهاكات المضادة بالفساد، خلقت حالة قريبة من الفضولية، وفي ٢٩ مارس ١٩٤٩ أمسك الكولونيل الزعيم بالسلطة وعزل ونفى الرئيس القوتلي وحل البرلمان وأقام حكما عسكرياً^(٥)، ويواصل بيتران "إن هذه الإطاحة الأولى، في العالم العربي بعد الحرب الفلسطينية كانت قد هندستها السفارة الأمريكية في دمشق.

إن إحياءات الدور التوجيهي للولايات المتحدة الذي قدمه ميلز كويلاند عضو فريق السفارة عام ١٩٦٩ قد أكد الشكوك السورية التي دامت طويلا.

بدأت الجيوش بالنسبة لواشنطن الساعية لإيجاد سياسة تسد الطريق أمام الشيوعية وتتحدى التفوق البريطاني في المشرق العربي، بدأت الجيوش العربية (والتي نظمت أساسا كقوى شرطة محلية) باعتبارها القوى الأكثر احتمالا لتحقيق نفوذ وطيد في منطقة تهددها الاضطرابات الجماهيرية.^(٦)

إن الانقلابات التالية والانقلابات المضادة قد دفعت سوريا وجذبتها داخل وخارج تحالفات متعددة مع تأثير أكبر أو أقل للولايات المتحدة طبقا للنظام الذي في السلطة:

كانت الثمرة الأولى الأمريكية هي انقلاب الزعيم (في مارس ١٩٤٩) وبعد غزل مع العراق أقام الزعيم علاقات وثيقة مع مصر والعربية السعودية، غير أنه سرعان ما أطاح به الكولونيل سامي الحناوي في انقلاب هندسته العراق في أغسطس بدعمه بريطانيا في الغالب، وقد حاول الحناوي جذب سوريا إلى المعسكر الهاشمي، وفي ديسمبر عندما بدأ الاتحاد مع العراق وشيكا أطاح الكولونيل أنيب الشيشكلي بالحناوي وأعاد الشيشكلي سوريا إلى الفلك السعودي- المصري وأعيد الأمر إلى سابق عهده عن طريق إجراء يقوم على النفوذ الأمريكي.^(٧)

إن النشاط السياسى الزائد أثناء سلسلة الانقلابات العسكرية التى وقعت خلال السنوات الأساسية لفترة ما بعد استقلال سوريا، كانت انعكاسا للصراعات الطبقية التى استمرت بعد الإطاحة بالملكية، لقد كانت الانقلابات والانقلابات المضادة خلال هذه الفترة هى البيانات السياسية للصراعات بين مختلف الطبقات والفئات الطبقية التى تسعى جاهدة للإمساك بسلطة الدولة، وخاصة الصراع فى القوى الشعبية التى حشدتها رهافة الإحساس القومى، وكذا أيضا المصالح الطبقية لعبت على أى حال دورا متساوى القوة فى صياغة الأحداث خلال هذه الفترة.

ويكتب بيتران "بلغت حركة الفلاحين ذروتها عام ١٩٥٠ و ١٩٥١. كان الفلاحون هائجين ثائرين فى كل أجزاء البلاد، ورفض الفلاحون آراء الحكومات الإقطاعية والأقسط المستحقة وألغوا تلك الممارسات بطريقة فعالة فى غالبية المناطق.^(٨)

عندما بدأ العمل الاحتجاجى فى "الغاب" حارب الفلاحون ملاك الأراضى الذين جاؤا ليضعوا أيديهم على الأرض، وطرد ملاك الأراضى الفلاحين من قراهم، وقتلوا مواشيهم، وتحرشوا بهم بكل السبل الممكنة غير أن قرى أخرى قدمت ملجأ للفلاحين المطرودين، وظل الفلاحون متحدين ضد ملاك الأراضى، وفى منتصف سبتمبر ١٩٥١ تجمع آلاف المتمردين من كل أنحاء سوريا فى مؤتمر فلاحى عقده حزب الحورانى الاشتراكى العربى فى حلب وهنا رفعوا شعار "الأرض للفلاحين" وطالبوا بإصلاح زراعى حقيقى وقانون ينظم العلاقات بين ملاك الأراضى والفلاحين، وقد أضيف المؤتمر صفة سياسية على نضال الفلاحين.^(٩)

وقامت القوى المحافظة المتحالفة مع الولايات المتحدة والعناصر اليمينية داخل الجيش مع ازدياد انتشار النضال السياسى للطبقات المقهورة فى سوريا، فى طول البلاد وعرضها، قامت بالضغط قدما لتقوية قبضتها عبر معسكر آخر يقوده -عام ١٩٥١- الكولونيل الشيشيكلى الذى شدد من تسلطه عبر ديكتاتورية عسكرية للجناح اليمينى. وقام الشيشيكلى كجزء من استراتيجية لوقف اضطرابات الفلاحين، قام "بتوجيه عملية قمع لا رحمة فيها ضد الفلاحين، وقامت قوات الجندرية والجيش بإخراج الفلاحين من قراهم وطردهم من مناطق إقامتهم وسحب الآلاف من الفلاحين وعذب الكثيرون منهم.^(١٠)

إن الهياج والاضطراب السياسى فى سوريا خلال هذه الفترة قد أبقي على أى حال على الزخم المعادى للنظام، وأجبره على الوصول إلى اتفاق مع الأزمة المهددة وأجبرت

القيادة العسكرية العليا عام ١٩٥٤ نتيجة ذلك على الاستقالة، وأطيح بديكتاتورية الشيشكلي العسكرية.

إن الانتقال إلى سياسة انتخابية، ودور الأحزاب السياسية في نشاط قومي سياسي خلال أواخر الخمسينيات من القرن العشرين- خاصة حزب البعث والأحزاب الأخرى التي تتبنى النقابات والمنظمات العمالية الأخرى مثل الحزب الشيوعي- أعد المسرح من أجل تحول الاقتصاد السوري، وحقق ضغطاً على الدولة كي تلعب دوراً نشطاً تقديمياً في الاقتصاد القومي. ومع بعث القومية في العالم العربي عقب أزمة السويس، أدخلت القوى القومية البورجوازية الصغيرة المسيطرة على الدولة السورية في أواخر الخمسينيات في القرن العشرين، أدخلت سياسة رأسمالية الدولة التي حددت مجرى التنمية الاقتصادية في السنوات التالية، وقد فتحت هذه العملية الطريق للوحدة مع مصر (نظام قومي آخر ينهج رأسمالية الدولة) من خلال تكوين الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨.^(١١)

وقد أعلن الرئيسان ناصر والقوتلي- تكوين الجمهورية العربية المتحدة. كانت حركة في المجهول، تم الاتفاق عليها في حرارة الحماس، وأعلن البيان المشترك: "إن المشاركين بإعلانهم تلك القرارات يشعرون بفخر كبير وسعادة غامرة في معاونتهم على إنجاز هذه الخطوة الإيجابية على طريق الوحدة والتضامن العربي".^(١٢)

كانت وحدة مصر وسوريا تُعدّ بجمع دولتين عربيتين قويتين وبذا تثبت روابط القومية العربية، وقد ووفق على اتفاقية الوحدة عن طريق استفتاء، في كل من البلدين، وأُنتخب ناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة الجديدة، وسرعان ما "زار ناصر دمشق حيث رُحب به ترحيباً عارماً إذ خرج الآلاف إلى الشوارع لتحيته، تحية القائد العربي الأكثر شعبية على الإطلاق، وكانت العروبة في أوج مجدها".^(١٣)

وتحت نشوة الفرح تلك لم تكن كل أمور الوحدة جيدة على أي حال، كما كان متصوراً في الأصل. "كان على الجمهورية العربية المتحدة أن تتكون من إقليمين- الشمالي والجنوبي- وكانت القاهرة هي العاصمة، وهنا كمن جذر المشاكل- العلاقة غير المتساوية وعدم إدراك المصريين"^(١٤) لقد كان ناصر قادراً عند المطالبة بوحدة شاملة في ظل إملاء مصري أن يفرض شروطه هو على تحالف هش، لم يكن متكافئاً منذ البداية تماماً.

لقد طالب بوحدة شاملة وبإلغاء الأحزاب باستثناء اتحاده القومى وامتتاع الجيش السوري عن السياسة.... وقد فصل بالإضافة إلى حل الأحزاب السورية ضباط الجيش وأرسل مسئولى أمن مصريين إلى سوريا.

وفى أكتوبر ١٩٥٨ عُين فى مجلس وزراء جديد ١٤ وزيرا مصريا من ٢١ وزيرا (مشتغلين على أكثر الوزراء أهمية) وقد أبعدت حركات أخرى لناصر قطاعا كبيرا من السكان ملاك الأراضي الذين كرهوا خطط الإصلاح الزراعى والسياسى الذين فقدوا السلطة ورجال الأعمال والجيش.^(١٥)

وكان هناك استياء فى سوريا خلال السنوات الثلاث التالية، ويأس فى صفوف أعضاء البعث، وزوال الوهم بين الشعب السوري نحو هذا الدمج غير المتوازن، بوضوح كان فرض حكم مركزى من القاهرة لمواجهة مشاكل الوحدة ليس بالحل على وجه الإطلاق ومن ثم فقد كان المسرح معدا للجيش السوري كى يتحرك: وفى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ تحركت وحدات من الجيش كانت متمركزة خارج دمشق إلى العاصمة حيث لحقت بها وحدات أخرى وأعلنت هبة قومية.^(١٦) وبذا انتهت الوحدة، لقد دام إدماج البلدين ثلاث سنوات فقط، وأعادت قوى البعث فى سوريا تنظيم نفسها فى غضون عام ونصف عام من نهاية وحدة الجمهورية العربية المتحدة ونجحوا فى استعادة السلطة عبر انقلاب فى ٨ مارس ١٩٦٣ ورغم أن دور البعث فى الانقلاب كان الأقل أو كان غير موجود فى البداية، غير أن العناصر الانفصالية اليمينية داخل البعث لعبت دورا هاما داخل بنية الدولة بمجرد أن تمكنت قبضة الجيش من سلطة الدولة، وقد جرت محاولتان انقلابيتان لاستعادة السيطرة الناصرية على الدولة (واحدة فى إبريل والأخرى فى يوليو) وفشلتا، وكانت نتائج الثانية مأساوية حيث قتل سبعون شخصا على الأقل وجرح الكثيرون، بينما أعدم العديد من قادة العصابة.^(١٧)

وقد أدت زيادة الصدام بين القوميين الراديكاليين والأجزاء الرجعية المحافظة من نظام البعث إلى مواجهة صريحة بين من يدعمون كل جانب فى عدد من المدن الكبرى عبر البلاد وقد حث هذا الجناح القومى الراديكالى فى البعث ليدبر انقلابا فى فبراير ١٩٦٦ ليُحيّد القوى الرجعية داخل صفوفه وليحرك سوريا بصورة أكثر صلابة على طريق رأسمالية الدولة. كان الانقلاب الثالث عشر فى سوريا والأكثر دموية خلال سبعة عشر عاما يقوده ضباط موالون للجنرالين جديد والأسد، إن هذا الانقلاب "البعثى الجديد" الذى أطاح بالحكومة اليمينية التى يرأسها الرئيس حافظ حول سياسة الدولة إلى اتجاه قومى، وضغطت القوى القومية مع وجود الجناح الراديكالى من البعث فى

السلطة، ضغطت من أجل تطبيق سياسة اقتصادية جديدة تعمق مشروع رأسمالية الدولة، وبدأت الحكومة تحد من دور رأس المال الخاص داخل الاقتصاد السوري وبأدركت بتقديم سلسلة من القوانين من أجل تأمين المشروعات المحلية ولضمان سيطرة أكبر للدولة على الاقتصاد القومي، وقد صاحب هذا قانون إصلاح زراعي جديد، وعد بإعادة توزيع الأرض على الفلاحين المعدمين من أجل زيادة الإنتاج في القطاع الزراعي وبينما كانت تلك السياسات انعكاسا لسياسات الجناح الراديكالي لحكومة البعث في السلطة فقد قاتلت عناصر محافظة أخرى، محاولة تقوية القطاع الخاص، للحد من دور الدولة في الاقتصاد.^(١٨)

وقد قام النزاع داخل الأجزاء الراديكالية والوسطية في البعث حول مشكلة المدى الذي يجرى التحرك عليه على طريق رأسمالية الدولة إلى المنافسة بينهم وإلى انقلاب عام ١٩٧٠، عندما أطاح جناح البعث الوسطى بالنظام بواسطة الجنرال حافظ الأسد وسرعان ما ألقى الجنرال الأسد بعد استيلائه على السلطة القبض على كل الجناح اليساري البعثي القديم، بما فيهم الرئيس الأتاسي، ودعم سلطته باعتباره رأس الدولة. بدأ نظام الأسد بعد توليه السلطة عام ١٩٧٠ في تيسير القيود التي على رأس المال الخاص في مختلف فروع الاقتصاد المحلي، ومع تراخي سيطرة الدولة والنظام على الإنتاج والتجارة والمال، بدأ رأس المال الخاص التوسع في كل الاتجاهات.

وترأخت القيود على التجارة الخارجية، وأعطى للمستوردين السوريين الحق في استيراد منتجات أجنبية لحسابهم ومن المصدرين مباشرة.. وأنشئت مناطق التجارة الحرة في مختلف أجزاء سوريا لتعزيز تجارة القطاع الخاص، وقدم الأسد -بأمل سد نقص احتياطي النقد الأجنبي- إغراءات للمهاجرين من أجل إعادة رؤوس أموالهم إلى الوطن ووجه نداء إلى رجال الأعمال المتبقين للعودة إلى الوطن، واعدوا إياهم بالحصانة من العقاب بسبب تهريبهم رأسمالهم إلى الخارج، وتقديم تسهيلات خاصة، وفرص استثمار جذابة.^(٢٠)

إن مثل تلك السياسة هي التي قدمت قاعدة مادية لتوسع رأس المال التجاري، وتطور بورجوازية كومبرادورية محلية خلال السبعينيات من القرن العشرين.

ورغم أن سوريا كانت تتطور في اتجاه رأسمالي خاص عبر العقود العديدة الماضية فإن دور الدولة في الإشراف على الاقتصاد لم يختلف تماما فقد استمرت بعض

ممارسات رأسمالية الدولة تعمل داخل الإطار الأوسع للاقتصادى القومى الذى هو جزء من النظام الرأسمالى العالمى الذى تهيمن عليه الإمبريالية.^(٢١)

ورغم صراعات القوى الداخلية بين الأجزاء الراديكالية والوسطية المتنافسة داخل البعث وعلامات عن قلب السياسة الاقتصادية التى توجهها الدولة خلال العقود الأربعة الماضية، كانت سوريا قد عملت على الإبقاء على واجهة دولة قومية مستقلة، ومع ذلك فإن تطورات العقد الماضى تشير إلى عملية تحول تماثل تلك التى حدثت فى تركيا ومصر، حيث أنتج التطور على امتداد طريق رأسمالية الدولة فى مرحلة متقدمة تحول تلك الأنظمة إلى توابع نيوكولونالية للإمبريالية.

الإمبريالية ودور الفعل القومى فى العراق

كانت البصرة وبغداد والموصل قبل الحرب العالمية الأولى أقاليم فى الإمبراطورية العثمانية، وبانهيار الإمبراطورية العثمانية فى نهاية الحرب سيطرت بريطانيا على هذه الأراضى لتكسب مدخلا إلى الزيت ومواد أولية أخرى فى الخليج الفارسى، وغدت بريطانيا من خلال امتلاكها لهذه المنطقة الغنية بالبتروى قادرة على تشديد قبضتها على الشرق الأوسط.^(٢٢)

إن انهيار الأمبراطورية العثمانية وانتصار القوات البريطانية، من فلسطين إلى العراق، سمح لبريطانيا بالبقاء فى المنطقة وتحويل الشرق الأوسط إلى مستعمرة بريطانية واسعة. وحتى تضمن بريطانيا سيطرتها على هذه الأراضى، نصبت فى ظل انتداب الأمم المتحدة لها حكومة ملكية فى العراق اشتملت على ضباط محليين من الجيش العثمانى متعاطفين مع بريطانيا، وتجار أساسيين وبيروقراطيين محليين ذوى روابط بالمشايخ وملوك الأراضى فى المناطق الريفية، ومن ثم قامت الحكومة الملكية التى نصبتها بريطانيا بتنفيذ الأهداف السياسية والاقتصادية للانتداب البريطانى فى العراق، وبحماية المصالح البريطانية فى المنطقة بطريقة جيدة فى القرن العشرين.^(٢٣)

إن الهيمنة الإمبريالية على العراق واندماجها فى الاقتصاد العالمى الذى تسيطر عليه بريطانيا قد أدى إلى تحول كبير فى الاقتصاد والمجتمع.

إن العراق الحديث- بجهاز دولته وطبيعته الاجتماعية والاقتصادية - كانت له بداياته في المرحلة المبكرة للاختراق الأوربي.. وكان له تكامله المتقلب وإن كان مستمرا في الاقتصاد العالمى، وقد أثار هذا تحولا ملحوظا في زراعة سائدة رعوية، ومن أجل البقاء، إلى إنتاج للأسواق الخارجية للهند البريطانية وأوروبا، وحولت عبر عقود عديدة علاقة الشيخ ورجل القبيلة إلى علاقة مالك أرض وفلاح وقن، كما غدت الأرض المزروعة على المشاع عقارات خاصة بكبار المشايخ وتجار الريف ومسئولى النولة.^(٢٤)

كما حول النظام الكولونيالى فى العراق -فى تواز مع هذا التحول- حول الدولة إلى أداة للحكم الإمبريالى، أداة تحقق أوامر الاقتصاد العالمى الذى تسيطر عليه بريطانيا. وبهذا المعنى فإن دولة العراق الحديثة قد فرضتها الملاحة الأوروبية وأوامر رأس المال الأجنبى (البريطانى) من أجل توطيد حكمه، كان الزيت- احتياطات الموصل وجوارها حتى الحقول الفارسية- هو حافز السيطرة البريطانية.^(٢٥)

إن حلول الكساد الكبير والهبوط الحاد فى الأسعار العالمية لصادرات العراق الأساسية تسبب فى أزمة اقتصادية وسياسية أدت إلى الاستقلال الشكلى عام ١٩٣٢. وجاء توسع النشاط الصناعى والتجارى خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، جاء إلى الوجود بقوى اجتماعية جديدة، بما فى ذلك طبقة عاملة صغيرة، وطبقة وسطى أكثر عدداً.

كانت البورجوازية المحلية تجارية بصورة طاغية، مرتبطة ارتباطا وثيقا برأس المال الأجنبى وملاك الأراضى، وجاءت إقامة السكة الحديدية والموانىء ونمو النشاط التجارى والمتاجر وتوسع جهاز الدولة، جاء الى الوجود بقوى اجتماعية جديدة ذات قاعدة حضرية، بروليتاريا صغيرة وبورجوازية صغيرة وطبقات وسطية أكثر عدداً إلى حد ما.^(٢٦)

كان على تلك القطاعات وقد استثنيت وأبعدت عن مراكز القوة السياسية والاقتصادية وغدت تابعة لأوامر الملكية المسنودة من الإمبريالية البريطانية، كان عليها أن تفصح عن استياء واسع المدى للتحكم الأجنبى وممالة الطبقة الحاكمة المحلية للإمبرياليين، وقد أدى هذا إلى صدامات عديدة بين الدولة وأجزاء متعددة فى المجتمع العراقى بما فى ذلك تمردات قبلية فى الفترة من ١٩٣٦ إلى ١٩٤١.^(٢٧)

وأعطى نشوب الحرب العالمية الثانية لبريطانيا الفرصة للتدخل فى السياسة العراقية، غير أن هذا جعل الأمور أكثر سوء، حيث أشعل تكثيف المشاعر المعادية لبريطانيا سلسلة من الإضرابات والمظاهرات والصدامات بين العمال والسلطات.

وقع إضراب في يوليو ١٩٤٦ في شركة بترول العراق حيث رفض التصريح بتكوين نقابة، وداهمت الشرطة المسلحة فجأة اجتماعاً من أجل الإضراب في كركوك حيث قتل عشرة أشخاص.. وكانت عمليات القتل في كركوك في يوليو ١٩٤٦ هي بادرة العنف الرهيب لعام ١٩٤٨، عام الهبة القومية الكبرى المعروفة باسم "الوثبة".^(٢٨)

ويكتب ماريون فاروق سلوجيت وبيتر سلوجيت «إن الكراهية التي أفصح عنها في المشاهد الفظيعة في بغداد في ٢٦ - ٢٧ يناير ١٩٤٨ كانت إيذاناً بالسخط الشديد القادم.. وقد انتشرت المعارضة العنيفة خلال الربيع والصيف من بغداد إلى خارجها.

من الهبات التي غدت معروفة معرفة جيدة في تلك الفترة الهبة التي توقفت فيها محطة ضخ البترول العراقي قرب «الحديثة» في إبريل ومايو ١٩٤٨، بسبب إضراب ٢٠٠٠ عاملاً وموظفاً كتابياً، إضراب نظمته الحزب الشيوعي وقد قامت الحكومة وشركة بترول العراق بعد أسبوعين ونصف بقطع إمدادات الغذاء والماء عن المضربين، وقرر الآخرون بعد ثلاثة أسابيع القيام بمسيرة إلى بغداد التي تبعد عنهم ٢٥٠ كيلو متراً.^(٢٩)

يقول سلوجيت وسلوجيت «إن العمل الذي اتسم بالتحدي والمعروف بـ «المسيرة الكبرى» كان تعبيراً كبيراً عن التصميم الشعبي للوقوف ضد النظام السياسي حتى في ظل تفاوتات طاغية.^(٣٠)

أخمد القمع الجماهيري الموجه ضد كل أعداء الملكية وأعداء القوات البريطانية، أخمد الجهود المبذولة للإطاحة بالنظام الدمية إلى حين، إلا أن ارتفاع أسعار الزيت في الخمسينيات أخذ في تحويل بنية اقتصاد البلاد بصورة جوهرية في اتجاه زيادة التجارة والبناء والتشييد والصناعات التحويلية، وقد أدى هذا التوسع إلى ظهور ونمو طبقة رأسمالية قومية ذات مصالح متميزة عن مصالح كتلة السلطة القديمة للتجار الكومبرادوريين وملاك الأراضي والتي شكلت قاعدة سلطة الملكية.

وقد أدى نمو النشاط الصناعي إلى توسيع حجم الطبقة العاملة وأدى إلى المزيد من تنظيم العمل بواسطة النقابات والأحزاب الراديكالية مثل الحزب الشيوعي العراقي، ونما عدد عمال الزيت من ٢١٢٧ عام ١٩٤١ إلى أكثر من ١٥٠٠٠ عاملاً في أواسط الخمسينيات من القرن العشرين، وزاد عدد العمال الصناعيين إلى أكثر من ١٣٠٠٠٠ عام ١٩٥٤ وكان أكثر من ٤٢٪ منهم في منشآت تزيد عمالتها عن مائة عامل، وكان

عدد أعضاء الاتحاد العام لنقابات العمال حوالى ٢٧٥٠٠٠ عاملاً^(٣١) وغدا الحزب الشيوعى بنمو الطبقة العاملة فى هذه المرحلة قوة سياسية مؤثرة بين العمال، منظماً تمركزات العمال الصناعيين الأكبر والأكثر أهمية استراتيجياً، وخاصة فى حقول الزيت^(٣٢).

وقد أدى نمو رأس المال القومى وطموحات الطبقات الوسطى فى المجتمع إلى القومية والاستقلال، وتطور طبقة عاملة متزايدة التنظيم والوعى الطبقي، والزحزحة الضخمة للفلاحين المجبرين على الهجرة إلى المدن الكبرى، أدى كل ذلك إلى قلق فى الجيش نتج عنه انقلاب عسكري عام ١٩٥٨ بقيادة الكولونيل عبد الكريم قاسم.^(٣٣)

أطيح بالملكية فى يوليو عام ١٩٥٨ ويمكن النظر إلى السنوات العشر التالية باعتبارها فترة تبارى فيها هؤلاء الذين تأمروا للإطاحة بالملكية كى يسيطروا على الجمهورية، وقد أنجزت إصلاحات هامة اجتماعية واقتصادية وسن قانون الإصلاح الزراعى ، وبالتالى ضربت قوة ملاك الأراضى الذين أبقوا على الملكية حية، ولعبت الدولتورا متزايدة فى توجيه القطاع الصناعى والسيطرة عليه ومزقت الصلات التى كانت تربط العراق بالعالم الغربى^(٣٤)

وبدأ نظام قاسم ممثلاً للنظرة القومية للبورجوازية القومية الصغيرة الصاعدة، بدأ فى إعادة بناء الاقتصاد على أسس رأسمالية الدولة التى حمت ودفعت إلى الأمام بمصالح الطبقة الرأسمالية القومية البازغة.

إن التحول فى البنية الطبقيّة فى العراق فيما بعد انقلاب ١٩٥٨ أثر فى كل فى ملاك الأراضى والرأسماليين الأجانب الذين حطمت سلطتهم السياسية، وأعلن رسمياً فى خط مواز للسياسة الاقتصادية القومية للدولة عن برنامج إصلاح زراعى، وجرى تأميم الزيت خلال الستينيات فى القرن العشرين، وسرعان ما تأثرت قطاعات فى الاقتصاد بمرسوم التأميم عندما نقلت شركات الصناعات التحويلية الكبرى^(٣٥) والتجارة والمال إلى القطاع العام وكما يشير فران هازلتون فإن:

قانون برنامج الإصلاح الزراعى الذى جاء بصورة كبيرة نتيجة جهود الحزب الشيوعى العراقى كان واحداً من أهم إنجازات الثورة، وقد حطم هذا القوة السياسية لملاك الأراضى كما تحطمت أيضاً فى هذا الوقت، قوة البورجوازية الكبيرة، وأعيد بناء القوة السياسية والاقتصادية لمصلحة الحضر والبورجوازية الصغيرة، بينما تمت صيانة مبدأ الملكية الخاصة، وقطعت الثورة العراقية، بالإضافة إلى تلك الإنجازات الصلة مع بريطانيا، وأخرجت العراق من حلف بغداد.^(٣٦)

وبينما ساعد قاسم والنظام القومي الذي يرأسه على تطوير أسس اقتصاد رأسمالي قومي، فإن السياسات التي سنتها الدولة خلال هذه الفترة تصادمت بحدة مع مصالح الإمبريالية والطبقات الرجعية المحلية التي سعت لخلعه من السلطة، وقد أثبت الجناح اليميني البعثي أنه أداة في إنجاز هذه الأغراض، ففي ٨ فبراير ١٩٦٢ أُطيح بقاسم بواسطة انقلاب عنيف دموى قاده قوى اليمين البعثية، انقلاب جاء بالرعب والموت لآلاف العراقيين.

ويكتب ي. زاهر "إن انقلاب ٨ فبراير ١٩٦٢ الفاشستي والذي جاء بحزب البعث إلى السلطة لقي الترحيب من كل القوى الرجعية وكل أعداء ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨.

اتسم الانقلاب بوحشيته البالغة نحو القوى الثورية التي لعبت دوراً أساسياً، أولاً في النضال ضد الكولونيالية والملكية، وأخيراً في الدفاع عن ثورة يوليو ١٩٥٨ وتطويرها. (٣٧)

ويستمر زاهر ليشير إلى أن "الانقلاب لم يكن مجرد انقلاب رجعي، لقد تم القيام به لإيصال حزب فاشستي النمط -حزب البعث- إلى السلطة" (٣٨). ويكتب:

لقد غدت كل مقرات الحزب القومي في كل المدن مراكز تعذيب، لقد نظر الحزب القومي وسادته البعثيون إلى الحزب الشيوعي العراقي كهدف خاص لجرائمهم البربرية على امتداد البلاد..

وقام الحرس القومي مزوداً بأسماء الشيوعيين وأماكن وجودهم بتنفيذ اعدامات عاجلة، وسحب الشيوعيون المحتجزون على الأرض إلى خارج السجون حيث أطلقت النيران عليهم دون تحقيق أولى..

وبنهاية حكم البعث، كانت حملة الرعب التي قام بها قد انتزعت حياة ما يقرب بـ ٢٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ شيوعياً. (٣٩)

إن طبيعة النظام البعثي المغالي في يمينيته خلال هذه الفترة، طبيعته المتطرفة العداء للشيوعية، قد بينت الصفة الطبقيّة لدولة العراق باعتبارها دولة معارضة بعنف لمصالح العمال والفلاحين، وكذلك كل القوى القومية التقدمية الأخرى، تدعمها نخبة عسكرية بيروقراطية فاشستية.

وبلغ الحكم الوحشي البعثي نهايته بعد تسعة أشهر فقط من إمساكه بالسلطة في ١٨ نوفمبر ١٩٦٢ - أمسك العسكريون بالسلطة في انقلاب وضع مرة أخرى الجناح اليساري للقوى القومية البورجوازية الصغيرة، وضعها في موقع السيطرة على جهاز

الدولة ولعب النظام العسكرى الجديد بانتهاجه سياسة تأمين مماثلة لتلك التى اتخذتها الدولة الناصرية فى مصر، لعب دوراً أساسياً فى إعداد المسرح لتطور قومى يقوم على رأسمالية الدولة خلال مجرى الأعوام الخمسة تقريباً التى حكم فيها من ١٩٦٢ الى ١٩٦٨.

إن الأزمة الاقتصادية فى منتصف الستينيات من القرن العشرين، والتى كان يكمن وراءها الهبوط فى عائدات الزيت، أجبرت النظام على زيادة الضرائب، بينما ظلت الأجور والمرتبات راكدة. وأعطى السخط المتنامى فى سياسات النظام العسكرى الموجود فى السلطة وحكمه السلطوى المتزايد الفرصة للجناح اليمينى للضباط العسكريين المتحالفين مع البعث لاستغلال الوضع والقيام بانقلاب فى يوليو ١٩٦٨، كى يعيدوا حكم البعث- انقلاب جاء ب أحمد البكر وصدام حسين إلى السلطة. ورغم تغير النظام واصلت العراق، على أى حال، التطور على طريق رأسمالية الدولة الذى قوى أكثر فأكثر قوة النخبة البيروقراطية فى ظل العين اليقظة للجيش.

وقد حدثت تقدمات أبعد من تلك التى حدثت فى الفترة من ١٩٦٨ فصاعداً على طريق رأسمالية الدولة عندما زاد عدد المزارع التعاونية والجماعية، وتوسعت الصناعات التحويلية، وصعد نصيب الزيت فى إجمالى الناتج القومى وقد تحققت تقدمات أخرى فى التشييد والتجارة والخدمات.

وقد أدى التوسع الصناعى والتجارى فى العراق فى الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين إلى تطوير البورجوازية المحلية المرتبطة بالصناعة القومية، وبدأت البورجوازية القومية الصناعية الناضجة فى منتصف الثمانينيات فى فرض نفسها على الآخرين، مطالبة خصخصة أكثر للاقتصاد، وبإلّا انفتاح على مشروعات مع رأس المال الأجنبى فى كل من العالم العربى والغرب، ومن ثم دمج نفسها أكثر فأكثر فى الاقتصادى العالمى.

ويقول عباس الناصراوى، "لقد فرضت سياسة تشجيع القطاع الخاص بصورة أكثر فأكثر مع إدخال البرنامج الطموح للتحرير والخصخصة الاقتصادية".^(٤٠) ويضيف "إن الإجراءات الجديدة تمثل تحولا للأيدولوجية الرسمية المقدمة منذ مجيء البعث إلى السلطة عام ١٩٦٨".^(٤١)

ومن بين التغييرات التى تأثرت بتلك الإجراءات الجديدة كان إلغاء تأمين قطاعات أساسية للاقتصاد وإعادة تنظيم المشروعات المملوكة للدولة وتشجيع رأس المال الخاص.

لقد اشتملت السمات الأساسية للإجراءات الجديدة على بيع أراضي الدولة، المزارع والمصانع إلى القطاع الخاص، وتشجيع المشروع الخاص؛ ونقص تنظيم سوق العمل عن طريق إبطال قانون العمل، واتخذت إجراءات أخرى لإفادة المشروع الخاص مشتملة على إعادة تنظيم مشروعات الدولة، وإعادة بناء الوزارات واللجان، وإنشاء شركات كى تدير مشروعات الدولة، وسن قوانين لإغراء تدفق رأس المال العربى، وإخال منافسة محدودة فى العمليات المصرفية، وتشجيع المبادرات الخاصة فى الزراعة^(٤٢).

وقد أدت التغييرات الاقتصادية التى أتخذتها الدولة فى العراق خلال العقد الماضى أو أكثر، إلى قلق اجتماعى وسياسى بين شريحة متنامية من السكان الذين لم يتحسن وضعهم. وقد أدى ذلك إلى حشد سياسى ونشاط بواسطة مجموعات منظمة متعددة موجهة ضد الدولة المتزايدة السلطوية، والتى غدت قمعية أكثر فأكثر.

إن قهر القوى الشعبية والهجوم على الشيوعيين وممارسة حكم ديكتاتورى على الشعب خلال العقدين الماضيين قد تطابق مع أزمة نظام رأسمالية الدولة فى العراق وهو ينتقل إلى مرحلة جديدة من التطور الرأسمالى فى الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين. إن هذه التطورات قد وطدت أكثر فأكثر قبضة الدولة القوية على الشعب، وجرّجت الأمة إلى اتجاه وحشى فاشستى بصورة متزايدة.

خاتمة

إن تجربة سوريا والعراق فى التطور القومى فى مرحلة ما بعد الاستقلال قد شكلتها كل من القوى الداخلية والخارجية التى لعبت دوراً حاسماً فى رسم خريطة مصير هاتين الدولتين فى فترة ما بعد الحرب، إذ بينما حددت السيطرة الإمبريالية على العراق وسوريا خلال فترة الانتداب البريطانى والفرنسى معايير الحياة القومية فى ظل الأوضاع الكولونىالية، فإن البنية الطبيعية الداخلية الموروثة من الفترة العثمانية المبكرة والتى رعتها وقوتها الدول الإمبريالية لما بعد الاستقلال فى هذين البلدين من وقتها حتى الآن.

إن صعود الحركة القومية القائمة على الطبقات الوسطى من المجتمع، والتى وصلت إلى السلطة عبر انقلابات مضادة متتالية لا نهاية لها فى مختلف نقاط تطور دولتى سوريا والعراق عبر العقود العديدة الماضية، إن هذا الصعود قد حدث فى سياق

مجتمع ما بعد الكولونيالية مع علاقات طبقية تقليدية (إقطاعية وشبه إقطاعية) وحديثه (رأسمالية) كان على الدولة فى كل من البلدين مواجهتها. وبينما حارب تحالف من القوى الطبيعية الشعبية، عند نقاط مختلفة من النضال القومى، حارب ضد الطبقات المهيمنة المدعومة بالإمبريالية، فإن الدولة التى تسيطر عليها البورجوازية الصغيرة فى كل من البلدين لم تستطع (أو حتى لم ترغب فى) أن تناصر وتدافع عن القضية القومية من أجل إفادة الجماهير العاملة.

وحيث إن الجناحين اليميني واليسارى لأجزاء البورجوازية الصغيرة داخل قيادة البعث قد فشلا فى بناء مجتمع يقول بالمساواة بين البشر فى فترة ما بعد الاستقلال، فإنهما قد فشلا بالمثل فى محاربة قوى الرجعية الداخلية التى كانت مدعومة من الإمبريالية حتى يروا نجاح مشروع رأسمالية الدولة. إن فشل رأسمالية الدولة فى سوريا والعراق وتبنى هاتين الدولتين لوضع نيوكولونيالى متزايد داخل الاقتصاد العالمى إنما هو ناتج منطقى للمشروع الطبقي الذى خططته قيادة البورجوازية الصغيرة التى اختارت أن تظل فى إطار حدود وتخوم العلاقات الطبقيّة الرأسمالية الموجودة.

الهوامش

- [1] A. Hourani, Syria and Lebanon: A Political Essay (London: Rilla, 1946).
- [١] أ-هـ. هوراني، "سوريا ولبنان: نبذة سياسية" (لندن: آر أي آي ايه، ١٩٤٦).
- [2] Derek Hopwood, Syria, 1945- 1986: Politics and Society (London: Unwin Hyman, 1988) PP. 22-24.
- [٢] ديريك هوبوود، "سوريا، ١٩٤٥ - ١٩٨٦: السياسة والمجتمع" (لندن: أونوين هايمان، ١٩٨٨)، ص. ص. ٢٢ - ٢٤.
- [3] Nikolaos Van Dam, The Struggle For power in Syria (new York: St. Martin's Press, 1979), p. 18.
- [٣] نيكولاوس فان دام، "النضال من أجل السلطة في سوريا" (نيويورك: مطبعة القديس مارتين، ١٩٧٩)، ص. ١٨.
- [4] philip S. Khoury, Syria and The French Mandate: The Politics of Arab Nationalism, 1920- 1945 (Princeton: Princeton University Press, 1987), PP. 615- 18.
- [٤] فيليب س. خوري، "سوريا والانتداب الفرنسي: سياسات القومية العربية"، ١٩٢٠ - ١٩٤٥ (برينستون: مطبعة جامعة برينستون، ١٩٨٧)، ص. ص. ٦١٥ - ١٨.
- [5] Tabitha Petran, Syria (New York: Praeger, 1972), p. 96.
- [٥] تابيثا بيتران، "سوريا" (نيويورك: برايجر، ١٩٧٢)، ص. ٩٦.
- [٦] المصدر السابق.
- [٧] المصدر السابق.
- [٨] المصدر السابق، ص. ١٠١.
- [٩] المصدر السابق.
- [١٠] المصدر السابق، ص. ١٠٢.
- [١١] المصدر السابق.
- [١٢] هوبوود، "سوريا، ١٩٤٥ - ١٩٨٦"، ص. ٤٠.
- [١٣] المصدر السابق، ص. ٤١.
- [١٤] المصدر السابق.
- [١٥] المصدر السابق.
- [١٦] المصدر السابق.

- [17] David Roberts, *The Ba'th and the Creation of Modern Syria* (New York: St. Martin's Press, 1987), PP. 54- 58.
- [١٧] دافيد روبرتس، "البعث وخلق سوريا حديثة" (نيويورك: مطبعة القديس مارتين، ١٩٨٧) ص. ٥٤-٥٨.
- [18] Fred H. Lawson, "Class politics and State Power in Ba' the Syria," in *Power and Stability in the Middle East*, ed. Berberoglu, PP.. 20- 21.
- [١٨] فريد هـ. لاوسون، "السياسة الطبقية وسلطة الدولة في سوريا البعثية"، في "القوة والاستقرار في الشرق الأوسط"، تحرير بيربروجلو، ص. ٢٠-٢١.
- [١٩] ووجه انقلاب أولى بقيادة الجنرال الأسد عام ١٩٦٩ بمعارضة شديدة من السياسيين والمجموعات المنظمة وقد حفز ذلك الأسد كي يقوم بحركة أقوى في انقلاب ثان عام ١٩٧٠، أمن له بفاعلية السيطرة على جهاز الدولة.
- [٢٠] بيتران، "سوريا" ص. ٢٥١. ص. ٥٢.
- [21] Elizabeth Longuenesse, "The Class Nature of the State in Syria" *Merip Reports* 9, no. 4 (May 1979).
- [٢١] اليزابيث لونجينيس، "الطبيعة الطبقية للدولة في سوريا"، تقارير ميريب رقم ٤ (مايو ١٩٧٩).
- [22] William Stivers, *Supremacy and Oil: Iraq, Turkey, and the Anglo- American World Order, 1918- 1930* (Ithaca: Cornell University Press, 1982).
- [٢٢] ويليام ستيفرز، "السيطرة والزيوت العراق، تركيا والنظام العالمي الانجلو أمريكي، ١٩١٨-١٩٣٠" (ويليام مطبعة جامعة كورنيل، ١٩٨٢)
- [23] Kedourie, "Great Britain, the Other Powers, and the Middle East Before and After World War I," in *Great Powers in the Middle East, 1919-1939*, ed. Uriel Dann (New York: Holmes & Meier, 1988), pp. 8-9.
- [٢٣] كيدوري، بريطانيا العظمى، والقوى الأخرى، والشرق الأوسط قبل وبعد الحرب العالمية الأولى"، في "القوى العظمى في الشرق الأوسط، ١٩١٩-١٩٣٩"، تحرير يوريل دان (نيويورك: هولمز وميير، ١٩٨٨) ص. ٨-٩.
- [24] Joe Stork, "Class, State and Politics in Iraq," in *Power and Stability in the Middle East*, ed. Berberoglu, p. 31.
- [٢٤] جوستورك، "الطبقة، الدولة والسياسة في العراق"، في "السلطة- والاستقرار في الشرق الأوسط"، تحرير بيربروجلو، ص. ٣١.
- [٢٥] المصدر السابق، ص. ٣١-٣٢.
- [٢٦] المصدر السابق، ص. ٣٢.
- [27] Hanna Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements in Iraq* (Princeton: Princeton University Press, 1978).

[٢٧] هانا باتاتو، "الطبقات الاجتماعية القديمة والحركات الثورية في العراق" (برينسيتون: مطبعة جامعة برينسيتون، ١٩٧٨).

[28] Marion Farouk-Sluglett and Peter Sluglett, "The Social Classes and the Origins of the Revolution," in *The Iraqi Revolution of 1958*, ed.

Robert A. Femea and Wm. Roger Louis (New York: I.B. Tauris, 1991), pp. 126-27.

[٢٨] ماريون فاروق سلوجلتي وبيتر سلوجلتي، "الطبقات الاجتماعية وأصول الثورة في الثورة العراقية عام ١٩٥٨"، تحرير، روبرت أ. فرنيا و.وم. روجر لويس (نيويورك: إ.ب. تاوريس، ١٩٩١) ص.ص. ١٢٦-٢٧.

[٢٩] المرجع السابق، ص. ١٢٧.

[٣٠] المرجع السابق.

[31] Fahim Qubain, *The Reconstruction of Iraq, 1950- 57* (New York: Praeger, 1958); E.A. Finch, "Social Effects Of the Oil Industry in Iraq," *International Labour Review*, March 1957. and Kathleen Langley, *The Industrialization of Iraq* (Cambridge: Harvard University Press, 1961).

[٣١] فهم كوابين، "إعادة بناء العراق، ١٩٥٠-١٩٥٧" (نيويورك: برايجر، ١٩٥٨) أ.أ. فينش، "التأثيرات الاجتماعية لصناعة الزيت في العراق"، *انترناشيونال لابور ريفيو*، مارس ١٩٥٧، وكاتلين لانجلي، "تصنيع العراق" (كمريدج: مطبعة جامعة هارفارد، ١٩٦١).

[٣٢] باتاتو، "الطبقات الاجتماعية القديمة والحركات الثورية في العراق".

[33] Marion Farouk-Sluglett and Peter Sluglett, "Iraq Since 1958: From Revolution to Dictatorship" (London: KPI, 1987), 47-55.

[٣٣] ماريون فاروق سلوجلتي وبيتر سلوجلتي، "العراق منذ ١٩٥٨. من الثورة إلى الديكتاتورية" (لندن: بي أي ١٩٨٧)، ص.ص. ٤٧-٥٥.

[34] Tim Niblock, introduction to *Iraq: "Contemporary State,ed."* Tim Niblock (New York: St. Martin's Press, 1982), P.4.

[٣٤] تيم نيبلك، مقدمة ل، "العراق: الدولة المعاصرة" تحرير تيم نيبلك (نيويورك: مطبعة القديس مارتين، ١٩٨٢)، ص. ٤.

[35] Majid Khadduri, *Republican Iraq* (London: Oxford University Press, 1969).

[٣٥] ماجد خادوري، "العراق الجمهورية" (لندن: مطبعة جامعة أوكسفورد، ١٩٦٩)

[36] Fran Hazelton, "Iraq to 1963," in "Saddam's Iraq: Revolution or Reaction?" ed. Committee Against Repression and for Democratic Rights in Iraq (CARDRI) (London: Zed Books, 1989), pp. 26-27.

[٣٦] فران هازلتون، العراق حتى عام ١٩٦٣، في "عراق صدام: ثورة أم رجعة؟" تحرير اللجنة ضد القهر ومن أجل الحقوق الديمقراطية في العراق (لندن: كتب زد، ١٩٨٩)، ص.ص. ٢٦ - ٢٧.

[37] U. Zaher, "Political Developments in Iraq 1980," in Saddam's Iraq: "Revolution or Reaction?", ed. CARDRI, P. 30.

[٣٧] ي. زاهر، "التطورات السياسية في العراق - ١٩٦٣ - ١٩٨٠"، في "عراق صدام: ثورة أم رجعة؟" تحرير اللجنة ضد القهر...، ص. ٣٠.

[٣٨] المرجع السابق، ص. ٣١.

[٣٩] المرجع السابق، ص. ٣١ - ٣٢.

[40] Abbas Alnasrawi, "Economic Devastation, Underdevelopment and Outlook," in "Iraq Since the Gulf War," ed. Fran Hazelton Hazelton (London: Zed Book, Zed Books, 1994), P.74.

[٤٠] عباس الناصراوي "التخريب الاقتصادي، التخلف والترقب"، في "العراق منذ حرب الخليج"، تحرير فران هازلتون (لندن: كتب زد، ١٩٩٤)، ص. ٧٤.

[٤١] المرجع السابق.

[٤٢] المرجع السابق.

الفصل الخامس

**المسألة القومية في الشرق الأوسط
النضالات الفلسطينية والكردية من أجل
تقرير المصير القومي**

كانت المسألة القومية هي الميراث الذي ظل باقيا منذ تحلل الإمبراطورية العثمانية وانهيارها في بداية القرن العشرين. إن تقسيم الإمبراطورية بواسطة القوى الغربية في نهاية الحرب العالمية الأولى قد أدى إلى تشظى شعوب الشرق الأوسط، مما أوجد المشكلة القومية لكل من الفلسطينيين والأكراد.

إن تقسيم الأراضي العثمانية على الجناح الجنوبي من "آسيا الصغرى" في قلب "الهلال الخصيب" إلى سلسلة من المراكز الأمامية التي تضع في المقدمة المصالح الجيوبوليتيكية الغربية في الشرق الأوسط، قد أوجد فيما بين الدول نظاما مصطنعا أنكر على الشعبين الفلسطيني والكردي حقهما في تقرير المصير القومي، إن هذا الإنكار التاريخي لحق الوطن القومي للفلسطينيين والأكراد قد حفز بزوغ حركات قومية فلسطينية وكردية.

فلسطين والفلسطينيون

وقع إقليم ساحلي موسر من الإمبراطورية العثمانية - هو فلسطين - وقع تحت الحكم البريطاني بعد الانهيار العثماني في نهاية الحرب العالمية الأولى. إن الانتداب البريطاني الذي سيطر على الأراضي الممتدة من العراق إلى الأردن إلى فلسطين أجبر السكان المحليين (العرب) لفلسطين على الحياة في ظل ما تمليه بريطانيا حتى منتصف القرن العشرين، ومع وصول أعداد متزايدة من المهاجرين اليهود من أوروبا، خلال الانتداب البريطاني، بلغت المزاخمة الاثنىة بين العرب واليهود قمما جديدة في فلسطين، وقد غدت الأهداف الصهيونية هذه المزاخمة بغرض تأمين وطن قومي لليهود في فلسطين بعد رحيل البريطانيين من هذه الأراضي، وغادر البريطانيون بالفعل، ونجحت الصهيونية في إقامة دولة يهودية بعد الحرب العالمية بفترة قصيرة، إلا أن ذلك كان علامة أيضا على بداية النزاع العربي - الإسرائيلي المتمركز حول القضية الفلسطينية، نزاع نشأ من سلب وطرد الشعب العربي المحلي في فلسطين.^(١)

لقد كان الفلسطينيون إلى حد كبير في ظل الحكم العثماني جزءاً من سكان ريفيين فلاحين. ويكتب جوردون ويلتي: "كانت غالبية الفلسطينيين في القرن التاسع عشر من الفلاحين إلى حد كبير جداً، ربما أكثر من ٨٠٪ منهم، وكانت بعض الزراعة تقوم على المشاركة في المحصول، مع اقتسام المحصول الزراعي بين الفلاح ومالك أرض مملوكة

للدولة (الميرى). كان الكثير يقوم على الحياة الصغيرة للأراضي الأميرية^(٢). ومع زيادة تحويل الزراعة التي سبغية بدأت المخابيل النقدية في الجلول محل الإنتاج المعيشى، وكانت نتيجة ذلك أن البنية الاقتصادية- الاجتماعية الريفية بدأت تمر بعملية تحول. لم يكن كل الفلسطينيين على أى حال مرتبطين بالقطاع الزراعى، كان جزء صغير من المخطوظين القلائل يعيش فى المدن. كانت المدن هى موطن النخبة الفلسطينية (الأفندية) ملاك الأراضي المختلفة، وكذلك بالمثل الإنتليجنسيا، فى نهاية القرن التاسع عشر^(٣).

وجاء مع تطور الصناعة تغيير فى بنية قوة العمل عندما سعى عدد متزايد من الفلاحين إلى التوظيف بالعمل المأجور فى المناطق الحضرية التى كانت تتسع على الدوام، ولذا فإن السكان الفلسطينيين فى منتصف القرن، غدوا أكثر تنوعا بصورة متزايدة على امتداد خطوط مهنية حضرية^(٤).

ودفع -فى الفترة التى تلت تأسيس دولة إسرائيل- دفع ملايين الفلسطينيين إلى المنفى كلاجئين فى الدول العربية المجاورة. وتكتب باميلاً أن سميث، رغم أن بعض الميسورين الفلسطينيين الذى يتمتعون بعلاقات عائلية أو علاقات عمل فى أجزاء أخرى من العالم العربى، كانوا قد بدأوا فى ترك فلسطين بعد فترة قصيرة من مطالبة الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم البلد فى نوفمبر ١٩٤٧. وكانت الغالبية الساحقة من اللاجئين قد غادرت بعد نشوب القتال بين الهاجاناه- الجيش اليهودى السرى- والفلسطينيين غير النظاميين، وفيما بعد، بعد ١٤ مايو ١٩٤٨ خلال المعارك بين الهاجاناه والفيلق العربى (شرق الأردن) وجيوش مصر وسوريا والعراق^(٥).

بحث الكثيرون عن السلامة بداعة فى لبنان وسوريا أو أجزاء أخرى من فلسطين، وخاصة أثناء القتال العنيف فى الجليل فى ربيع ١٩٤٨، وبعد المذابح التى قتل فيها ٢٥٤ قروياً فى دير ياسين فى إبريل من ذلك العام، وقد هرب آخرون إلى الضفة الغربية وشرق الأردن بعد دخول الفيلق العربى، يبحثون عن ملوى فى الأراضي التى فى يد القوات الأرمنية وقد بحث آخرون كان منهم العديون فى بالما، ومناطق الساحل الجنوبى، بحثوا عن حماية الجيش المصرى وهربوا إلى قطاع غزة أو إلى مصر ذاتها^(٦).

إن أكثر من مليون فلسطينى قد لجأوا، خلال هذه الفترة، إلى الأردن، بينما دفع بنصف مليون إلى لبنان، وأكثر من ثلاثمائة ألف إلى الكويت، وربع مليون تقريباً إلى سوريا، وتشبتت نصف مليون آخر فى باقى أنحاء العالم، بما فى ذلك عدد من الدول العربية الأخرى، وأوروبا والولايات المتحدة. هناك الآن حوالى خمسة ملايين فلسطينى

عبر العالم، مع وجود أكثر من نصف مليون في غزة، وأكثر من مليون في الضفة الغربية، وأكثر من ثلاثة أرباع المليون داخل إسرائيل ذاتها.^(٧)

١ ويلاحظ سميث أن الغالبية العظمى من اللاجئين الفلسطينيين، كانوا إما فلاحين أو يمتلكون منازلهم وأرضهم في فلسطين، أو مزارعين مستأجرين ومشاركين في المعصول يفلحون قطع أرض في أو قرب قرأهم الأصلية.

كان الفلاحون على غير مثال هؤلاء الذين مارسوا حياة حضرية وتلقوا تعليمًا وكان لديهم عقود عمل بالخارج؛ كانوا محرومين بصورة متفردة لأن مصير مفاشيتهم -الأرض- كانت قد فقدت. وبينما استطاع قليلون الهرب بماشييتهم وحاجيات أسرهم وبعض الأدوات الزراعية، فإن افتقاد الأرض الزراعية المناسبة في البلدان المجاورة التي لجأوا إليها، مع وجود معدلات عالية نسبيا من البطالة الموجودة بالفعل في القطاع الزراعي في النول المضيفة، كان يعنى أن غالبية الفلاحين اللاجئين، كانوا عاجزين عن تفادي الفقر وفقدان المهارات الذي تسبب فيه العجز في المعسكرات عبر السنوات أو ربما العقود^(٨).

ويكمل سميث "إن هؤلاء الفلسطينيين الذين تشكلت أرصدتهم من ملكية متحركة أو مهارات يمكن نقلها، كانوا، في تناقض مع الفلاحين، قادرين على صنع حياة جديدة في المنفى، والتي تفوقت مع الوقت والجهد على معايير الحياة التي كانوا يتمتعون بها في فلسطين.

وكانت نتيجة الرخاء الاقتصادي زمن الحرب والذي جاء من عائد العقود الحكومية الضخمة مع البريطانيين وبداية تصدير الزيت من حيفا، كانت النتيجة ارتفاعا هاما في الصادرات الزراعية إلى أوروبا، وقيام أشكال مشتركة من الأعمال، وجمع عدد كبير من التجار الفلسطينيين ثروة كبيرة في شكل حصص وأسهم وإيداعات مصرفية، نقدا، واستثمارات مالية في الخارج.^(٩)

كان إجمالي رأس المال المملوك في فلسطين عام ١٩٤٥، طبقا لمسح أعدته حكومة فلسطين عام ١٩٤٦، كان حوالي ٢٨١ مليون جنيها فلسطينيا، وكانت ١٢٢,٦ مليون جنيها فلسطينيا منها مملوكة للسكان من اليهود، كانت ٧٤,٨ مليون جنيها فلسطينيا مستثمرة في الأرض، و ١٣,١ مليون جنيها فلسطينيا مستثمرة في الأبنية الزراعية والأدوات والمواشى و ٤٤,٧ مليون جنيها فلسطينيا مستثمرة في الصناعة والأسهم والسلع أو مستثمرة في الخارج،^(١٠) ولذا، كما يشير سميث، فإن حوالي ٤٤,٧ مليون جنيها فلسطينيا (١٧٩ مليون دولار أمريكي بسعر صرف عام ١٩٤٥) كانت في صورة

رأس مال أو حوالى ١٦٪ من إجمالى رأس المال المملوكة فى البلد، كانت بيد السكان غير اليهود فى شكل أصول يمكن تحويلها إلى الخارج.^(١١)

كانت الأرصدة المودعة فى حسابات استرلينية فى لندن سهلة المنال لهؤلاء الذين أُجبروا على المنفى المفاجئ، وكان الإفراج عن الحسابات المجمدة فى الفروع الفلسطينية لبنك باركليز والبنك العثمانى، إثر مفاوضات دولية، فى أوائل الخمسينيات قد قدم مبالغ إضافية لإعادة بناء حيوات فى الشتات، وقد قدر نقل حوالى ١٠ مليون جنيه إسترليني إلى الأردن، فى شكل إيداعات بنوك ونقدية خلال ذات الفترة (إن حجم مثل ذلك المبلغ يمكن قياسه بحقيقة أن ذلك الرقم ساوى الكمية الإجمالية للنقود المتداولة فى مملكة الهاشميين فى ذلك الوقت).

إن هذه المقادير مكنت العديد من الفلسطينيين من الاستثمار فى أعمال جديدة، أو أن يعيدوا شركاتهم فى البلاد العربية المجاورة.^(١٢)

وبذا، فانه بينما وفر الفلاحون المنفيون وسكان المعسكرات المهمشين الجنود المشاه لمنظمة التحرير الفلسطينية فى النضال التحريرى، فان بورجوازية الشتات لعبت دوراً أساسياً فى تمويل منظمة التحرير الفلسطينية حتى تؤدى مقاومتها المسلحة. وبينما حافظت القاعدة الجماهيرية المجردة من الملكية لمنظمة التحرير الفلسطينية على الوضع الثورى، فإن القطاعات المنفية الموسرة من الحركة نجحت من خلال عضلاتها المالية فى إيجاد تأثير محافظ على منظمة التحرير الفلسطينية للإبقاء عليها داخل حدود علاقات اجتماعية اقتصادية مقررّة. إن هذه الاتجاهات المتناقضة داخل المنظمة حددت الطبيعة الطبقيّة للحركة كما هى معلنة فى أعلى مستويات القيادة التنظيمية، وأرست السياق الجارى للاتجاه المستقبلى لمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها منظمة معبرة عن حركة قومية تناضل من أجل التحرير.

أصول الحركة القومية الفلسطينية

لقد ظهرت الحركة القومية الفلسطينية فى أوائل القرن العشرين بعد انهيار الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى. ورغم أن الاضطراب فى فلسطين والموجه ضد الدولة العثمانية الاستبدادية والتعدى الصهيونى على حقوق الغير فى المنطقة، قد بدأ مبكراً فى القرن الماضى، فإنه غدا أكثر تكثيفاً خلال الاحتلال العسكرى البريطانى

لفلسطين فيما بعد الحرب العالمية الأولى، ثم غذاه خلق القوى الغربية لدولة اسرائيل، بعد النصر على ألمانيا النازية عند نهاية الحرب العالمية الثانية، غذاه بالمزيد والمزيد.

وقد ظهر رد الفعل الأساسى ضد الاحتلال البريطانى من سخط الكتل الفلسطينية ضد بنية السيطرة فى ظل الحكم البريطانى، وقد أدى هذا، مقترنا بصعود أعمال التحرش الصهيونى المسلح ضد الفلسطينيين خلال الحكم البريطانى، أدى إلى تقوية الحركة القومية الفلسطينية.

ويكتب جوردون ويلتى، "أما وقد غدت المعارضة الفلسطينية كثيفة بصورة متزايدة فقد اتبعت بريطانيا بنجاح سياسة فرق- تسد.^(١٤)

كانت مصالح بريطانيا فى فلسطين مصالح جيوبوليتكية تقوم بحماية الجناح الشمالى الشرقى لقناة السويس، والتى كانت لندن تنظر إليها باعتبارها شريان حياة الامبراطورية البريطانية وقد بين الجنرال العثمانى جمال باشا للبريطانيين فى يناير ١٩١٥، أن فلسطين فى ظل حكم معادى يمكن أن تكون قاعدة هجوم على القناة. إن ما يخدم المصالح البريطانية أفضل خدمة هو أرض غير موحدة اثنا الى حد كبير حتى يكون التهديد بتقرير المصير حقيقيا.^(١٥)

ومن ثم، عززت بريطانيا من خلال وعد بلفور إقامة دولة يهودية مستقلة فى فلسطين، سوف تقسم الأرض بشكل مؤثر على امتداد خطوط اثنية، وتخلق بهذه الطريقة منافسة ونزاعا بين المجتمعات العربية واليهودية من أجل المزيد من السيطرة على المنطقة. ويشير ويلتى إلى أن سياسات فرق تسد البريطانية "لم تكن قاصرة على تحريك التوترات ما بين المجتمعات، لقد حركت المنافسة أيضا بين "الأفندية الفلسطينيين بالمثل".

لقد كانت سياسة العثمانيين تقوم على موازنة مصالح المجموعات الفلسطينية المختلفة ضد بعضها البعض، وكثفت السياسة البريطانية هذه المنافسة بإيقاع الواحدة منهم بالآخرى، وخاصة أنهم قاموا بتحريض عائلة الحسينى ضد عائلة النشاشيبي بما لا يفيد البتة أيا منهما.^(١٦)

إن التقسيمات التى أثرت بين النخب العربية الفلسطينية، وكذا بالمثل بين النخب والكتل أمدت السيطرة البريطانية بالمزيد من التكتيف، إلا أن ذلك أدى أيضا إلى مقاومة واسعة الانتشار للحكم الكولونىالى.

وقد زادت المقاومة الفلسطينية ضد سلطة الانتداب البريطاني كثيراً في أوائل الثلاثينيات، مع تكوين أول حزب سياسي فلسطيني خالص عام ١٩٣٢ "حزب الاستقلال". وقد قادت الدعوة إلى إضراب عام أواخر ١٩٣٢ إلى مواجهة مباشرة وإراقة للدماء وتبع ذلك تكوين حشد من الأحزاب السياسية الفلسطينية، اشتمل على الحزب العربي، وحزب الدفاع الوطني وحزب الإصلاح الوطني. وكان الاضطراب الذي جاء في أعقاب ذلك، خلال السنوات التالية التي تم فيها التجذير السياسي للسكان، والذي أدى إلى إضراب عام في إبريل ١٩٣٦، ثم كان التمرد الفلسطيني الكبير ١٩٣٦ - ٣٩ (١٧) وكما يشير باروك كيمل لينج وجويل س. ميجدال فإن:

التمرد العربي الكبير في فلسطين - كما أسماه العرب - كان الهبة العنيفة المستمرة الأولى للحركة القومية الفلسطينية، والحدث الكبير الأول من هذا النوع منذ عام ١٩٢٤.. لقد حشدت الهبة آلاف العرب من كل طبقات المجتمع، من كل البلد، مبشرة بظهور حركة قومية بطرق لا يمكن أن تحققها ببساطة أحداث معزولة ومنديون رسميون. (١٨)

ويواصل كيمل لينج وميجدال على أي حال، "لقد أثار هذا أيضاً حشداً مضاداً غير مسبوق".

وصب البريطانيون - وقد ادهشتهم صلابة هذا الحشد وتماسكه - عشرات الآلاف من القوات في فلسطين عشية الحرب العالمية الثانية، وشرع الصهاينة في عسكرة حركتهم القومية إذ بلغ عدد اليهود تحت السلاح عند نهاية التمرد حوالي ١٥٠٠٠ فرداً ودشنت ثقافة لسياسة يهودية عسكرية متزايدة ساهمت في الأربعينيات في إصدار قرار بن جوريون، وقادة صهاينة آخرين بالاستعداد لصراع عسكري ضد العرب، فضلاً عن ذلك الذي ضد البريطانيين. (١٩)

واشتمل رد الفعل البريطاني على المد الصاعد للقومية الفلسطينية على المزيد من القبض على القادة الفلسطينيين، والقهر المتزايد للسكان العرب الفلسطينيين ويشير ويلتي إلى تصاعد الإرهاب الصهيوني، في تلك الأثناء:

بدأت الأرجون (المنظمة العسكرية القومية ذات النسق الخاص والتي خرجت من الهاجاناه عام ١٩٢٥) في قذف الأهداف المدنية الفلسطينية عام ١٩٢٨ وعندما خمد التمرد الكبير في أواخر ١٩٢٩ نزع سلاح الانتداب سلاح الفلسطينيين بعناية ودقة أما الصهاينة فلم تنزع سلاحهم. (٢٠)

وأعطى هذا قوة دافعة للصهيونية للمزيد من تسليح أنفسهم والاستعداد للإمساك
بسلطة الدولة، وقد أدى هذا العمل كما يقول ويلتى، إلى "الطرد الواسع للفلسطينيين
من منازلهم وتدمير قراهم وإخلاء الأرض أمام المساعي الصهيونية وأجبرت أعمال
العنف قرى بكاملها على الإذغان والتسليم، وفي إبريل ١٩٤٨ قبل نهاية الانتداب
البريطاني مباشرة:

نبحت الأرجون تحت قيادة مناحم بيجن ٢٥٤ فلسطينيا رجلا وامرأة وطفلا
فى قرية دير ياسين "المسألة" قرب أورشلیم، ثم حشوا أبار القرية بالأجساد
المشوهة فى ممارسة لطقوس التلوث، وقام الصهاينة، تأليا لذلك، بنشر هذا
الإثم الفظيع ووعدوا بالمزيد؛ وبدأ الفلسطينيون فى الفرار جملة من
بورهم. (٢١)

وسرعان ما نشبت الحرب بعد هذا الجرم الوحشى بين الصهاينة والقوات العربية،
مما أدى إلى المزيد من الإزاحة، إزاحة أكثر من ٧٠٠ ألف فلسطيني. إن العدد
الإجمالى للفلسطينيين المزارحين والذى تشتتوا فى الدول العربية المجاورة شكل ٦٠ ٪
من ١.٢ مليون مسلم ومسيحي كانوا يقيمون فى فلسطين قبل ١٩٤٨. (٢٢)

يطلق الفلسطينيون على حرب ١٩٤٨ "النكبة" وهو توصيف يطابق المقتضى.
تمزق مجتمعهم، ووضع الذين أفلتوا من الرعب الصهيوني فى معسكرات
لاجئين فى لبنان والأردن وغزة، وأزيلت مئات القرى الفلسطينية-سويت
بالأرض- وأخضع هؤلاء الفلسطينيون الذين سمح لهم بالبقاء فى إسرائيل
بعد عام ١٩٤٨ لاحتلال عكسى. (٢٣)

ومن ثم، أجبر الفلسطينيون عبر عملية الإزاحة وحكم دولة المستوطنين الكولونالية،
إلى التخلي عن هويتهم القومية والتحول إلى أقلية فى وطنهم الأصلي.

القومية الفلسطينية والنضال

من أجل التحرر القومى

عبرت القومية الفلسطينية عن نفسها خلال الخمسينيات والستينيات من هذا القرن
عبر أعمال منظمات عديدة، عملت فى الشتات. وقد اشتملت تلك على حركة القوميين
العرب والتى أسسها جورج حبش فى أوائل الخمسينيات، و"فتح" التى أسسها ياسر
عرفات فى أواخر الخمسينيات وظهرت فيما بعد فى منتصف الستينيات منظمة التحرير

الفلسطينية كمنظمة مظلة، وحدثت معا مختلف الاتجاهات السياسية فى الشتات، وحددت طبيعة النضال التحررى خلال الستينيات.

إن ظهور منظمة التحرير والوجود المتواصل لفتح كانا سببا فى صعود "الجبهة الوطنية لتحرير فلسطين"، والتي قامت بعمليات عسكرية ضد إسرائيل ابتداء من منتصف الستينيات وقد قام عدد من منظمات أخرى بعمليات مسلحة لفدائيين فلسطينيين ضد إسرائيل خلال الستينيات، وكانت فتح من بين هؤلاء هى المعروفة بصورة جيدة.

أخذت فتح المبادرة فى تجاهل آلية منظمة التحرير الفلسطينية التى تفتقد خفة الحركة وشرعت فى صدام مسلح باعتبارها حركة فلسطينية قومية معترف بها، مستقلة عن الدول العربية.. كانت الدول العربية معارضة لمثل هذا العمل إلى الحد الذى تحس فيه بأنها غير مستعدة لمواجهة مسلحة مع إسرائيل أو أنها لا تريد مثل هذه المواجهة.^(٢٧)

ويكتب ويلتى، "حيث إن التوترات بين البلدان العربية وإسرائيل صعدت، على أى حال، خلال منتصف الستينيات، فإن حركة التحرير الفلسطينية فى الشتات عكست التباسات سوف تحل فقط بعد حرب ١٩٦٧.^(٢٨)

إن هزيمة الدول العربية فى حرب الأيام الستة، والتى قللت من مصداقية رابطة المتحدثين بالعربية داخل الحركة الفلسطينية، والطبيعة الوطنية والعسكرية الخالصة لفتح، والتى كانت تفتقد إلى القاعدة الجماهيرية، قد أدت إلى تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فى أواخر عام ١٩٦٧.

وقد تمتعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برؤية أكثر تطورا للنضال التحررى، وهناك الآن أربع قوى تعارض تقرير المصير الفلسطينى هى دولة إسرائيل، الحركة الصهيونية العالمية، الإمبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة والرجعية العربية.^(٢٩)

وغدت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والمجموعة التى خرجت منها، فيما بعد، الجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين هما المناظر المباشر لفتح، يتنافسان على الدعم بين الكتل الفلسطينية. إن البؤرة السياسية الحادة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وللجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين بتوجيهها الأيديولوجى الماركسى- اللينينى، خدم فى تميزهما عن المنظمات الأخرى داخل المقاومة الفلسطينية وقد لعبا فى غضون فترة قصيرة دورا بارزا داخل حركة الكتل.^(٣٠)

وغدت منظمة التحرير الفلسطينية على المستوى العريض في أوائل السبعينيات الممثل لغالبية المنظمات الفلسطينية النشطة في الحركة القومية. وكانت هذه أيضا فترة نمو للحركة الفلسطينية، فترة شهدت مناقشات متصاعدة وحوارا بين مختلف منظمات الحركة حول المجرى المستقبلي للمقاومة. وبينما قوت تلك من قبضة منظمة التحرير الفلسطينية والقضية الفلسطينية، فإنها طرحت تحديا أمام الدول العربية التي رغبت في تعزيز مصالحها القومية، وكان ذلك تطورا أدى إلى نزاع مفتوح وحشى بين منظمة التحرير الفلسطينية وبعض الدول العربية، نزاع بلغ ذروته في مذبحة ١٩٧٠ الأردنية، والتي عرفت باسم أيلول الأسود، عندما شن جيش الملك حسين هجوما عنيفا على الفلسطينيين لتدمير قوتهم ونفوذهم المتناميين في البلاد.^(٢١)

إن انتقال قاعدة منظمة التحرير الفلسطينية من الأردن إلى لبنان بعد تلك المذبحة وعمليات الطرد في الأردن لم تنه كوارث منظمة التحرير، على أى حال، حيث انغمست في الحرب الأهلية اللبنانية في منتصف السبعينيات إذ بينما دعم الجناح اليسارى في الحركة القوى التقدمية بقيادة كمال جنبلاط والجبهة الوطنية اللبنانية، فإن آخرين اختاروا أن يظلوا خارج النزاع تجنباً لأردن أخرى، ومع ذلك فإن منظمة التحرير الفلسطينية لم تستطع فصل نفسها عن الحرب الجارية في لبنان والتي استهلكت جهودها لما يقرب من عقد وأعاقت الحركة للعديد من السنوات.

إن تشابك منظمة التحرير الفلسطينية بالحرب الأهلية اللبنانية ووضعها الاستراتيجى في لبنان كقاعدة لعملياتها السياسية العسكرية ضد إسرائيل كلف منظمة التحرير الفلسطينية هزيمة أخرى، عندما غزت إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢.^(٢٢) إن طرد قيادة منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان، الذى تلى كثف قهر الفلسطينيين في "الأراضي المحتلة" وأدى إلى ذبح الآلاف من الفلسطينيين في صابرا وشاتيلا، في معسكر اللاجئين في لبنان، وهى مذبحة صممت لاستئصال آخر آثار نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية في البلاد.

ورغم كل المعوقات والهزائم التى عانتها منظمة التحرير الفلسطينية خلال السبعينيات وأوائل الثمانينيات، فإن الحركة القومية حافظت على زخمها فى مواصلة نضالها من أجل تقرير المصير القومى. إن قهر الشعب الفلسطينى وقيادته فى كل من لبنان والأراضي المحتلة بعد غزو لبنان لم يمنع من النضال من أجل حقوقه المشروعة^(٢٣). إن مثل ذلك القهر قد زاد فى الحقيقة من عزمه على النهوض فى احتجاجات جماهيرية ضد هذا القهر. ففي الهبة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٨٧

(الانتفاضة) ثار عشرات الآلاف من الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية ضد حكم القهر الإسرائيلي في الأراضي المحتلة^(٣٤). إن هذه الهبة الشعبية داخل حدود إسرائيل، فيما بعد حرب ١٩٦٧، قد قوت قضية الحركة الفلسطينية في المطالبة بحل دائم للاحتلال عبر الحكم الذاتى المحلى.

إن مثل هذه الاتفاقية قد تم التوصل إليها في منتصف التسعينيات تقريبا، عندما انتقل حكم الأراضي المحتلة إلى السلطة الفلسطينية، غير أن الطبيعة المحدودة للتنازلات الإسرائيلية في الاعتراف بالحكم الذاتى المحلى في غزة والضفة الغربية، وبالمثل البناء المستمر لمستوطنات إسرائيلية جديدة هناك قد عقدت احتمالات حل سلمى طويل الأمد للقضية الفلسطينية.

إن القومية الفلسطينية والحركة القومية قد مرتا عبر طريق طويل خلال العقود القليلة الماضية، ورغم عمليات الطرد والمذابح والتدمير التى عاشها الفلسطينيون عبر مجرى نضالهم من أجل وطن قومى فإنهم مصممون على القتال من أجل حقوقهم لتحقيق تقرير المصير القومى مهما اقتضاهم الأمر لإنجاز هذا الهدف.

کردستان والأكراد

استوطن الشعب الكردى منذ قرون سابقة على الهجمة العنيفة للإمبراطورية العثمانية ما أصبح الآن ركنا حيويا فى الشرق الاوسط، ممتدا من جبال وتلال الأناضول الشرقية حتى الطرف الشمالى لوادى ما بين النهرين. إن الغزو العثمانى لهذه الأراضي فى القرن السادس عشر جاء معه بتحول اجتماعى، عبر مجرى القرون الأربعة التالية، غير بعمق بنية العلاقات الاجتماعية للمجتمع الكردى.^(٣٥)

بعد أن هزم العثمانيون الأكراد فى القرن السادس عشر أقاموا نظاما إقطاعيا على امتداد الأراضي الكردية، وقد ظل هذا النظام سائدا فيما بعد رغم تعديله بواسطة الأحوال التاريخية المتغيرة، لقد نافس الأغوات القبليون (ملاك الأراضي) الواحد منهم الآخر من أجل السلطة والنفوذ. وكان هؤلاء المتنافسون ينظرون إلى نزاع أحدهم ضد الدولة المركزية باعتباره فرصة لإضعافه، إن هذه المنافسات التقليدية حددت فيما بعد انحيازات سياسية فى كل من العراق وکردستان التركية، ولذا فإن الأحوال التاريخية المواتية للتماسك الاثنى بين الشعب الكردى كانت موجودة فقط فى شكل أولى فى کردستان قبل تكوين دول الشرق الاوسط الحديثة.^(٣٦)

وغدت الأراضي التي يقطنها الأكراد -فيما بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية- خاضعة لولاية القوى الغربية أولاً، ثم أخيراً للدول التي تكونت فيما بعد الاحتلال الأوروبي وغدت كردستان، بهذه الطريقة، تحت الحكم النهائي للدول القومية البازغة حديثاً، دول تركيا والعراق وسوريا، وكذا إيران بالمثل.

إن الوضع بعد الاستسلام العثماني كان أي شيء غير أن يكون موافقاً للأكراد، حيث ظل الجزء الأساسي من كردستان في إيران بالفعل تحت حكم الفرس منذ عام ١٩٢٩، وغدا جنوب كردستان والذي كان مطابقاً تمام المطابقة لإقليم الموصل العثماني السابق، غدا تحت الحكم البريطاني، وغدت كردستان التركية وجنوب كردستان هي مسرح المحاولات الكردية الفاشلة لتحقيق الاستقلال.^(٣٧)

إن الأرض التي تغطي كتلة مساحتها ٤١٠٠٠٠ كيلو متراً مربعاً تقريباً -أرض كردستان- يسكنها (في منتصف التسعينيات من القرن العشرين) من ٢٢ إلى ٢٥ مليون كردياً يدعونها وطنهم. إن لدى تركيا، داخل حدودها، حوالي نصف إجمالي السكان الأكراد (أي ١٩٤٠٠٠ كيلو متراً مربعاً)، لديها أكبر تركيز من الأكراد في الشرق الأوسط، إنهم حوالي ١٢ مليوناً، مما يقترب من ربع إجمالي سكان تركيا. ويصل الجزء من كردستان في إيران إلى حوالي ١٢٥٠٠٠ كيلو متراً مربعاً حيث يعيش منها ما بين حوالي ٤ مليون كردياً (أو أكثر من ١٦ ٪ من إجمالي سكان إيران). ويوجد في العراق حوالي ٤ مليون كردياً (أو ٢٨ ٪ من إجمالي سكان العراق) يعيشون على ٧٢٠٠٠ كيلو متراً مربعاً من الأرض، وهناك في سوريا حوالي ١٨٠٠٠ كيلو متراً مربعاً يسكنها حوالي مليون كردياً (أي ٩ ٪ من إجمالي سكان سوريا) يضاف إلى ذلك أكثر قليلاً من مليون كردى يعيشون في الدول المجاورة، بما فيها الاتحاد السوفيتي السابق وبلدان عربية عديدة بينما يعيش في الخارج أكثر من نصف مليون كردى (أساساً في أوروبا، وخاصة في ألمانيا) حيث استقروا كعمال مهاجرين.^(٣٨)

لقد لعبت القبيلة، تقليدياً، دوراً أساسياً في المجتمع الكردي وفي البنية الاجتماعية:

إن القبيلة الكردية وحدة اجتماعية سياسية، وبصورة عامة أرضية أيضاً (ومن ثم اقتصادية) تقوم على نسب وقراءة حقيقية أو مزعومة مع بنية داخلية متميزة، إنها مقسمة بصورة طبيعية إلى عدد من العائلات (*). تنقسم كل واحدة منها بدورها إلى وحدات أصغر: عشائر وذراري.. الخ

(*) تقسيم قبلي ثانوي - ربما بطون (المترجم)

وكما يشير بروينسن، على أى حال، فليس كل الأكراد قبليين، ففي بعض المناطق بشكل الأكراد غير القبليين، في الحقيقة، الأغلبية الساحقة من السكان^(٤٠) ومع ذلك يكتب جيرارد شالياند، "إن الإنقسام القبلى يهيمن على كل المجتمع [الكردى] إذ حتى هؤلاء الذين ليسوا بقبليين يخضعون لقواعد القبيلة^(٤١). ويوافق بروينسن على "أنهم" في الحقيقة في جميع الحالات تقريباً (أو أنهم كانوا كذلك حتى وقت قريب للغاية) خاضعين سياسياً و/ أو اقتصادياً لأكراد منظمين قبلياً، حتى إن البنية القبلية، كانت تعلق فوق العلاقات شبه الاجتماعية المهيمنة.^(٤٢)

"إن صورة الأكراد الأحرار باعتبارهم أناساً على الفطرة محبين للحرب والتي يشيعها الرحالة والتجار والمبشرون الأوروبيون والأمريكيون، كما يكتب فرهاد إبراهيم لا تتطابق البتة والحقيقة، لكنها على الأصح جزء من ظاهرة الاستشراق.^(٤٣) ويشير شالياند إلى "أن جزءاً صغيراً فقط من السكان الأكراد هم بدو رحل، على عكس الاعتقاد الشائع".

إن غالبيتهم مزارعون، ومربو ماشية إلى حد أقل بكثير، إن الجبال لا تقدم أكثر من اقتصاد يقف عند حد مستوى ضرورات العيش، بينما تقدم سهول سوريا والعراق محاصيل جيدة من الحبوب.. إن الفلاحين كقاعدة عامة، في المناطق الجبلية حيث مازالت تستخدم الأساليب التقليدية للزراعة يمتلكون أرضهم، بينما يعتمد ملاك الأراضي في الوديان على المزارعين المستأجرين، وبصورة متزايدة على العمال الزراعيين.^(٤٤)

لقد مر المجتمع الكردي بتغيرات اجتماعية كبرى خلال العقود العديدة الماضية، إن صفته كانت تتغير من مجتمع مقيد إلى نظام زراعى معزول شبه إقطاعى إلى مجتمع مقيد إلى بنية رأسمالية صناعية حضرية تقوم على العمل المأجور:

لقد مر المجتمع الكردي خلال العشرين سنة الأخيرة بتغيرات عميقة بدلت إلى حد كبير أبنيته التقليدية، لقد تحطم الإقطاع، واختفت البداوة، بل إن شبه البداوة لا يمارسها الآن غير آلاف قليلة من الناس ويفرغ الريف من سكانه مع الميكنة التدريجية للزراعة؛ وقد تدفق مئات الآلاف من الفلاحين إلى المدن الكردية والمدن الصناعية التركية الكبرى.. إن التماس بعالم البروليتاريا والثقفين التقدميين سيسهم بصورة سريعة للغاية.^(٤٥)

إن الغالبية العظمى من الأكراد مسلمون سنيون يتبعون مذهب الشافعي، ويعارضون المذهب الحنفي الذي يتبعه الأتراك والعرب. وهناك على أي حال أكراد يتبعون التعاليم الشيعية (وخاصة هؤلاء الذين يعيشون في إيران وبعض من يعيشون في العراق) بينما يتبع آخرون المذهب الألفي واليزيدي.

إن للأكراد لغتهم المتميزة في شكلها المنطوق والمكتوب، غير أن استخدامها قد منع في كثير من البلدان التي يسكنها الأكراد، وكانت تركيا -من بين هذه البلدان- هي التي تتمتع بالسمعة الأكثر سوءاً، حيث إن استخدام الكردية للاتصال بأي شكل من الأشكال كان حتى وقت قريب غير قانوني ويعاقب فاعله بشدة. لقد نبغ حظر استخدام اللغة الكردية في سياسة تعمل على الحد من الاتصال بين الأكراد أو منعه، وكذا بالمثل من أجل تآكل هويتهم الثقافية من أجل استيعابهم في الثقافة والمجتمع السائدين ويكون ذلك هو الأفضل.^(٤٦)

لقد كانت الاختلافات في اللهجات واللغة المكتوبة كما يمارسها الأكراد في إيران وتركيا والبلدان العربية عقبة للاتصال عبر الحدود القومية:

هناك عدد كبير من اللهجات المختلفة يمكن تصنيفها في عدد يزيد أو يقل من المجموعات التي لا يمكن، أو يمكن بصورة جزئية للغاية، فهمها بطريقة مشتركة.

١- إن اللهجة الشمالية واللهجة الشمالية الغربية عادة ما تسمى "الكورماني" (وهناك مصدر محتمل للإرباك هو حقيقة أن بعض القبائل الجنوبية تطلق على نفسها أيضاً "الكورمان" وبالتالي يطلقون على لغتهم "الكورماني" رغم أنها تنتمي إلى المجموعة الجنوبية).

٢- يطلق على اللهجات الجنوبية في الغالب "السوراني" رغم أن "السوراني" منطوقة على الوجه الصحيح، ليست إلا لهجة واحدة فقط تنتمي إلى هذه المجموعة التي تشمل أيضاً على الموكري السليمانى ولهجات أخرى عديدة.

٣- اللهجات الجنوبية الشرقية مثل السيني (الساناناداي)، والكير ما نشاهي، والليكي. وتلك اللهجات أقرب للفارسية الحديثة من تلك التي في المجموعتين الأخريين.

إن مجموعات اللهجات تلك تبين وجود ليس فقط اختلافات لغوية وصوتية منطوقة كبيرة، لكنها تبين أيضاً اختلافات كبيرة في بعض السمات النحوية.... وإلى جوار تلك المجموعات الثلاثة في اللهجات الكردية الخالصة،

نجد مجموعتين أخريين من اللهجات يجرى الحديث بهما في كرستان، وهما تنتميان إلى نوع آخر من العائلة الإيرانية.. الزازا والجوراني.. ويجب على أى حال ملاحظة عدم وجود أى حدود صارمة. اللهجات تندمج تدريجياً، ومجموعات تتكلم لهجة واحدة يمكن أن تعيش بين أغلبية ممن يتحدثون لهجة أخرى.^(٤٧)

هنالك بالإضافة إلى الاختلافات فى اللهجات على أساس المناطق اختلافات فى اللغة المكتوبة، كما هو واضح فى استخدام أبجديات مختلفة.

لقد استخدم كل الأكراد الذين يعرفون القراءة والكتابة الأبجدية الفارسية - العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ثم أدخل الأخوة بديرخان فى العشرينيات من القرن العشرين الأبجدية اللاتينية، والتي غدت نموذجية فى كرستان التركية والسورية. وتم فى كرستان الإيرانية والعراقية ملانمة الأبجدية العربية مع خصوصيات اللغة الكردية، وكُتبت اللغة الكردية فى الاتحاد السوفيتى السابق بحروف "سيريلية"^(*) إن تنوع الأبجديات وافتقار لغة كردية متناسقة جعل اتصال المثقفين فيما بين الأكراد عملية صعبة.^(٤٨)

ورغم تلك الفروق والقيود الثقافية المختلفة المفروضة عليهم فقد قاوم الأكراد القهر الذى يعانونه على أيدى الأنظمة السلطوية العقيمة التى حكمت الأراضى الكردية، ووجدوا طرقاً يمكن أن تحقق رباطاً عاماً بين الأكراد فى نضالهم من أجل الحكم الذاتى القومى.

أصول الحركة القومية الكردية

تعود المسألة الكردية، وأصول الحركة القومية الكردية، إلى انهيار الإمبراطورية العثمانية عند نهاية الحرب العالمية الأولى والتي أدت إلى تقسيم كرستان بين الدول الإمبريالية الغربية ثم قسمت بالتالى الأراضى التى يقطنها الأكراد بين العديد من الأمم حديثة النشأة، مما شتت السكان الأكراد بصورة فاعلة عبر أجزاء الشرق الأوسط.

(*) منسوبة إلى المبشر السلافى سيريل الملقب بمخترع الأبجدية السيريلية (المترجم)

ورغم أن الخطوة الأولى في تكوين الحركة الكردية كان نشر صحيفة "كردستان" عام ١٨٩٨ فإن النضال التحرري القومي الذي شنه الأكراد لم يظهر إلى الوجود بصورة كلية إلا بعد تقسيم كردستان عند نهاية الحرب العالمية الأولى.

إن التحرك الكردي الأول من الاحتلال البريطاني لكردستان في العراق قد حدث عام ١٩١٩ - ١٩٢٠. لقد هدفت الحركة التي قادها الشيخ محمود إلى خلق دولة كردية تتمتع بالحكم الذاتي غير أنه فشل في تحقيق ذلك.

في عام ١٩١٨ في جنوب كردستان أعلن رأس نظام الأسرة الحاكمة القابلية في كردستان، الشيخ محمد بارازاني، أعلن نفسه حكاماً (حاكماً) لكردستان، وقامت الإدارة البريطانية فيما بين النهرين بداءة بالتسامح مع محاولة القادة الأكراد كسب الاستقلال، ولم تكن قد قررت بعد الوضع فيما بين النهرين وجنوب كردستان غير أن البريطانيين قاموا عام ١٩١٩ بتجريد "الحكام" من سلطته، خشية أن يضعهم الشيخ محمود أمام الأمر الواقع غير القابل للنقض، قبل أن يكونوا قادرين على تحديد مصير المنطقة المحتلة. (٤٩)

ورغم أن "اتفاقية سيفريس" تضمنت شرطاً (في المواد ٦٢ - ٦٤) بإيجاد دولة مستقلة على الأرض الكردية إلا أن هذا لم يتحقق في أرض الواقع أبداً. (٥٠) وقد أدت مناورات القوى الغربية وخاصة بريطانيا وفرنسا إلى المزيد من نقل الأرض الكردية إلى أيد أجنبية، ومهدت الأرض لتمرّد ثان بقيادة الشيخ محمود عام ١٩٢٣ وسحق الجيش الإنجليزي، على أي حال، هذه الهبة ونفى الشيخ إلى الهند.

وقد ألحق جزء كبير من الأراضي الكردية بالدولة التركية الحديثة، وأدخلت شريحة كبيرة من السكان الأكراد تحت سيطرتها بعد توقيع اتفاقية لوزان في يونيو ١٩٢٣، وهي الاتفاقية التي فسخت اتفاقية سيفريس، وصدر في أوائل عام ١٩٢٤ مرسوم تركي يحظر كل المدارس والمنظمات والمطبوعات الكردية بما في ذلك الجمعيات والمدارس الدينية مع الحد من حرية الفكر والجمعيات إلى حد كبير. (٥١) وكان رد الفعل هو "تشكيل حركة مقاومة عريضة القاعدة بعد أن غدا واضحاً للأكراد أن الدولة الكمالية الجديدة كانت دولة تركية لن تسمح بالتعددية الانثية"، (٥٢) وقد حفز ذلك هبة أخرى واسعة الانتشار عبر كردستان التركية بدأت في أوائل ١٩٢٥، وسُحقت الهبة بوحشية كما حدث في حالات سابقة.

وفى النصف الأخير من العشرينيات وخلال الثلاثينيات من القرن العشرين وضعت هبات جديدة عبر كردستان أساس الثورة التالية فى النشاط القومى والمقاومة.

استثارات الأعمال البربرية للقوات العسكرية التركية فى كردستان من ١٩٢٥ حتى ١٩٣٩ تمردات وهبات فلاحية دائمة. وفى عام ١٩٢٥ كان هناك التمرد الكبير الذى قاده "الشيخ سعيد"، ثم التمردات فى "رامان" و"رسشكولتان"، الواقعتين فى منتصف الطريق الى "تياربكر" و"سيرت". ومنذ ١٩٢٦ إلى ١٩٢٧ كان الدور على سكان "هينيس" و"فورتو" و"سولهان" و"بينجول" و"جند"، كى يهبوا ضد الأتراك. وشهد عام ١٩٢٨ هبات فى "ساسون" و"بيردارى" و"كوزلوك"، وانفجر عصيان منظم من ١٩٢٨ إلى ١٩٣٢ فى منطقة "أرارات"، وفى النهاية قاتل سكان الجبال فى "نرسيم" من ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩، ضد القوات التركية، وكانت هناك تمردات محلية تلقائية، فضلا عن تمرد أرارات والتمرد الذى قاده الشيخ سعيد. (٥٣)

وانتشرت الهبات فى أوائل الثلاثينيات فى القرن العشرين فى تركيا إلى الشرق عبر الحدود مع إيران إذ تفجر تمرد جديد عام ١٩٣١، فى كردستان الإيرانية بقيادة جعفر سلطان، وهبة مماثلة فى العراق فى ذاك العام قادها فى البداية الشيخ محمود (والذى كان قد عاد من المنفى فى الهند) وقادها فيما بعد الشيخ أحمد بارازانى.. وهى التى أعدت المسرح للمواجهة الشعبية مع البريطانيين الذين أرسلوا القوة الجوية الملكية لمهاجمة قرى الأكراد وإنهاء العصيان. وقد سحقت هبات تالية فى العراق عام ١٩٣٣ وفى تركيا من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٨، غير أن النشاط القومى المتزايد فى العراق فى أوائل الأربعينيات من القرن العشرين أدى إلى المزيد من أعمال التمرد فى الفترة من ١٩٤٣ إلى ١٩٤٥. (٥٤)

إن هزيمة أعمال التمرد تلك وتراجع القيادة الكردية إلى كردستان الإيرانية أدى إلى تأسيس الحزب الكردى الديمقراطى (كى دى بيه) فى إيران عام ١٩٤٥ وتشكل تنظيم مماثل بواسطة الأكراد فى العراق (الحزب الكردى الديمقراطى للعراق) والذى لعب دوراً موازياً فى تنسيق الجهود ضد الدولة القمعية فى العراق.

وقد فتح النشاط القومى المتصاعد وسلسلة الهبات فى المنطقة، خلال هذه الفترة، فتح الطريق أمام إعلان جمهورية ماهاباد الكردية الأولى فى إيران فى أوائل عام ١٩٤٦. وقد دمرت الجمهورية الجديدة التى قادها كوازى محمد، على أى حال، بعد عام واحد فقط من بدايتها. (٥٥)

إن هزيمة ماهاباد- تحدد بداية انحدار الحركة القومية الكردية خلال العقدين التاليين وبدأ نضال الحركة القومية الكردية المتجدد في منتصف الستينيات من القرن العشرين في طرح تحد جديد للأنظمة القمعية التي تسيطر على الأراضي الكردية في المنطقة.

القومية الكردية والنضال من أجل تقرير المصير

عاشت الحركة الكردية بداية من منتصف الستينيات وحلول السبعينيات بعثاً جديداً، إذ بدأت منظمات يسارية متعددة في احتضان القضية الكردية كجزء من استراتيجيتها السياسية الكلية.

ففي تركيا اشتملت الأحزاب التي أدرجت المسألة الكردية في برامجها على حزب العمال التركي والحزب الشيوعي التركي،^(٥٦) يضاف إلى ذلك أن أحزاباً ومجموعات كردية متعددة ونشطة في كردستان التركية، لعبت دوراً هاماً في تصعيد المسألة الكردية خلال هذه الفترة.

ويكتب مارتين فان بروينسن "تبارت المنظمات الكردية في السبعينيات من القرن العشرين في تقديم مطالب أكثر راديكالية.. ونمت السياسات الراديكالية إلى عنف متطرف، ليس فقط في الشرق ولكن في كل أنحاء تركيا.^(٥٧) وكان حزب العمال الكردستاني (بارتيا كاركير كردستان، بي كي كي) هو الأكثر فاعلية في كل المنظمات اليسارية في كردستان التركية.

لقد أسس عبد الله أوجالان الـ بي كي كي عام ١٩٧٨، وكان نشطاء بين العمال والفلاحين عبر المناطق الكردية من شرق تركيا خلال السنوات التي أدت إلى الانقلاب العسكري عام ١٩٨٠.

إن إيديولوجية ونشاطات الـ بي كي كي المجاهدة في الستين والأولتين لتأسيسه أدت إلى اضطهاد شديد القسوة في ظل النظام العسكري، ولم يستطع غالبية أعضاء اللجنة المركزية لـ بي كي كي من الهرب من تركيا بعد انقلاب ١٩٨٠. وكان القبض على جزء من القيادة ضربة ثقيلة وجهت إلى الحزب.. ولم يصبح الحزب قادراً على النشاط مرة أخرى عبر كردستان التركية إلا في منتصف الثمانينيات من القرن العشرين.^(٥٨)

لقد كان الانقلاب العسكري عام ١٩٨٢ عقبة كبرى أمام النضال الكردي في تركيا، حيث شن الجيش التركي عملية هائلة في الأقاليم الشرقية لتحطيم ظهر البي كي كي ولتصعيد حركة المقاومة عبر كردستان التركية^(٥٩). وقد سعى النظام العسكري إلى سحق الحركة الكردية في كل المدن الكردية الكبرى والقرى، فافرض عليها الحكم العرفي وسيطرة عسكرية/شرطية جازمة. كما يشير دافيد مك دووال:

لجأت السلطات حتى يمكن اعتواء هذا التصدي الجديد الخطير - إلى عدد من الاجتراءات شديدة القسوة من أجل ردع تمرد البي كي كي. لقد اعتبرت السلطات على عمليات القتل الواسعة إثر كل حادثة من حوادث حرب العصابات. لقد كان شعب جنوب شرق الأناضول مخيفاً بالنسبة للقوات التركية المسلحة منذ تأسيس الجمهورية، غير أن مرحلة أخرى من الرعب بدأت الآن، بدأت في عمليات قبض واسعة، وغدا الضرب والتعذيب ممارسة عادية بين السكان والأكراد.^(٦٠)

وقد أدت الحالة الناجمة عن القمع الواسع للسكان الأكراد إلى شلل الحركة القومية الكردية في أوائل الثمانينيات من القرن العشرين، غير أن ذلك لم يدم طويلاً، وشن البي كي كي حرب العصابات، في مواجهة الرعب الذي أطلقت عنانه، حتى يحقق نصلاً مسلحاً ممتداً ضد الجيش التركي، وقد أكسب هذا العمل الحزب أقوى دعم من الكتل الكردية عبر كردستان التركية^(٦١) واحتل البي كي كي في منتصف الثمانينيات من القرن العشرين موقعا مركزيا في النضال القومي بتأسيس "القوات المسلحة لتحرير كردستان" و"جبهة كردستان القومية التحريرية" ودعا كل المنظمات الكردية للانخراط في القوات دعماً للنضال من أجل التحرر القومي.^(٦٢)

وفي أواخر الثمانينيات من القرن العشرين كان هناك توسع لعمليات حرب العصابات عبر كردستان التركية والتي ساهمت في تزايد التعاطف مع البي كي كي ودعمه في القرى والمدن الكردية.. وقامت مظاهرات جماهيرية مساندة للبي كي كي في العديد من المدن خاصة في مدينتي "سيرز" و"نصيبين" - في ربيع ١٩٩٠، وفي مدن عبر الأناضول الشرقية في مارس ١٩٩١، وقد كشفت المظاهرات عن طبيعة القاعدة العريضة للمساندة السياسية التي يحظى بها البي كي كي.

كان هناك، في عام ١٩٩٠، عدد من الصدامات بين المتظاهرين المدنيين وقوات الأمن في سيرنك، إيريل، سيرز، ميديات، وفي أماكن أخرى في أوائل مارس ١٩٩١، والمزيد من المظاهرات في النيروز (العام الجديد) في ٢١

مارس، ليس فقط في كردستان ولكن أيضاً في أخته والأخيرة واسطبوله.
وفي يوليو ١٩٩١، [كان هناك] من قتلوا بعشرين ألف شخص في شوارع
فياربكر (١٧).

إن دور آل بي كي كي -في تلك الأعمال الجماهيرية وغيرها- ضد الوجود المرئي
للجيش التركي في المدن الكردية كان أساسياً. إن حشده لقطاع كبير من السكان
الأكراد كي يقاتلوا قمع الدولة قد أكسب الحزب الاعتراف به واحترامه عبر كردستان
التركية. إن آل بي كي كي هو في الحقيقة -كما يشير مارتين فان بروينسن- المنظمة
الكردية الوحيدة التي تحدث بتجّاح هيمنة الجيش التركي على كردستان. (١٨)

ويكتب فرهارد إبراهيم أن آل بي كي كي يعتبر أن العنف في ظل الأوضاع السائدة
اليوم هو الشكل الوحيد للمقاومة الممكنة ضد الأعمال القمعية للدولة التركية، والعنف
الذي يرتكبه عملاؤها من الأكراد المحليين من الأغوات والشيوخ. (١٩) إن الأعمال
المسلحة لـ بي كي كي ضد الدولة التركية- والتي استخدمت فريقاً كبيراً من جيشها
لإخماد المقاومة في كردستان- قد أدت إلى مشاركة أكبر من الأكراد في آل بي كي
كي، غير أن قبض السلطات التركية على قائد آل بي كي كي عبد الله أوجالان عام
١٩٩٩ قد عقد الوضع، وألقى بالـ بي كي كي والحركة الكردية في اضطراب عظيم.

وقد تمتعت الحركة الكردية في العراق بفترة قصيرة من التجديد تالية لسقوط الملكية
عام ١٩٥٨، وكان مرجع ذلك إلى حد كبير هو الدعم الواسع الانتشار والمساندة التي
تلقتها الحركة من الأحزاب اليسارية الراديكالية بما فيها الحزب الشيوعي العراقي،
كوسيلة للحصول على تنازلات من الحكومة الجديدة. وسرعان ما وقعت القوى الكردية،
على أي حال، ضحية للسياسات القومية للجناح اليميني لمختلف حكومات البعث التي
وصلت إلى السلطة خلال الستينيات، وخاصة بعد الانقلاب الفاشستي عام ١٩٦٣، ولم
يتحسن الوضع، بأي حال، بعد تبوء صدام حسين السلطة عام ١٩٦٨ وعاشت الحركة
انحداراً ثابتاً خلال السبعينيات والثمانينيات.

إن كل من آل بي يوكي وآل دي بي كي قد قادا لفترة قصيرة في منتصف
السبعينيات عمليات حرب عصابات ضد دولة العراق، غير أن الخلافات حول
الأيدولوجية والمسائل الاستراتيجية أدت في أواخر السبعينيات في القرن العشرين إلى
صدام كبير أنهى التحالف وفتح الطريق أمام كل علاقة خارجة عن السيطرة دمرت فيها
القرى الكردية، أو أخلت من سكانها في محاولة لعزل حرب العصابات عن قاعدتها
الجماهيرية في المناطق الريفية.

ويكتب ابراهيم أدت أربعة أحداث بدءاً من أواخر سبعينيات القرن العشرين إلى إحداث تغييرات أساسية في الحركة القومية الكردية عبر كردستان: انهيار الحركة في العراق؛ ثورة إيران عام ١٩٧٩؛ الانقلاب العسكري في تركيا عام ١٩٨٠، والحرب الإيرانية-العراقية والتي امتدت لعقد تقريباً.^(٦٦)

وواجهت الحركة الكردية خلال الثمانينيات من القرن العشرين حكومات مركزية مخيفة في تركيا والعراق وإيران، فقد وضع انقلاب سبتمبر في تركيا المناطق الكردية في شرق الأناضول تحت الحكم العرفي، واجبرت الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ والحرب الإيرانية-العراقية التي بدأت عام ١٩٨٠، أجبرت الحركة على التراجع خلال الثمانينيات من القرن العشرين.

"كانت هنالك" خلال الأشهر التي تلت الثورة الإسلامية، "صدامات عنيفة بين القوميين الأكراد ومساندى النظام الإسلامى".

لقد احتل الجيش والحرس الثوري المدن والبلدات وقتلوا المئات في المعارك الأولى، بينما أعدم العديون غيرهم بعد "عدالة" ثورية عاجلة واتجه آلاف الأكراد المسلمين إلى الجبال والتحقوا بنجاح بالجيش والحرس في حرب العصابات.^(٦٧)

ولذا لم يكن مأزق الشعب الكردي في إيران أفضل من المأزق الذي عاشه أقرانهم في تركيا والعراق. ووضعت الحرب الإيرانية-العراقية أكراد أحد البلدين في مواجهة أكراد البلد الآخر. ولذا فانه عندما شنت إيران هجماتها العنيفة على الأقلية الكردية في كردستان الإيرانية فإن الحزب الكردي الديمقراطي (كي دي بي)-إيران انحاز مع العراق من أجل الدعم المالي والاستراتيجي، وعلى عكس ذلك عندما قمع نظام صدام حسين الأكراد العراقيين قدمت إيران للحزب الكردي الديمقراطي (كي دي بي كي)-العراق في محاولة للإطاحة بالنظام العراقي.^(٦٨)

وبينما الحرب الإيرانية العراقية تتجه إلى الخمود كان الحدث الذي جذب الانتباه الدولي لقهر الأكراد العراقيين هو مذبحة "حالايا". ان القذف الكيميائي الذي قامت به الحكومة العراقية لمدينة حالايا أدى إلى موت آلاف المدنيين الأكراد، ويكتب برونيسن، "فيما بعد بأقل من نصف عام":

استخدمت العراق مرة أخرى الأسلحة الكيميائية ضد مواطنيها الأكراد، وقد استخدمت بفاعلية منذ ذلك الحين التهديد بأسلحة الرعب تلك، لم يكن قد مضى وقت طويل على توقيع وقف إطلاق النار مع إيران حتى وقع الهجوم الثالث والأكثر وحشية، هجوم "الأنفال" (في أغسطس ١٩٨٨) لقد

وجه هذا الهجوم إلى المناطق التي يسيطر عليها الحزب الكردي الديمقراطي في أقصى جزء من شمال العراق، وقد استخدم الغاز السام في الهجوم، فقتل الآلاف ودفع من تبقى حيا إلى الفرار رعباً^(٦٩).

كانت الحركة الكردية بعد نهاية الحرب مقهورة في البلدان الثلاثة، وكان على الحركة وهي مشلولة وفي أسوأ شكل لها على الإطلاق، خلال عقودها الطويلة من النضال من أجل الاستقلال، كان عليها أن تواجه عائقاً آخر مع بداية حرب الخليج عام ١٩٩١، لقد تشجع الأكراد العراقيون بعد غزو العراق للكويت، وهزيمتها التالية بعد تدخل ضخم للولايات المتحدة، تشجعوا على أن يهبوا ضد نظام صدام حسين، إن قوى المعارضة التي هبت تراوحت من الأكراد القوميين إلى الأصوليين الشيعة إلى البورجوازيين الليبراليين، وعلى أي حال، فإن الهبة المخططة -كما يقول برونيسن- أخفقت كلية وأدت إلى أكبر كارثة في التاريخ الكردي حتى ذلك الوقت:

هب الأكراد العراقيون في مارس ١٩٩١ في أضخم تمرد قاموا به على الإطلاق.. وساد لأسابيع قليلة شعور بالحرية، عطل الأكراد جهاز الحكومة الموجود في الشمال واستسلم الجنود العراقيون للأكراد، أو عادوا في بساطة إلى دورهم، غير أنه اتضح فجأة، وبصورة مؤلمة أن القوة العسكرية لصدام لم تحطم في الحرب، كما كانت الآمال، وهاجمت الدبابات العراقية والطائرات المروحية المسلحة المدن المتمردة، وسرعان ما ثبت عزم العديد من الأكراد بسبب القذف بحمضى الفوسفوريك والكبريتيك، والخوف من ترسانة العراق الكيميائية المرعبة، مما دفع بمئات الآلاف مذعورين إلى الجبال نحو الحدود التركية والإيرانية وهرب أكثر من مليوني شخص هم نصف الأكراد العراقيين أو أكثر من منازلهم.^(٧٠)

إن خروج اللاجئين الأكراد الواسع عبر الحدود من العراق إلى تركيا وإيران دول بصورة فاعلة المسألة الكردية مرة أخرى، مجبرا الحكومات الثلاث على تناول أثر هذه الأزمة على سياساتهم الداخلية فيما يتعلق بأقلياتهم الكردية.

وأعادت الأحزاب الكردية والمنظمات الجماهيرية في السنوات التالية لحرب الخليج، خلال أواخر التسعينيات من القرن العشرين، أعادوا تنظيم أنفسهم كما أعادوا تقييم دورهم في النضال القومي. وبينما واصلت الاختلافات في الأوضاع الأيديولوجية فرز المجموعات الكردية العديدة في كردستان فإن هدفا عاما واحدا بزغ على الدوام باعتباره المبدأ الرابط الذي يحدد الهوية الكردية، إنه النضال الجماعي من أجل التحرر القومي من أجل كردستان حرة مستقلة.

خاتمة

إن إزاحة القوى الإمبريالية الغربية للشعبين الفلسطيني والكردى عبر تقسيم الأراضى التى كانوا يعيشون عليها، بعد انهيار الأمبراطورية العثمانية، كان جذر المسألتين القوميتين الفلسطينة والكردية. إن قهر الفلسطينيين والأكراد، فى الأراضى المحتلة، حيث اختزلوا الى أقلية اثنية إنما هو ناتج مباشر لسياسة إمبراطورية أدت إلى الحرب والتمرد والاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط خلال جزء كبير من القرن العشرين.

إن تقسيم فلسطين وكردستان وبالمثل باقى الشرق الأوسط الذى سقط تحت الحكم البريطانى أو الفرنسى شقت أو قسم بفاعلية هذين الشعبين فى أوطانهم التاريخية، فافرضا عليهما الخضوع لأهواء دول حديثة البزوغ فيما بعد الكولونيالية، دول جاءت إلى السلطة بعد الحرب العالمية الأولى، أو تالية للانتداب البريطانى والفرنسى: تركيا، العراق، سوريا، لبنان، الأردن، وإسرائيل. لقد قامت كلها فى ظل اتفاقيات استعمارية قسمت الأراضى العثمانية المحتلة حصصا فيما بين القوى الغربية التى جاءت لتحكم شعوب الشرق الأوسط بما فيها الفلسطينيين والأكراد، وفى تلك الدول الشرق أوسطية المستقلة يواجه الفلسطينيون والأكراد الآن أشد قهر وحشى، ويقاثلون من أجل تحريرهم القومى.

إن التشابه بين النضالات القومية الفلسطينية والكردية، عبر مجرى القرن العشرين، يلقي الضوء على تماثل تجربة الاثنين والقوميين فى ظل حكم القوى التى هيمنت سياسيا لأزمان طويلة، إن هذه الخبرات قد أدت إلى تطوير هوية قومية وحركة قومية، غدت التعبير عن الإرادة المجتمعية للمجتمعين الخاصين والمناضلين من أجل التحرر. ولذا فإن الحركتين القوميتين الفلسطينية والكردية قد بزغت فى رد فعل مباشر للقوى التى حطت منهما، وأنزلت من قدرهما، إلى مواطنة من الدرجة الثانية فى دول معادية لنضاليهما من أجل الحكم القومى الذاتى والاستقلال.

ومن ثم، فإن الحركتين القوميتين للشعبين الفلسطيني والكردى غدت تمثل طموحاتهما من أجل الأمة، والتطور الحر للغاتهما وثقافتهما، ولذات الوجود فى ظرف يعزز كل ما طالبوا به كشعب. غير أن التقسيمات الداخلية على امتداد خطوط طبقية وأيديولوجية كانت الحال تعبيرا انقساميا وتوحيديا لحركة ناضجة تركز على القوى الاجتماعية والسياسية التى سوف تقود شعوبها إلى النصر فى المرحلة التالية من النضال القومى.

إن النضال المتواصل للشعبين الفلسطيني والكردي في مواجهة كثير من الشدة والضرر.. إنما هو شهادة للطموحات القومية لهذين الشعبين، وشعوب أخرى مقهورة عبر الشرق الأوسط، شعوب مصممة على القتال من أجل حقها في أمتها، وحق تقرير المصير القومي حتى النصر النهائي.

الهوامش

[1] Edward W. Said. *The Politics of Dispossession: The Struggle For Palestinian Self-Determination*, 1969- 1994 (New York: Pantheon, 1994).

[١] إدوارد و. سعيد، "سياسات الاغتصاب: النضال من أجل تقرير المصير الفلسطيني، ١٩٦٩-١٩٩٤ (نيويورك: بانثيون، ١٩٩٤).

[2] Gordon Welty, "Palestinian Nationalism and the Struggle for National Self-Determination," in "The National Question: Nationalism, Ethnic Conflict and Self-Determination in the Twentieth Century," ed. Berch Berberoglu (Philadelphia: Temple University Press, 1995), p. 16.

[٢] جوردون ويلتي، القومية الفلسطينية والنضال من أجل تقرير المصير القومي، في "المسألة القومية: القومية، النزاع الإثنى وتقرير المصير في القرن العشرين، تحرير، بيرش بيربروجلو (فلادلفيا: مطبعة جامعة تمبل، ١٩٩٥)، ص - ١٦.

[٣] المصدر السابق، ص ١٧.

[4] Baruch Kimmerling and Joel S. Migdal, "Palestinians: The Making of a People" (New York: The Free Press, 1993), PP. 1300 31.

[٤] باروك كيمرلنج وجويل س. ميجدال، "الفلسطينيون: صناعة شعب" (نيويورك: المطبعة الحرة، ١٩٩٣) ص. ص. ١٣٠ - ٢١.

[5] Pamela Ann Smith, "Palestine and the Palestinians, in *Power and Stability in the Middle East*," ed. Berberoglu, P. 157.

[٥] باميلا أند سميث، "فلسطين والفلسطينيون"، في "القوة والاستقرار في الشرق الأوسط" تحرير بيربروجلو، ص. ١٥٧.

[٦] المصدر السابق، حد. حد. ١٥٧، ١٥٩.

[٧] يختلف تقدير العدد الكلي للفلسطينيين في الشتات، غير أن هناك إجماع عام بين المؤلفين على أنه يقع في مكان ما بين ٤ ، ٥ مليون.

[٨] سميث، "فلسطين والفلسطينيون"، ص. ١٥٩.

[٩] المصدر السابق، ص. ١٦٠.

[10] Government of Palestine, "A survey of Palestine," 2 Vols. (Jerusalem: Government of Palestine, 1946), 2:569, cited in Smith, "Palestine and the Palestinians," p. 171.

[١٠] حكومة فلسطين، "مسح فلسطين" جزآن (أورشليم: حكومة فلسطين، ١٩٤٦)، ٢: ٥٦٩، مذكور في سميث، "فلسطين والفلسطينيون"، ص. ١٧٠.

[١١] سميث، "فلسطين والفلسطينيون"، ص. ١٦٠.

[١٢] المصدر السابق. أنظر أيضاً ج.س. هيورويتز، "النضال من أجل فلسطين" (نيويورك: مطبعة جرينوود، ١٩٥٨).

J. C. Hurewitz, "The Struggle for Palestine" (New York: Greenwood Press, 1968).

[13] David McDowall, "The Palestinians: The Road to Nationhood" (London: Minority Rights Group, 1995).

[١٣] دافيد مك دووال، "الفلسطينيون: الطريق إلى الأمة" (لندن: مجموعة حقوق الأقليات، ١٩٩٥).

[١٤] ويلتي، "القومية الفلسطينية"، ص. ١٨.

[١٥] المصدر السابق.

[١٦] المصدر السابق، ص. ١٩٠ وأنظر أيضاً سالم تماري "الروح الحزبية والتكوين الطبقي في التاريخ الفلسطيني الحديث" في "دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لفلسطين في القرنين التاسع عشر والعشرين" تحرير- روجر أوين (لندن: ماكملان، ١٩٨٢)، الفصل الثالث.

Salim Tamari, "Factionalism and Class Formation in Recent Palestinian History," in "Studies in the Economic and Social History of Palestine in the Nineteenth and Twentieth Centuries," ed. Roger Owen (London: Macmillan, 1982), chap. 3.

[١٧] أنظر كيمرلينج وميجدال "الفلسطينيون" ص.ص. ٩٦-١٢٣.

[١٨] المصدر السابق، ص. ٩٦.

[١٩] المصدر السابق، ص. ص. ٩٦-٩٧.

[٢٠] ويلتي، "القومية الفلسطينية"، ص. ٢١.

[٢١] المصدر السابق، ص. ٢٢.

[٢٢] المصدر السابق أنظر أيضاً نور مصالحة، "طرد الفلسطينيين" (واشنطن دي سي: معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٢).

Nur Masalha, "Expulsion of the Palestinians" (Washington, D.C.: Institute for Palestine Studies, 1992).

[٢٣] ويلتي، "القومية الفلسطينية"، ص. ٢٢.

[٢٤] سعيد، "سياسات الاغتصاب".

[25] Helena Cobban, "the Palestinian Liberation Organization" (Cambridge: Cambridge University Press, 1984). See also Alain Gresh, "The PLO: The Struggle Within" (London: Zed Books, 1985).

- [٢٥] هيلينا كوبان، "منظمة التحرير الفلسطينية" (كمبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، ١٩٨٤) أنظر أيضا البن جريش، "منظمة التحرير الفلسطينية: النضال من الداخل" (لندن: كتب زد، ١٩٨٥).
- [26] Rosemary Sayigh, *Palestinians: From Peasants To Revolutionaries* (London: Zed Press, 1979), PP. 152- 54.
- [٢٦] روزماري صايغ، "الفلسطينيون: من فلاحين إلى ثوار" (لندن: كتب زد، ١٩٧٩)، ص. ص. ١٥٢ - ٥٤.
- [27] Gerard Chaliand, "The Palestinian Resistance" (Baltimore, Md.: Penguin, 1972), PP. 60 - 61.
- [٢٧] جيرارد شالياند، "المقاومة الفلسطينية" (بليتمور، مرييلاند: بنجوين، ١٩٧٢)، ص. ص. ٦٠ - ٦١.
- [٢٨] ويلتي، "القومية الفلسطينية"، ص. ٢٤.
- [٢٩] المصدر السابق، ص. ٢٥.
- [٣٠] شالياند، "المقاومة الفلسطينية"، ص. ص. ٨٤ - ١٢٩.
- [31] See John Cooley, "Green March, Black September" (London: Frank Cass, 1973), PP. 109- 22.
- [٣١] أنظر جون كولي "المسيرة الخضراء، أيلول الأسود" (لندن: فرانك كاس، ١٩٧٣)، ص. ص. ١٠٩ - ٢٢.
- [32] James Reilly, "Israel in Lebanon, 1975-82," MERIP Reports 12, nos. 6-7 (September- October 1982).
- [٣٢] جيمس ريلي، "إسرائيل في لبنان، ١٩٧٥ - ٨٢"، تقارير ميريب ٩٢، أرقام ٦ - ٧ (سبتمبر - أكتوبر ١٩٨٢)
- [33] See Samih Farsoun, "Israel's Goal Of Destroying the Plo is Not Achievable,," *Journal of Palestinian Studies* 11, no. 4 (1982).
- [٣٣] أنظر سميح فارسون، "هدف إسرائيل تحطيم منظمة التحرير الفلسطينية غير قابل للتحقق"، جريدة دراسات فلسطينية ١١، رقم ٤ (١٩٨٢)
- [34] Zachary Lockman and Joel Beinin, "Intifada: The Palestinian Uprising Against Israeli Occupation" (Boston: South End Press, 1989).
- [٣٤] زاكاري لوكمان وجويل بينين، "الانتفاضة الهبة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي" (بوسطن: مطبعة سوت إند، ١٩٨٩)
- [35] Martin Van Bruinessen, "Agha, Shaikh and State: The Social and Political Structure Of Kurdistan" (London: Zed Books, 1992), PP. 133-95.
- See also Abdul Rahman - Ghassemlou, "Kurdistan and the Kurds" (London: Collets Holdings, 1965).
- [٣٥] مارتين فان بروينسن، "الأغا، الشيخ والدولة. الأبنية الاجتماعية والسياسية لكردستان" (لندن زد، ١٩٩٢، مصر ١٢٣ - ٩٥. أنظر أيضا عبد الرحمن غاسيملو، "كردستان والأكراد" (لندن: كولتس هولدينجز، ١٩٦٥).

[36] Ferhad Ibrahim, The Kurdish National Movement and the Struggle For National Autonomy in National Question, ed Berberoglu, PP.38- 39.

[٣٦] فرهاد إبراهيم، "الحركة القومية الكردية والنضال من أجل الحكم الذاتي القومي"، في "المسألة القومية"، تحرير بيربروجلو ص. ص. ٣٨ - ٣٩.

[٣٧] المصدر السابق، ص. ٣٩.

[٣٨] المصدر السابق ص ٣٦. من أجل تقديرات مختلفة بعض الشيء لإجمالي السكان الأكراد وللأكراد في مختلف البلدان الموجودين بها. أنظر دافين مك دووال، "تاريخ حديث للأكراد" (لندن أي بي- تاوريس، ١٩٩٦)، ص. ص. ٢-٤.

David McDowall, "A Modern History Of the Kurds" (London: I. B. Tauris, 1996), pp.3-4.

[٣٩] بروينسن، "الأغا، الشيخ والدولة"، ص. ٥١.

[٤٠] المصدر السابق، ص. ٥٠.

[41] Gerard Chaliand, "The kurdish Tragedy" (London: Zed Books, 1994), P. 19.

[٤١] جيرارد شالياند، "مأساة الأكراد" (لندن: كتب زد، ١٩٩٤)، ص. ١٩.

[٤٢] بروينسن، "الأغا، الشيخ والدولة"، ص. ٥٠.

[٤٣] إبراهيم، "الحركة القومية الكردية"، ص. ٣٧.

[٤٤] شالياند، "مأساة الأكراد"، ص. ص. ١٤ - ١٥.

[45] Kendal, "Kurdistan in Tukey," in "People Without a Country," ed. Gerard Chaliand (London: Zed Press, 1980), P. 89.

[٤٥] كيندال، "كردستان في تركيا"، في "شعب بلا بلد" تحرير جيرارد شالياند (لندن، مطبعة زد، ١٩٨٠)، ص. ٨٩.

[٤٦] المصدر السابق، ص. ص. ٨٣-٨٧.

[٤٧] بروينسن، "الأغا الشيخ والدولة"، ص. ص. ٢١-٢٢.

[٤٨] المصدر السابق، ص. ٣٧.

[٥٠] أنظر متن الأقسام المختصة في اتفاقية سيفرس (البند ٦٢ - ٦٤) في مك دووال، "التاريخ الحديث للأكراد"، ص. ص. ٤٥ - ٥١.

[51] See Ismet Sheriff Vanly, Suruey, "Suruey Of the National Question Of Turkish Kurdistan with Historical Background" (Zurich: Hevra, 1971).

[٥١] أنظر عصمت شريف فانلي، "مسح للمسألة القومية لكردستان التركية مع خلفية تاريخية" (زيورخ: هيفرا، ١٩٧١).

[٥٢] إبراهيم، "الحركة القومية الكردية"، ص. ٤٠.

[٥٣] كيندال، "كردستان في تركيا"، ص. ٦١.

- [54] See Edmund Ghareeb, "The Kurdish Question in Iraq (Syracuse, N.Y. Syracuse University Press, 1981). See also the essays by Ghassem- lou, Kendal, Nazdar, and Vanly in Chaliand, "People Without a Country."
- [٥٤] أنظر آدموند غريب، "المسألة الكردية في العراق" (سيراكوس، نيويورك: مطبعة جامعة سيراكوس، ١٩٨١). أنظر أيضا الموضوعات بقلم غاسيملو، كيندال، نازدار وفانلي في شالياند، "شعب بلا بلد".
- [55] William Eagleton Jr., "The kurdish Republic Of 1946" (London: Oxford university Perss, 1963).
- [٥٥] ويليام إيجلتون الصغير، "الجمهورية الكردية عام ١٩٤٦" (لندن: مطبعة جامعة أوكسفورد، ١٩٦٣).
- [٥٦] إبراهيم، "الحركة القومية الكردية"، ص. ٤١.
- [٥٧] بروينسن، "الأغا" الشيخ والدولة، ص. ٣٣.
- [٥٨] المصدر السابق، ص. ٤٢.
- [59] David McDowall, "The Kurds: A Nation Denied (London: Minority Rights Group, 1992), PP. 44- 47.
- [٥٩] دافيد مك دووال، "الأكراد: أمة غير معترف بها" (لندن: مجموعة حقوق الأقليات، ١٩٩٢)، ص. ٤٤-٤٧.
- [٦٠] المصدر السابق، ص. ٤٥.
- [٦١] إبراهيم، "الحركة القومية الكردية" ص. ٥٢ - ٥٤.
- [٦٢] المصدر السابق، ص. ٥١.
- [٦٣] مك دووال، "الأكراد"، ص. ٥٢.
- [64] Martin van Bruinessen, "Kurdish Society, Ethnicity, Nationalism and Refugee Problems," in "The Kurds: A Contemporary Overview," ed. Philip G. Kreyenbroek and Stefan Sperl (London: Routledge, 1992), p. 59.
- [٦٤] مارتين فان بروينسن، "المجتمع الكردي، الاثنية، القومية ومشاكل اللاجئين"، في "الأكراد موجز معاصر"، تحرير فيليب كريينبروك وستيفان سبيرل (لندن: روتليدج، ١٩٩٢)، ص. ٥٩.
- [٦٥] إبراهيم، "الحركة القومية الكردية"، ص. ٥٢.
- [٦٦] المصدر السابق، ص. ٤٤.
- [٦٧] بروينسن، "الأغا، الشيخ والدولة"، ص. ٣٦-٣٧.
- [٦٨] يكتب بروينسن، "يظل المدى الذي أجبر عليه الـ كى دى بى العراقى، كى يلحق بالحرب ضد الأكراد الإيرانيين غير واضح، أو أنه قد فعل ذلك طواعية، ومن الواضح أن الـ كى دى بى العراقى كان مرتابا إلى حد كبير في علاقات شقيقه الحزب الآخر مع بغداد". المصدر السابق، ص. ٣٩.
- [٦٩] المصدر السابق، ص. ٤٣.
- [٧٠] المصدر السابق، ص. ٤٤.

الفصل السادس

الصراع العربي - الإسرائيلي

الحرب والاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط

غدا مرتع المتنافسين الإمبرياليين -ساحة الحرب والاحتلال والاضطراب السياسى فى القرن العشرين- الأرض الممتدة من آسيا الصغرى إلى دلتا النيل، ومن الهلال الخصيب إلى شطآن شرقى البحر المتوسط، غدا هذا المرتع ساحة للدول الإمبريالية الغربية لسلب هذه الأرض ونهبها، وكان الميراث الذى تركوه بعد الحرب العالمية الثانية هو النزاع العربى- الإسرائيلى، والذى ابتلى المنطقة بالأزمات والاضطراب مدة تزيد عن نصف قرن.

أصول الصراع العربى- الإسرائيلى

لقد احتاجت الدول الإمبريالية إلى تأسيس مخفر إمبراطورى أمامى قادر على الإستجابة للحاجات المتغيرة للإمبراطورية الرأسمالية الكونية المعتمدة على الزيت لتغذية قدرتها الصناعية فى المراكز الرأسمالية المتقدمة فى أوروبا والولايات المتحدة. لقد غدا إيجاد دولة إسرائيل استراتيجية جيوبوليتيكية مريحة للدول الاستعمارية لتهيمن على كل منطقة الشرق الأوسط فى مرحلة ما بعد الكولونىالية التالية للحرب العالمية الثانية.^(١) إن تطابق اضطهاد النازى لليهود الأوروبيين وإقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ خدم بصورة جيدة احتياجات الدول الإمبريالية للحفاظ على موطئ قدمهم فى هذا الجزء من العالم فى جوار وثيق لمنابع الزيت فى الشرق الأوسط.^(٢)

إن المشروع الإمبريالى لإقامة هذا المخفر الأمامى الأوروبى فى قلب أرض الثقافة والمجتمع العربى قد أدى على أى حال إلى إزاحة السكان المحليين الفلسطينيين، الأمر الذى جاء فى أعقاب تأسيس دولة إسرائيل، والحرب العربية- الإسرائيلىة الأولى التى نتجت عن ذلك. إن النقل الجزافى للأرض الفلسطينية إلى أيدي المستوطنين اليهود، أوجد اختلالا هائلا، وأثار توترات اجتماعية بين الفلسطينيين واليهود الذين وجدوا أنفسهم فى منافسة حول الأراضى والموارد والتحكم فى تلك الأراضى^(٣). لقد أصبح العرب الفلسطينيون -وقد حرّموا من سلطتهم السياسية، وحقوقهم الاجتماعية، ووجدوا أنفسهم فى قلب لعبة شطرنج كونية- مستخدمين لحماية وتقديم المصالح الاقتصادية والجيوبوليتيكية للدول الإمبريالية من خلال مندوبيتهم إسرائيل، أصبحوا أقليات فى أرضهم هم، ودفع بهم إلى المنفى كلاجئين فى الدول العربية المجاورة.^(٤)

إن الحلم الصهيوني بإفراغ البلد من العرب وتحقيق أغلبية يهودية واضحة قد حدث خلال حرب ١٩٤٨، عندما اتخذ ٧٥٠٠٠٠ فلسطينياً أو أكثر من ٨٠ ٪ من السكان العرب لما أصبح إسرائيل، اتخذوا طريق المنفى، وقد علق حاييم وايزمان -الذي كان في ذلك الوقت أول رئيس لدولة إسرائيل- علق على هذا الخروج مطلقاً إن هذا الجلاء العربي كان "إخلاء معجزاً للأرض. كان التشييط المعجز لمهمة إسرائيل" لم يكن ذلك في الحقيقة معجزة، بقدر ما كان نروة جهد وتخطيط مدة نصف قرن والقوة الوحشية (في النهاية).^(٥)

وبالإشارة إلى أعمال مؤرخين إسرائيليين فإن هنالك ميير بائيل مؤرخ الهاجاناه وحرب ١٩٤٨، وبينى موريس الذي كتب حول أصول مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، وكذا بالمثل "مفكرة حرب" بن جوريون متعددة الأجزاء، كما يقدم مصالحة إدراكاً إضافياً للخطط الصهيونية لتفريغ فلسطين من سكانها العرب.

يقدر ميير بائيل أنه من إجمالي اللاجئين الذين خرجوا، "فر ثلثهم خوفاً، وأجبر الإسرائيليون ثلثهم على الهرب..". ويقدم بينى موريس ستة أسباب كبرى لهجر حوالي ٢٦٩ قرية عربية: "الطرد بواسطة القوات الإسرائيلية"، "الهجر" بناء على أوامر عربية "الخوف من هجوم اليهود"، "الغارات العسكرية للقوات اليهودية على المستعمرات، حملات الشائعات (أي الحرب النفسية)، تأثير سقوط مدينة مجاورة أو الخروج منها".^(٦)

ويضيف مصالحة "غير أن ما لم يعترف به (موريس) وبائيل ومؤرخون إسرائيليون آخرون هو نمط تلك الهجمات والأوامر، لقد إدعوا أن طرد العرب وتدمير القرى كانت تحكمه اعتبارات عسكرية استراتيجية أكثر منه خطة أو تصميم من قبل.^(٧) لقد كان طرد العرب الفلسطينيين في الحقيقة وتوسع المستوطنات اليهودية جزءاً لا ينفصل من الخطة (خطة دالت) لتوسيع الأرض التي سوف تحتلها دولة إسرائيل الجديدة بمجرد إنشائها، وهي خطة جرى تصورها قبل حرب ١٩٤٨، خطة كانت جزءاً من تفكير بن جوريون وقادة إسرائيليين آخرين، كانوا يرون في تفريغ القرى العربية الفلسطينية من السكان وامتلاك الأراضي العربية السبيل الوحيد لضمان النصر، وتأكيد انتصار الدولة الصهيونية، وقد أعلن بن جوريون في لجنة الأعمال الصهيونية في ٦ أبريل ١٩٤٨:

لن نكون قادرين على كسب الحرب إن لم نعمل خلال الحرب الجليل الأعلى والأسفل، الشرقي والغربي، النقب ومنطقة أورشليم.. وإننى أؤمن أن الحرب سوف تجيء أيضاً، في أعقابها بتغيير كبير في توزيع السكان العرب.^(٨)

وقد لخص إسحق رابين الرئيس السابق لأركان الحرب ورئيس وزراء إسرائيل، لخص الأمر بصورة مباشرة عندما قال، "إننا سوف نضمن، بذلك القرى حتى الأرض وطرد السكان، أنه لم تعد هناك قرى متروكة للعرب كي يعودوا إليها"^(٩) وقد وضعت الدولة الإسرائيلية الجديدة، وجهات النظر هذه في التطبيق بطريقة واقعية تماما:

هاجم الجيش الإسرائيلي بعد ١٥ مايو ١٩٤٨ عددا لا حصر له من القرى العربية التي كانت بلا دفاع، ونسف المنازل وقرى بكاملها، وقتل بدون تمييز الرجال والنساء والأطفال، وطرد من تبقى حيا من القرى، وانتشرت أخبار تلك المذابح الفظيعة مثل النار في الهشيم، وهؤلاء الذين لم يصدقوا تلك التقارير غنوا الضحايا التاليين المحتملين.

لقد قامت الحرب النفسية الإسرائيلية على تكتيكات صارمة، كانت الإذاعة الإسرائيلية تطالب الفلسطينيين يوما بالفرار، حتى يتجنبوا سفك الدماء، كانت سيارات الجيش الإسرائيلي تسير بمكبرات الصوت عبر شوارع المدن والقرى تحدد لهم طرق الهرب.^(١٠)

إن إزاحة السكان الفلسطينيين والتشتت في الأردن ومصر وسوريا ولبنان وبلدان عربية أخرى، وإنكار حقهم في وطن قومي وتقرير مصيرهم لإدارة شئونهم بأنفسهم، أدى إلى تآكل المجتمع الفلسطيني، رغم إعادة دمجهم بصورة اسمية في النسيج الاجتماعي للدول التي بنوا فيها لأنفسهم هوية فلسطينية جديدة.^(١١) لقد غدا الشتات نقطة بؤرية للمقاومة السياسية في تلك البلدان، وبالمثل نقطة استجماع قوى وحشد شتات لحركة المقاومة الفلسطينية التي وجدت وانتشرت في كل ركن من أركان العالم العربي.^(١٢)

إن ظهور منظمات سياسية راديكالية مثل منظمة التحرير الفلسطينية (بى إل أو) خلال الفترة التالية غمر الدول العربية في السياسات الفلسطينية. لقد أجبرت جميعها على اتخاذ موقف رسمي ضد إسرائيل ودورها كوكيلة للإمبريالية الغربية. ولذا حددت المسألة الفلسطينية منطق العلاقات بين إسرائيل والدول العربية، وكانت النتيجة أن القضية الفلسطينية غدت معروفة بصورة أكثر فأكثر باعتبارها قضية العرب، وغدا تحرير فلسطين هو النقطة الوحيدة الأكثر أهمية لاستجماع قوى القومية العربية.^(١٣)

من حرب الأيام الستة إلى حرب أكتوبر تعميق النزاع العربى-الإسرائيلى

إن النزاع العربى-الإسرائيلى الذى نشأ مع حرب ١٩٤٨ مع تقسيم فلسطين وتأسيس دولة إسرائيل على تراب فلسطين، والذى عززته ودعمته عدوانات إمبريالية تالية (تعاونها إسرائيل) فى المنطقة، عدوانات أدت إلى حرب السويس عام ١٩٥٦، إن تقوية السلطة الصهيونية بحثاً عن أرض جديدة وموارد جديدة لإسرائيل الكبرى أدت إلى حرب الأيام الستة فى يونيو ١٩٦٧ الحرب العربية-الإسرائيلية فى أقل من عقدين.

لقد شنت الحرب على جبهات عديدة فى سيناء والضفة الغربية ومرتفعات الجولان- ولم تدم الحرب أكثر من ستة أيام، وانتهت بالاحتلال الإسرائيلى لأراض عربية أصلية. إن السرعة التى حققت إسرائيل بها نصراً أرضياً وجوياً على جيرانها العرب الأكثر عدداً بكثير وعلى جيوشهم الأكثر كبراً بكثير صدم العالم العربى حتى أعماق أعماقه.

لقد دمرت القوات الدفاعية الإسرائيلية القوة الجوية العربية فى اليوم الأول لنشوب الحرب.

فى صبيحة يوم الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ أصدر موسى ديان أوامر الهجوم واتجهت الطائرات الإسرائيلية منخفضة الطيران-تجنباً للرادار المصرى- إلى المطارات، ودمر الإسرائيليون القوة الجوية المصرية كلها بينما كانت ما تزال على الأرض، الطائرات التى كانت رابضة جناحاً إلى جناح لم يتم حتى تمويهها.^(١٤)

ما إن أنجز هذا حتى كانت القوات الإسرائيلية قادرة على احتلال سيناء المصرية والضفة الغربية الأردنية ومرتفعات الجولان السورية خلال أيام قليلة تالية.

لقد غدت القوات المصرية فى صحراء سيناء، بون غطاء جوى أهدافاً بلا مناعة، وقتل أو جرح آلاف الجنود المصريين، واندفعت لواءات الدبابات الإسرائيلية تحت ردة من النفثات الميراج، اندفعت عبر الصحراء فى سرعة البرق، رغم بعض القتال العنيف فى قطاع غزة، قام به الفلسطينيون المرتبطون بالجيش المصرى..

وحتى بينما كان الجيش المصري يواجه الهزيمة، احتشد عشرات الآلاف من الناس عبر البلاد العربية من أجل القتال ضد إسرائيل.

واستعد الكثيرون لمعركة طويلة واثقين من انتصار العرب لقد صعدوا عندما انتهت الحرب بعد ستة أيام فقط بهزيمة مهينة.^(١٥)

انتهت الحرب في ١٠ يونيو، وأدى الانتصار الإسرائيلي إلى احتلال شرق أورشليم والضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان وسيناء ومن ثم فإن إسرائيل ضاعفت، في موقف قصير للغاية أراضيتها أربعة مرات.^(١٦)

وبحثت الدولة العربية -وقد أذلتها الهزيمة- عن سبل تفسر بها هزيمتها التاريخية، وغدت أكثر تصميمًا في ربط طالعها وصورتها القومية بسياسة رسمية، عرفت إسرائيل باعتبارها العدو الرئيسي للأمة العربية والقضية الفلسطينية، وحلفاء إسرائيل الغربيين - وخاصة الولايات المتحدة - باعتبارهم المتكفلين الرئيسيين بالعدوان الصهيوني في الشرق الأوسط.

وساهمت هزيمة الدول العربية في حرب الأيام الستة في تكثيف النزاع العربي-الاسرائيلي وتحفيز رد فعل جهادي معاد لإسرائيل لدى المقاومة الوطنية الفلسطينية في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات.^(١٧) ورأت بعض الأجزاء المجاهدة، في منظمة التحرير الفلسطينية أن النضال المسلح هو الاختيار الوحيد القابل للحياة لمواصلة المقاومة^(١٨). إن نشاط حرب العصابات الخفية (مشملة على قذف القنابل، وقرصنة الطائرات، وأعمال الاختطاف السياسي والعمليات العسكرية السرية) تقودها مجموعات منشقة من منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمات فلسطينية راديكالية أخرى حددت طبيعة ومجال المقاومة المسلحة الفلسطينية في الفترة التالية لحرب الأيام الستة.

واحتضنت الدول العربية بيسر أكثر في السنوات التالية مباشرة لهزيمة العرب عام ١٩٦٧، احتضنت القضية الفلسطينية وسمحت بنشاط جهادي فلسطيني، موجه ضد إسرائيل، على تربتها، وهي حركة أدت إلى نمو هائل في قوة الحركة الفلسطينية في كثير من الدول العربية في الفترة التالية لحرب الأيام الستة. إن هذه القوة الجديدة للحركة الفلسطينية بلغت ذروتها في بعض البلدان في مواجهة مباشرة مع السلطات كما حدث في الأردن حيث قام الجيش الأردني في سبتمبر ١٩٧٠ بسحق منظمة التحرير الفلسطينية،^(١٩) وبينما ميزت حالة الحرب القائمة بين إسرائيل والمعارضة المسلحة الفلسطينية أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، باعتبارها فترة مشحونة بالتوترات والأزمات، فإن الحرب العربية-الإسرائيلية التالية، حرب أكتوبر ١٩٧٣، وما

تلاها من حظر للزيت بقيادة الأوبك العربية ضد الغرب، أُلقت بالمنظمة كلها فى حركة دوارة. إن التدعيم الذى سببته الحرب وغبارها السياسى هو الذى حدد طابع العلاقات العربية-الإسرائيلية لغالبية بقية العقد.

إن حرب أكتوبر هى ناتج فشل حل المسألة الفلسطينية ومصير الأراضى العربية التى استولت عليها إسرائيل فى حرب الأيام الستة. إن تحويل القضية الفلسطينية إلى قضية عربية، والنظر إلى إسرائيل باعتبارها منبوذ حرم المواطنين المحليين من حقوقهم فى تقرير مصيرهم القومى وأمتهم، هو الذى حدد الإرادة العربية الجديدة للدفاع عن رسالة شعبية، أن يتحد العالم العربى ضد عدو مستهدف. ولذا فإن حرب أكتوبر كانت مخرجا لهدف أكبر كان يمكن -إن كان ناجحا- أن يغير من ديناميكيات السياسات العربية عبر المنطقة، ويعيد بهذه الطريقة بناء شروط الارتباط بين الأطراف المتعارضة، غير أن ناتج الحرب كان قليلا للغاية قياسا بما أملت فيه الدول العربية.

لقد بدأت حرب أكتوبر بالدبابات المصرية تعبر قناة السويس وتقتحم سيناء، بينما تقدم الجيش السورى فى مرتفعات الجولان، وتلا هذا مواجهة قوات الدفاع المصرية والإسرائيلية لبعضها البعض فى معركة كبرى للدبابات.

فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ شنت القوات المصرية هجوما ضخما مفاجئا عبر قناة السويس، وشنت الدبابات السورية والجنود هجوما عاصفا فى مرتفعات الجولان. لقد دفع الجنود العرب المدربون تدريبا جيدا، والمسلحون تسليحا جيدا بالمحتلين الإسرائيليين فى قتال أولى، وقد غمرت الفرحة، التى اكتسحت العواصم العربية، حتى أشد منتقدى السادات أيام قليلة، إن مصر وسوريا تحاربان أخيرا من أجل أرضهما وتكسبان! (٢٠)

حسنا، لم تكونا هكذا تماما، إذ إن رد الفعل الإسرائيلى الذى تلا الهجوم العربى، كان سريعا، وبدأ فى إدارة الأمور لصالح إسرائيل، غير أن ذلك لم يحدث، إلا بعد إسالة الكثير من الدماء:

حشدت إسرائيل سريعا للهجمة المضادة متوقعة نصرا سريعا غير أن القتال كان كثيفا على كل من الجبهتين، وعانت إسرائيل من آلاف الإصابات، كما فقدت أعدادا كبيرة من الطائرات والدبابات، ومع استمرار القتال هاجمت إسرائيل دمشق العاصمة السورية، وقرر قادة الصهيونية معاقبة السوريين بتحويل الكثير من الاقتصاد السورى إلى أنقاض، وقذفت القوة الجوية الإسرائيلية الموانئ والمصانع، ومشروعات الطاقة، ومعامل

تكرير الزيت عبر البلاد والمباني الحكومية فى العاصمة، وقد قتلت تلك الهجمات الكثير من المدنيين، وعندما بدأت إسرائيل دفع السوريين إلى الورا نحو دمشق شكلت الحكومة الميليشيات الشعبية للدفاع عن المدينة. (٢١)

كان الوضع فى مصر مختلفا للغاية، إذ إن دخول مصر الحرب، عبر فعلها المباشر وضد إسرائيل كان مناورة سياسية أكثر منه عملا عسكريا. إن قرار المصريين بالذهاب إلى الحرب لتحرير سيناء كان حركة محسوبة للضغط على القوى العظمى لإجبار إسرائيل على الإذعان لقرار الأمم المتحدة ٢٤٢، والذي طالب بإعادة كل الأراضي التى احتلتها إسرائيل خلال حرب الأيام الستة، ولم ينته العدوان بين البلدين، حتى فيما بعد حظر الزيت الذى اتخذته الأوبك، واقتضى الأمر أن تضع القوات العظميان- الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى- إتفاقية لوقف إطلاق النيران، غير أن الإستراتيجية نجحت فى فتح الباب لإحضار إسرائيل إلى مائدة المفاوضات لتسوية الموضوعات الأساسية المختلفة المحيطة بالنزاع العربى- الإسرائيلى منذ حرب الأيام الستة.

ومن ثم، قامت حرب أكتوبر -ويا للعجب- بدور موصل يجىء بالأطراف معا من أجل حل سلمى لأزمة الشرق الأوسط. ومع ذلك لم تكن الأطراف المتحاربة مستعدة لمناقشة القضايا الجوهرية التى فصلتهما حتى نهاية السبعينيات من القرن العشرين، وقد بلغت تلك المناقشات ذروتها فى النهاية فى توقيع اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل عبر اتفاقيات كامب ديفيد فى ١٩٧٨ - ١٩٧٩ باعتبارها الخطوة الأولى نحو سلام شامل فى الشرق الأوسط (٢٢).

وبينما أدت عودة سيناء إلى مصر بعد أربع سنوات عام ١٩٨٢ إلى تقوية تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل، ووضعت نهاية لحالة الحرب بينهما، فإن استمرار الاحتلال الإسرائيلى للضفة الغربية وغزة وشرق أورشليم، وقمع السكان الفلسطينيين فى الأراضي المحتلة فشل فى حل التناقضات الأساسية التى تسببت فى النزاع العربى- الإسرائيلى (٢٣). ولذا فإن فشل اتفاقيات كامب ديفيد فى تقديم حل قابل للحياة للمسألة الفلسطينية، واستبعاد الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية من المحادثات قد سد الطريق بفاعلية أمام الوصول إلى خطة للسلام الشامل فى الشرق الأوسط.

الغزو الإسرائيلي للبنان ونزع سلاح القيادة الفلسطينية

إن الفشل في حل المسألة الفلسطينية ومعالجة نتائج حرب الأيام الستة وعودة الأراضي المحتلة والتي كانت في قبضة إسرائيل أثناء الحرب، والتي لم تتم تسويتها بواسطة حرب أكتوبر ١٩٧٣ أدى إلى حشد أكبر للقوات الفلسطينية في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن العشرين وخاصة في جنوب لبنان.

وصعدت عام ١٩٨١ سلسلة من الأزمات والتوترات في العالم العربي وخاصة في سوريا والعراق ولبنان: أزمة الصواريخ مع سوريا، الغارة ضد المركز النووي العراقي، إلحاق مرتفعات الجولان وتبادل القذائف عبر الحدود بين منظمة التحرير الفلسطينية وقوات الدفاع الإسرائيلية في جنوب لبنان.^(٢٤) ورغم أنه تم التفاوض لوقف إطلاق النار مؤخراً في ذات العام غير أن إسرائيل حركت قواتها عبر الحدود إلى داخل لبنان لتأمين شريط قدره أربعين كيلومتراً لمنع منظمة التحرير الفلسطينية من قذف القرى الإسرائيلية، غير أن التحرك في الجنوب اللبناني لم يقف عند حد منطقة الأمان التي ادعت إسرائيل أنها سوف تقيمها، إذ واصلت القوات الإسرائيلية تقدمها داخل لبنان، وأصبحت في أواخر يونيو ١٩٨٢ على بوابات بيروت^(٢٥).

وقد رافق حصار بيروت هجوم عسكري إسرائيلي ضخم اشتمل على قذف ثقيل واسع بالقنابل والنابال والقنابل المتناثرة التي سببت تدميراً وموتاً جسيماً عبر العاصمة اللبنانية، وكجزء لعملية "مسحها" لإبادة منظمة التحرير الفلسطينية أعطت إسرائيل الضوء الأخضر لحلفائها "الكتابيين" لتحطيم المقاومة الفلسطينية.

وفي ١٦-١٧ سبتمبر شنت ميليشيات الجناح اليميني "المسيحي" الكتابية بالتعاون مع الجيش الإسرائيلي مذبحة لأكثر من ألف فلسطيني في مخيم صابرا وشاتيلا، مخيم للاجئين في بيروت^(٢٦).

مبكراً، فيما بعد ظهر ١٥ سبتمبر ١٩٨٢ استخدم الجيش الإسرائيلي الدبابات ومدافع الهاون ليطوق مخيم صابرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في جنوب لبنان.. ولم يعد في وسع أحد مغادرة المعسكرين بدون إذن إسرائيلي.

وفي مساء ١٥ سبتمبر امتلأت مستشفيات عكا وغزة بالمصابين وواصل الجيش الإسرائيلي إطلاق النار بصورة متفرقة على العسكريين المحاصرين، وفي الصباح التالي أيقظت قاذفات القنابل الإسرائيلية منخفضة الطيران الناس المحليين بزعيها فوق المخيمات، كان اليوم ١٦ سبتمبر ولم يكن لدى أحد أية فكرة عن البربرية والوحشية التي سوف تحدث في الكواخ والخرائب الواقعة في ضواحي بيروت خلال الـ ٤٨ ساعة القادمة.^(٢٧)

ويكتب أ. فراني: "طبقا للحكايات الإجماعية لمن بقي حيا، فقد دخلت الميليشيات -حوالي ٢٥٠ رجلا في البداية- دخلت المخيم من الجنوب والجنوب الغربي حوالي الساعة الخامسة بعد ظهر ١٦ سبتمبر وبدأت المذبحة الدموية في حي "الارسال" المقابل لمقر القيادة الاسرائيلية^(٢٨). وتكشف عمليات وصف القتل القاسي بلا شفقة للمقيمين الفلسطينيين في المخيمات عن الطبيعة التي تقشعر لها الأبدان للقتل بالجملة للمدنيين الأبرياء خلال يومين طويلين رهيبين. كان يوم الجمعة يوم رعب غاية في الشناعة، لا يمكن وصف مدى الهمجية والوحشية في كلمات، لقد صعد هذا الجحيم حتى من بقوا أحياء، بصدمة صمت، ومع ذلك استمرت المذبحة بشراسة فائضة حتى أواخر ما بعد ظهر يوم السبت^(٢٩).

إن الوحشية التي قتل بها قاطنوا مخيمي صابرا وشاتيلا خلال هذين اليومين أرسلت بموجات الصدمة عبر العالم، ونشرت بتفصيلات كبرى في الصحافة:

أطلقوا النار على كل شيء كان يتحرك في الشوارع الصغيرة، حطموا الأبواب، وأبأوا أسرا بكاملها كانت تتناول وجبة العشاء، كان الناس يقتلون وهم في السرر، في مناماتهم أو ملفوفين في الملاءات، وغالبا ما لم يكتف القتل بالقتل، فقد حطموا رؤوس الأطفال الصغار والرضع على الحوائط، واغتصبت النساء بل وحتى الفتيات الصغيرات قبل أن يسقن إلى الموت، كان الناس يسحبون أحيانا من ديارهم ويقتلون، للعجلة، في مجموعات في الشوارع، لقد نشرت الميليشيات الرعب بالفؤوس والسكاكين، كانوا يذبحون الرجال والنساء والأطفال وكبار السن بلا تمييز.

قتلت في حي هورش ثابت في مخيم شاتيلا أسرة مقدار كاملة عند بداية المذبحة، ٣٩ شخصا، رجالا ونساء وأطفالا، ذبحوا جميعا. هذه العائلة اللبنانية التي هي في الأصل من قصروين، كانت تمتلك جراجا في شاتيلا مدة ٣٠ عاما، قطعت حلوق بعضهم، وشقت أجساد آخرين كانت بينهم امرأة في التاسعة والعشرين من عمرها تدعى زينب بقرت بطنها ووضع الجنين في نراعي الأم الميتة^(٣٠).

وتكتب روز ماري صايغ توثيقاً للتدمير والتخريب الذي عاناه المقيمون الفلسطينيون في المعسكرين، أى طريق تختار في منطقة صابرا وشاتيلا، متابعة للمذبحة، فإنك لابد وأن تصطدم مباشرة بتركيز التدمير. بدا وكأن المكان ومن فيه من بشر كانوا هدفاً لمحاولة تدمير شاملة^(٣١).

بعد القصف الصيفي بالقنابل، جواً وأرضاً وبحراً، جاءت الوحدات اللبنانية الخاصة المبرمجة على الذبح والنهب والسلب، وجاءت معهم البلدوزرات التي كانت قد قطعت أجزاء عريضة عبر المساكن تطيح بالجوانب مثل الكرتون، كانت النساء هن من يفتشن عبر الأنقاض عن الأجساد أو بقايا الممتلكات.. كانت غالبية الأجساد قد أخذت بعيداً حتى ٢٠ سبتمبر غير أن عفن الموت كان ما يزال في كل مكان، وارتدى الأغراب أقتعة من الشاش.^(٣٢)

ما إن انتهت المجزرة حتى لم يعد هناك غير الدمار الكلى في المخيمين، لقد أنجزت ميليشيات الكتائبيين الفاشست وحلفاؤهم الإسرائيليون ما شرعوا في عمله. وتكتب صايغ: لم يكن فقط قدر الوحشية والتدمير هو الذي جعل المشهد فاجعاً إلى هذا الحد، لكنها أيضاً رسالته السياسية، الآن ذهبت حركة المقاومة كان الفلسطينيون في لبنان واللبنانيون الذين ساندوهم تحت رحمة القوى السياسية التي كانت صفتها ونواياها تحمل شارة المذبحة ذاتها^(٣٣).

ورغم نجاح قوات الدفاع الإسرائيلية في نزع سلاح منظمة التحرير الفلسطينية وطردها من غرب بيروت ومن مخيماتها العسكرية في جنوب لبنان غير أن مشاركة إسرائيل في الجريمة، والإشراف على مذبحة المدنيين الفلسطينيين والذي كان العديدون منهم من النساء والأطفال في مخيم صابرا وشاتيلا للاجئين، أوجد حالة جديدة لحركة المقاومة الفلسطينية في لبنان، حالة سهلت لسوريا -الجار العربي للبنان- الدخول في المشهد المحلي.

إن التدخل الأكثر مباشرة لسوريا في الشؤون اللبنانية في الفترة التالية للغزو الإسرائيلي أدى إلى توسيع دور سوريا في البلاد، وأدى إلى الحد النهائي من وجود الولايات المتحدة وإسرائيل في لبنان في الثمانينيات من القرن العشرين. ورغم الغارات المتواصلة داخل الأراضي اللبنانية في الجنوب فإن إسرائيل لم تعد بقادرة على رؤية نفسها، وقد تدخلت مباشرة في المزيج المركب للأحداث السياسية والعسكرية، في الاضطراب الذي أصبح يسم الحياة في لبنان بعد الغزو الإسرائيلي.

وقد رأى عقد الثمانينيات من القرن العشرين تطور وانتشار الأصولية الإسلامية في لبنان وأماكن أخرى من الشرق الأوسط، وهذا تطور جاء نتاجا للثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ وقد انتشرت خلال هذا العقد المجموعات المجاهدة الإسلامية مثل حزب الله الذي انتشر في لبنان ودول عربية أخرى، بما في ذلك الأراضي المحتلة في غزة والضفة الغربية. وبينما ساعد وجودهم المتزايد في جنوب لبنان، في توفير تسهيلات للمقاومة الفلسطينية في مواجهة الغارات الإسرائيلية في الأراضي اللبنانية، فإن منظمات الجناح اليميني الأصولية مثل حركة المقاومة الإسلامية (حماس) غدت قاعدة فاعلة في نقل المعركة إلى التربة الإسرائيلية.

ورغم أن أهدافهم كانت مختلفة كلية عن تلك التي كانت للقيادة الفلسطينية المتحدة تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، فإن النشاطات المتنامية لمجموعات الأصوليين في الأراضي المحتلة طابقت النضال الفلسطيني المتجدد خلال هذه الفترة، وساعدت على انتشار المقاومة المضادة لإسرائيل، والتي جعلت الهبة الفلسطينية الكبرى (الانتفاضة) تتوهج في غزة والضفة الغربية.

الانتفاضة والنزاع المتجدد في الأراضي المحتلة

لقد كان للانتفاضة التي حدثت في الأراضي التي تحتلها إسرائيل منذ حرب الأيام الستة أثر نفسي أكبر - على المجتمع الإسرائيلي - وعلى مستقبل المسألة الفلسطينية، من أي حدث سابق. لقد غيرت بعمق بؤرة النزاع العربي - الإسرائيلي وأعادت تحديد معايير عملية السلام في الشرق الأوسط.

انفجرت الاضطرابات في أوائل ديسمبر ١٩٨٧ في قطاع غزة مصحوبة بمواجهات عنيفة بين الفلسطينيين وقوات الاحتلال الإسرائيلية، كانت هذه هي بداية ما أصبح معروفا بالانتفاضة الفلسطينية أو الهبة، محاولة متصلة من سكان الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة لخلع نير الاحتلال الإسرائيلي بواسطة الاحتجاج الشعبي وعدم التعاون بعد أكثر من عشرين عاما من الإخضاع^(٣٥).

ويكتب ف. روبرت هنتر، "تحرك آلاف الفلسطينيين في شوارع مخيمات اللاجئين الزاخرة المزدحمة ليقابلوا جنود إسرائيل بهدف السيطرة على مناطقهم"^(٣٦).

الجماهير في موجات، وأعلام منظمة التحرير الفلسطينية ترفرف فوق قمم الأسطح وخطوط الهاتف، مسيرات ومظاهرات، كانت تلك المشاهد تتكرر في أماكن عديدة.

اضرابات تجارية برزت عاليا في الأيام والأسابيع الأولى للتمرد، إن ذلك لم يقع فقط في غزة ولكن أيضا في كل الضفة الغربية، في جنين ورام الله والبيرة ونابلس وطولكرم وبيت لحم وشرق أورشليم، كان هنالك بحث عن كل السبل التي تبقى الانتفاضة سائرة، كذا الحفاظ على زخمها^(٣٧).

كانت الانتفاضة تعبيرا عن الاستياء بين الكتل الفلسطينية التي لم تعد تحتل القمع والإذلال الذي تعانيه في ظل حكم جيش الاحتلال. ويكتب زئيف شيف وايهود يائري، "أمسك آلاف اللاجئين، ينتابهم إحساس أنه ليس هنالك ما يمكن خسارته أكثر من ذلك، أمسكوا بالجواريف والفؤوس والعصى والحجارة وأي شيء آخر تصل إليه أيديهم، لكي يخرجوا ويعلنوا أنهم لن يقبلوا أكثر من ذلك، معاملتهم معاملة الحثالة البشرية"^(٣٨). ومن ثم كانت الانتفاضة رد فعل للشعب الفلسطيني الذي كان يتوق للحرية.

إن الهبة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي [وقعت] تقريبا بعد أربعين عاما من تقسيم فلسطين، وانشاء دولة إسرائيل، وعشرين عاما بعد حرب الأيام الستة والاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وغزة، وبينما قاوم الفلسطينيون يوما الحكم الإسرائيلي طوال هذا الوقت، فإن الانتفاضة تمثل تمردهم الأول المتواصل ذا القاعدة الشعبية العريضة. إن دوام ومدى الانتفاضة وتكتيكاتها المستخدمة جعلها حركة تاريخية نظمت وحدة الفلسطينيين السياسية حول هدف واضح وبسيط، إنهاء الاحتلال وتمهيد الطريق من أجل تقرير المصير.^(٣٩)

ومن ثم فإن العملية التي بدأتها الحركة عبر الهبة الشعبية الجماهيرية أوضحت أن الحل الوحيد الحقيقي للاحتلال الإسرائيلي هو تأسيس دولة فلسطينية مستقلة في الأراضي المحتلة.

إن الانتفاضة والحشد الجماهيري للفلسطينيين الذي أوجده كانت أكثر أهمية من هبة منظمة التحرير الفلسطينية ذاتها منذ عشرين سنة مضت،

وأكثر أهمية أيضا من تمرد ١٩٣٦-١٩٣٩ خلال النضال من أجل الاستقلال، لقد وحدث الانتفاضة الشعب إلى مدى غير مسبق. وقد امتدت جنود اتجاهها وسندها وزخمها إلى خبرة عامة الناس. كان هذا إحساسا جديدا بالقومية الفلسطينية، إن العصيان المدني واسع الانتشار كان هو حرب الشعب بوسيلة لم يكنها الصراع المسلح أبدا، وقد استحوذت على دعم عالمي بطريقة لم ينجح التمرد العربي عام ١٩٣٧ في تحقيقها.^(٤٠)

ولذا يكتب بهذا المعنى فارسون وجين لانديس، "إن الانتفاضة ناتج تاريخي لكل الجهود السابقة لمقاومة تجريد وقهر الهوية القومية الفلسطينية.. إن الانتفاضة تمثل آخر تعبير مناخي للإرادة الفلسطينية الجماعية، تعبير يؤكد وعيا قوميا مقاوما للتجريد معلنا للحقوق السياسية الفلسطينية".^(٤١)

إن المشاركة الجماهيرية للسكان الفلسطينيين في الانتفاضة قد أوضحت النعمة العميقة التي أحسها الشعب ضد الاحتلال وقوة إرادته في الكفاح المضاد.^(٤٢) ويكتب هنتر، "إن قرار إسرائيل تطبيق أساليب عقاب جماعية على كل السكان الفلسطينيين قد نبع، على أي حال، من الفشل في الإجراءات الفظة التي أخذت في ديسمبر الماضي والتي وصفت في حينها بأنها أكبر عمليات اكتساح منذ سيطرت إسرائيل على الأراضي المحتلة"^(٤٣).

أعمال القبض بالجملة، ومنع التجول، وتفتيش المنازل منزلا منزلا، سد الطرق ومحاصرة مداخل مخيمات اللاجئين بالبراميل والأسلاك الشائكة، والوجود العسكري الضخم (ضوعفت قوة القوات ثلاث مرات) والهليكوبترات كل خمس فوق منطقة واحدة في ذات الوقت، ونشر الغاز المثير للدموع وقنابل الدخان اليدوية فوق المتظاهرين لم تؤد فقط إلا إلى انفجارات أكبر^(٤٤).

إن إصرار المتظاهرين على القيام بقتال بطولي ضد الجنود الإسرائيليين كان فعلا سياسيا، كان جزءاً من استراتيجية أعرض لتحقيق تقرير المصير القومي.

إن المتظاهرين -وهم يواجهون الصلْب الساخن لطلقات م-١٦، والاختناق بسبب التأثيرات الكاتمة لغاز الدموع الذي تسقطه الهليكوبترات أو يطلقه الجنود- قاتلوا جنود إسرائيل بالدقشوم والهرارات والأحجار وقنابل البترول، كان الشباب يستخدمون طلقات المقاليع، يقذفون بها طائرات الهليكوبتر منخفضة الطيران، كان المحتجون يعيدون إلقاء القنابل اليدوية لغاز الدموع على الجنود^(٤٥).

وكان رد الفعل الإسرائيلي على الحالة السياسية المتردية التي تبعت الانتفاضة الفلسطينية الكبرى، ولمقاومة هذا النضال الجماهيري للشعب الفلسطيني، هو تجديد توسيع المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية. وغدت المستوطنات الجديدة سمة دائمة لسياسات التوسع الإسرائيلي في حقبة ما بعد الحرب الباردة من أجل استيعاب هجرة اليهود الروس الواسعة في أوائل التسعينيات من القرن العشرين.

وبينما غدا بناء المستوطنات سبيلاً سهلاً لحل مشاكل نقص الإسكان في إسرائيل، فإنه خدم أيضاً في تبرير تصميماتها الكولونيالية لتأمين كل توسعات حدودية، غير أن مثل هذا الحل لم يمر مروراً هيناً مع السكان المحليين لتلك الأراضي -الفلسطينيين- ولا مع بعض الدول العربية الأكثر راديكالية، إن التوترات الناجمة عن مثل تلك الحالة قد أدت إلى دورات في النزاع وانفجارات دورية صعّدت من اهتمام القوى التقدمية في إسرائيل وفي الدول العربية المجاورة عبر العقد الماضي .

إن حقيقة القرار الإسرائيلي بمواصلة بناء مستوطنات جديدة في أورشليم الشرقية قد ألقى بستار قاتم فوق الأمل في حل سلمي للمسألة القومية. حقا، إن مثل تلك السياسة، لو كانت أي شيء، من جانب الحكومة الإسرائيلية فإنها تزيد من احتمالات الأزمات السياسية وتخوض مخاطرة نزاع عسكري ممتد.

الهوامش

[1] F. Trabsusi, "The Palestine Problem: Zionism and Imperialism in the Middle East," New Left Review, no. 57 (1969).

[١] ف. ترابلوسى، 'المشكلة الفلسطينية الصهيونية والإمبريالية فى الشرق الأوسط'، نيولفت ريفيو، رقم (١٩٦٩).

[٢] المصدر السابق.

[٣] ويلتى، 'القومية الفلسطينية والنضال من أجل تقرير المصير القومى'، ص. ١٨ - ٢٤.

[٤] روزمارى صايغ، 'الفلسطينيون: من فلاحين إلى ثوار' (لندن: مطبعة زد، ١٩٧٩)، ص. ٩٨ - ١٤٣.

[٥] نور مصالحة، 'طرد الفلسطينيين' (واشنطن، دى.سى. معهد الدراسات الفلسطينية ١٩٩٢) ص. ١٣٥. ويشير مصالحة إلى أن أسباب هذا الخروج الكبير قد صنفها فرع مخابرات قوات الدفاع الإسرائيلى كالتالى الهاجاناه/ عمليات قوات الدفاع الإسرائيلى (٥٥ ٪): عمليات أرجون ترفاى ليومى وليهى [لوهافى هيروت يسرائيل] (١٥ ٪) حملة إشاعات الحرب النفسية، الجلاء بأمر قوات الدفاع الإسرائيلى، والخوف العام (١٤ ٪) (ص. ١٧٩).

[٦] المصدر السابق.

[٧] المصدر السابق، ص. ١٨٠.

[8] Ben- Gurion, "Behilahem Yisrael" (As Israel Fought) (Tviv: Mapai Press, 1952) PP. 86- 87, quoted in Masalhe, Expulsion Of the Palestinians, P. 181.

[٨] بن جوريون، 'بهيلاهم يسرائيل' (كما حاربت إسرائيل) (تل أبيب: مطبعة الماباي، ١٩٥٢)، ص. ٨٦ - ٨٧، أمتياس فى مصالحة، 'طرد الفلسطينيين'، ص. ١٨١.

[9] Quoted in Abdallah Frangi, "The PLO and Palestine" (London: Zed Books, 1983), P.90.

[٩] اقتباس فى عبدالله فرانجى، 'منظمة التحرير الفلسطينية وفلسطين' (لندن: كتب زد، ١٩٨٢)، ص. ٩٠.

[١٠] المصدر السابق، ص. ٨٩.

[١١] المصدر السابق.

[١٢] شاليناد، 'المقاومة الفلسطينية'، ص. ٥٥ - ٥٦.

[١٣] سمير أمين، 'الأمة العربية' (لندن: مطبعة زد، ١٩٧٨). أنظر أيضا روجر أوين، 'القومية العربية، الوحدة والتضامن' فى الميدل إيست، تحرير أسد وأوين، ص. ١٨ - ١٩.

[14] Joy Bonds et al, "Our Roots Are Still Alive" (San Francisco: Peoples Press, 1977) P.111.

[١٤] جوى بوندس وآخرون، 'ما زالت جذورنا حية' (سان فرانسيسكو: مطبعة الشعب، ١٩٧٧)، ص. ١١١.

- [١٥] المصدر السابق، ص. ص. ١١١-١٢.
- [١٦] جريش وفيدال، محرران، "من ألف إلى ياء الشرق الأوسط"، ص. ص. ٢٠٧-٨.
- [١٧] صايغ، "الفلسطينيون"، ص. ص. ١٤٤-٤٥.
- [١٨] المصدر السابق، ص. ص. ١٥٢-٥٤.
- [١٩] جريش وفيدال، محرران، "من ألف إلى ياء الشرق الأوسط"، ص. ص. ٢٥، ٢٦.
- [٢٠] بوندس وآخرون، "ما تزال جذورنا حية"، ص. ١٤٢.
- [٢١] المصدر السابق.
- [٢٢] المصدر السابق، ص. ص. ٢٦-٢٨.
- [٢٣] ويلتي، "القومية الفلسطينية والنضال من أجل تقرير المصير القومي"، ص. ص. ٢٥-٢٢.
- [٢٤] جريش وفيدال، محرران، "من ألف إلى ياء الشرق الأوسط"، ص. ٢١٢.
- [٢٥] المصدر السابق، ص. ٢١٣. أنظر أيضاً ب. ج. عودة. "لبنان: ديناميكات النزاع" (لندن: مطبعة زد، ١٩٨٥)، ص. ص. ١٩٧-٢٠٢.

B.J. Odeh, "Lebanon: Dynamics Of Conflict" (Lonkdon: Zed Press, 1985) PP.197-202.

[٢٦] يتراوح تقدير عدد الفلسطينيين الذين ذبحوا في المخيمات من ٧٠٠ إلى ٣٥٠٠ شخصاً، مع تسجيل غالبية المصادر أن من ذبحوا لم يكونوا أقل من ١٣٠٠ شخصاً، وأن أكثر من ٢٠٠ مفقودين، يفترض أنهم ماتوا أو دفنوا في مقابر جماعية لم تكتشف. انظر أ. فرانجي، "منظمة التحرير الفلسطينية وفلسطين" (لندن: كتب زد، ١٩٨٣)، ص. ص. ٢٢٢-٢٩؛ روزماري صايغ، "أعداء كثيرون للغاية: التجربة الفلسطينية في لبنان" (لندن: كتب زد، ١٩٩٤). أنظر أيضاً أ. كاييليوك، "صابرا وشاتिला: تحقيق في المذبحة" (بلمونت، ماسوشيتس: إيه إيه يوجي، ١٩٨٤).

Rosemary Sayigh, "Too Many Enemies: The Palestinian Experience in Lebanon (London: Zed Books, 1994) P. 122 See also A. Kapeliouk, "Sabra Shatila: Inquiry into a Massacre" (Belmont, (Belmont, Mass: AAUG, 1984).

[٢٧] فرانجي، "منظمة التحرير الفلسطينية وفلسطين"، ص. ص. ٢٢٤، ٢٥، تأكيد في الأصل.

[٢٨] المصدر السابق ص. ٢٢٥ إن التورط المباشر في القيادة الإسرائيلية العليا في تخطيط وتنفيذ المذبحة واضح من الاجتماع عالي المستوى الذي عقد بين القادة الإسرائيليين واللبنانيين والكتائبين لتنسيق جهودهم إنجازاً لمهمتهم: "في الساعة الثالثة من بعد ذاك الظهر، كان هناك اجتماع بين افوس بارون، قائد القوات الإسرائيلية في بيروت، وفادي إفرام القائد الأعلى للقوات المسلحة اللبنانية، والياس حبيقة، رئيس البوليس السري لإفرام. وقرروا القيام بعملية تطهير في المخيم"، وهي حركة كانت مخططة منذ بعض الوقت، كانت بداية العملية مع حلول الظلام وبارك شارون العملية عبر الهاتف "تهاني". لقد ووفق على عملية أصدقائنا". المصدر السابق.

[٢٩] المصدر السابق، ص. ٢٣٠.

[٣٠] مقتبسة من فرانجي، "منظمة التحرير الفلسطينية وفلسطين"، ص. ص. ٢٢٦-٢٧.

- [٢١] صايغ، "أعداء كثيرون للغاية"، ص. ١٢١.
- [٢٢] المصدر السابق.
- [٢٤] أنظر فريده فارحى، "التضاللات الطبيعية، الدولة، الثورة في إيران"، في "السلطة والاستقرار في الشرق الأوسط" تحرير بيربيروجلو، ص.ص ٩٠ - ١١٣.
- [35] Andrew Rigby, "Living the Intifada" (London: Zed Books, 1991. P.!).
- [٣٥] أندرو ريجبي، "أن يحيا المرء الانتفاضة" (لندن: كتب زد، ١٩٩١)، ص. ١.
- [36] F.Robert Hunter, "The Palestinian Uprising: A war by other Means" (Berkeley: University of California Press, 1991)P. 58.
- [٣٦] ف. روبرت هنتر، "الانتفاضة الفلسطينية- حرب بوسائل أخرى" (بيركلي مطبعة جامعة كاليفورنيا، ١٩٩١)، ص. ٥٨.
- [٣٧] المصدر السابق، ص. ص. ٥٩ - ٦٠.
- [38] Zéev Schiff and Ehud Yáari, "Intifada: The Palestinian Uprising- Israel,s Third Front (New York: Simon and Schuster, 1990), p. 80.
- [٣٨] زئيف شيف وأهود يائري، "الانتفاضة، الهبة الفلسطينية- جبهة إسرائيل الثالثة" (نيويورك: سيمون وشوستر، ١٩٩٠)، ص. ٨.
- [39] Samih K.Farsoun and Jean M. Landis, "The Sociology of an Uprising: The Roots of the Intifada", in "Intifada: Palestine at the Cross- roads: ed Jamal R. Nassar and Roger Heacock (New York: Praeger, 1990), p.15
- [٣٩] سميح ك. فارسون وجين م. لانديس، "سيكولوجية هبة: جذور الانتفاضة" في "الانتفاضة. فلسطين ومفترق الطرق"، تحرير جمال ل. نصار وروجر هيكوك (نيويورك: برايجر، ١٩٩٠)، ص. ١٥.
- [40] David McDowall, "Palestine and Israel: The Uprising and Beyond" (Berkeley: University of California Press, 1989), p. 14.
- [٤٠] دافيد مك دووال، "فلسطين وإسرائيل: الانتفاضة وما بعدها" (بيركلي مطبعة جامعة كاليفورنيا، ١٩٨٩)، ص. ١٤.
- [٤١] فارسون ولانديس، "سيكولوجية هبة"، ص. ١٦.
- [٤٢] زخاري لويمان وجويل بينين، "الانتفاضة: الهبة الفلسطينية ضد الاحتلال الاسرائيلي" (بوسطن- مطبعة سوت اند)، ص. ١٤.
- [٤٣] ف. روبرت هنتر، "الانتفاضة الفلسطينية"، ص.ص ٨٩ - ٩٠.
- [٤٤] المصدر السابق، ص. ٩٠.
- [٤٥] المصدر السابق، ص. ٦١.

الفصل السابع

حرب الخليج :

المنافسة الإمبريالية من أجل السيطرة

على الزيت في الشرق الأوسط

حاولت القوى الإمبريالية الكبرى (الولايات المتحدة وألمانيا واليابان) خلال مجرى العقدين الماضيين استخدام واحدة أو أخرى من القوى الإقليمية الأساسية في الشرق الأوسط (إيران والعراق) كى تضع مصالحها السياسية والاقتصادية في المنطقة، في المقدمة، فوق كل المصالح، وأن تضمن مدخلا إلى مصادر الزيت لتغذية الماكينات الصناعية لاقتصاداتها، ومن ثم دعم الاحتفاظ بالسيادة الكونية فوق منافسيها الاقتصاديين الرئيسيين. لقد حاولت الدولتان الرأسماليتان الصاعدتان (ألمانيا واليابان) خلال العقدين الماضيين، وفي هذه المنافسة بين القوى الرأسمالية الكبرى، حاولتا أن تؤسسا مدخلا مستقلاً إلى مصادر زيت الشرق الأوسط بتحاشى قبضة الولايات على المنطقة، فيما بعد الحرب، عن طريق سيطرتها على مجموعة من الأمم الخاضعة لنفوذها من إيران إلى السعودية إلى دول الخليج الفارسي.

إن التحدي الأكثر حداثة لألمانيا، واليابان، لهيمنة الولايات المتحدة على زيت الخليج، استتفر رد فعل سريع عن طريق تدخل عسكري ضخم للولايات المتحدة في العربية السعودية وغزو العراق مع الشن التالي لحرب الخليج عام ١٩٩١. لقد شنت الحرب كما هو ظاهر لدفع الجيش العراقي خارج الكويت، لكنها صممت في الحقيقة لمعاقبة العراق على دوره في إنشاء روابط اقتصادية وجيوبوليتيكية وثيقة مع المنافسين الاقتصاديين الكونيين عبر مدخل إلى زيت الشرق الأوسط والسيطرة عليه^(١).

إيران والعراق والمنافسة بين الإمبرياليين في الشرق الأوسط

في الفترة من أوائل الخمسينيات إلى أواخر السبعينيات من القرن العشرين، فترة سيادة لانزاع فيها للولايات المتحدة، رسخت الولايات المتحدة نفسها بقوة في إيران وفي بلدان أخرى من الخليج الفارسي للسيطرة على تدفق الزيت من الشرق الأوسط، وغدت الولايات المتحدة في السبعينيات المستورد الرئيسى للزيت الإيراني. لقد ارتفعت الصادرات الإيرانية إلى الولايات المتحدة والتي تتكون أساساً من الزيت الخام -بطريقة درامية- من ٦٠ مليون دولار عام ١٩٧٠ إلى ٢,١ مليار دولار عام ١٩٧٤ إلى ٤,٣

مليار دولار عام ١٩٨٧. وكان ذلك العام هو آخر عام في نظام الشاه وارتفعت الواردات من الولايات المتحدة بدورها ارتفاعاً حاداً من ٣٥٩ مليون دولار عام ١٩٧٠ إلى ٩٧٤ مليون دولار عام ١٩٧٤ إلى ٤,١ مليار دولار عام ١٩٧٨.^(٢) وبدأت المنافسات، على أي حال، تعود في النصف الأخير من السبعينيات- تعود إلى الظهور بين الإمبرياليين، بين القوى الرأسمالية العظمى- عندما بدأت قوى استعمارية كبرى مثل اليابان وألمانيا وبريطانيا وقوى إمبريالية أخرى في توسيع علاقاتها التجارية مع إيران.

ورغم أن قبضة الولايات المتحدة على إيران في فترة ما بعد الحرب قوت حكم الشاه السلطوي وأبقتة في السلطة خمسة وعشرين عاماً، إلا أنها استنفرت أيضاً الانفتاح على القوى الرأسمالية الأخرى وترسيخ إيران كقوة إقليمية شبه استعمارية في المنطقة^(٣) ولذا ارتفعت الصادرات الإيرانية (أساساً الزيت) إلى اليابان وألمانيا وبلدان أوروبية أخرى بطريقة درامية، بينما ازدادت وارداتها من السلع الاستهلاكية بالمثل من تلك البلدان في النصف الأخير من السبعينيات.^(٤)

ولمواجهة تلك التطورات قامت العراق المنافس الرئيسي لإيران في المنطقة بجذب اليابان وعدد من البلدان الأوروبية مثل فرنسا وإيطاليا كي يحصلوا على احتياجاتهم من الطاقة مقابل واردات من سلع مصنعة، وهي علاقة سعت العراق إليها لتفيدها في بناء نفسها كمركز قوة إقليمية بديلة في الشرق الأوسط. وارتفعت نتيجة ذلك صادرات العراق إلى اليابان والتي تتكون أساساً من الزيت، إرتفعت من ٥ مليون دولار عام ١٩٧٢ إلى ٥٢٧ مليون دولار عام ١٩٧٦، إلى ١,٥ مليار دولار عام ١٩٧٦ إلى ٥,١ مليار دولار عام ١٩٨٠، وارتفعت إلى إيطاليا من ٢٥٠ مليون دولار عام ١٩٧٢ إلى ١,٢ مليار دولار عام ١٩٧٦، إلى ٢,٦ مليار دولار عام ١٩٨٠.^(٥)

إن الإطاحة بنظام الشاه عام ١٩٧٩ وتولى النظام الإسلامي الجديد السلطة في إيران متبوعاً بحرب العراق قد أدت بتجارة الوارد- الصادر بين إيران والولايات المتحدة إلى وقفة، لكن تجارة إيران مع اليابان وبالمثل مع ألمانيا وبلدان أوروبية أخرى استمرت لتقف على أرض قوية خلال الثمانينيات من القرن العشرين، ولذا فإنه بينما انخفضت صادرات إيران إلى الولايات المتحدة من ٤,٣ مليار دولار عام ١٩٧٨ إلى ٥٥٦ مليون دولار عام ١٩٨٢ إلى مجرد ٢ مليون دولار عام ١٩٩٠ فقد بلغت الصادرات إلى اليابان ٣,٩ مليار دولار من إجمالي صادرات إيران ٢,٣ مليار دولار عام ١٩٨٢ و ٣,٢ مليار دولار عام ١٩٩٠.^(٦)

وبالمثل، بينما انخفضت الواردات من الولايات المتحدة من ٤,١ مليار دولار عام ١٩٧٨ إلى ٢٠٩ مليون دولار عام ١٩٨٣، إلى ١٤٠ مليون دولار عام ١٩٩٠ فإن

الواردات من اليابان بلغت إجمالى ٢.٠٠ مليار دولار عام ١٩٧٨، ٣.١ مليار دولار عام ١٩٨٣، مليار دولار عام ١٩٩٠ وكانت الواردات من ألمانيا جزءاً هاماً من إجمالى الواردات الإيرانية، إذ بلغت إجمالى ٣.٧ مليار دولار عام ١٩٧٨، ٣.٢ مليار عام ١٩٨٣ دولار عام ١٩٩٠^(٧).

لقد حدث بوضوح تحول كبير خلال العقدين الماضيين فى صادرات إيران من الزيت، بعيداً عن الولايات المتحدة ونحو اليابان وبلدان أوروبية أخرى. وهذا واضح أيضاً فى مصدر الواردات الإيرانية. كان هنالك هبوط حاد فى الواردات من الولايات المتحدة، غير أن الواردات من اليابان وألمانيا وبلدان أوروبية أخرى زادت بصورة متواصلة عبر ذات الفترة مشيرة إلى تحول ظاهر فى أنماط التحالفات السياسية التى أعلن عنها فى تجارة الوارد - الصادر.

ونرى فى العراق خلال أوائل الثمانينيات من القرن العشرين نمطا مماثلاً من العلاقات التجارية مع بلدان رأسمالية متقدمة منافسة، لقد كانت اليابان وفرنسا وإيطاليا هى المتسلم الأساسى لصادرات زيت العراق، وكانت بالإضافة إلى ألمانيا أيضاً هى المصادر الكبرى للواردات العراقية من السلع المصنعة. وبدأت الولايات المتحدة فى أواخر الثمانينيات من القرن العشرين تميل بعيداً عن إيران نحو العراق، غدت المشتري الأساسى للزيت العراقى والمورد الأكبر للسلع المصنعة المنتهية، وزادت صادرات العراق إلى الولايات المتحدة من ٤٧٨ مليون دولار عام ١٩٨٧ إلى ١.٥ مليار دولار عام ١٩٨٨ إلى ٢.٣ مليار دولار عام ١٩٨٩، إلى ٣.٠٠ مليار دولار عام ١٩٩٠؛ وارتفعت واردات السلع بالمثل من الولايات المتحدة من ٧٣٢ مليون دولار عام ١٩٨٧ إلى ١.٣ مليار دولار عام ١٩٨٩ قبل أن تهبط إلى ٧٠٤ مليون دولار عام ١٩٩٠^(٨).

إن المنافسة وجها لوجه بين القوى الإمبريالية الأساسية سعياً إلى مدخل إلى إيران والعراق والمصالح التجارية قد غدت خلال الثمانينيات من القرن العشرين مكثفة عند نهاية العقد، وأدت إلى صراع قوى إقليمية بين المركزين المحليين. لقد تطلعا إلى السيطرة على الخليج الفارسى، ولأفضل وضع تساومى فى مواجهة القوى الإمبريالية المتنافسة. إن غزو العراق للكويت فى أغسطس ١٩٩٠ كما يشير برنارد هيدلى، "كان يحمل فى طياته احتمال قلب موازين القوى الاقتصادية فى الشرق الأوسط وتهديد قدرة القوى الغربية (وخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا) على أن يكون لها نفوذ حاسم على شروط سياسة البترول وعلاقاتها"^(٩). ولاتخاذ موقف مضاد لمثل ذلك التطور

المحتمل يكتب هيدلى إن الولايات المتحدة، "أرادت استخدام قوتها العسكرية حتى تعيد تأكيد السيطرة الغربية على موارد العالم الأساسية، ولإعادة تقوية قوة الولايات المتحدة فيما يتعلق بمنافسيها الاقتصادية"^(١٠). ويختتم، "إن غزو العراق للكويت قدم فرصة لتطبيق تلك الاستراتيجية العسكرية لتأكيد أن الولايات المتحدة سوف تكون القوة العظمى دون منازع"^(١١).

حرب الخليج عام ١٩٩١

لقد ذهبت الولايات المتحدة إلى الحرب ضد العراق من أجل تحرير الكويت ودعم الحرية وحكم القانون ومن أجل اتخاذ موقف ضد العدوان الدولي، هذا ما قالته إدارة الولايات المتحدة لحلفائها الغربيين، والذين حكموا المنطقة بقسوة لعقود، وكذا للأنظمة العربية المعاونة معها. وقد أعلن الرئيس بوش فى خطابه فى ولايته الاتحادية، "إن نظاماً عالمياً جديداً يتعرض للخطر.. إنه النظام الذى تتقارب فيه معا أمم متباينة فى قضية عامة من أجل تحقيق الطموحات الشاملة للبشرية: السلم والأمن والحرية وحكم القانون.. إن غزو صدام حسين الذى لم يقم أحد باستفزازة.. لن يصمد"^(١٢).

ولقد قيل إن كان حدوث ذلك ممكناً لعائلة الصباح فى الكويت فإنه يمكن أن يحدث أيضاً للعائلة الملكية السعودية وكذا للسلطين والأمراء وأمثالهم عبر الخليج. إن هذا يعنى أن صدام حسين سوف يسير فى المرة القادمة إلى شبه الجزيرة العربية ويستولى أخيراً على العربية السعودية ثم منطقة الخليج كلها وأخيراً الشرق الأوسط كله ولكن كما يشير إدوارد جرير:

كانت الأرضية التى قدمت للشعب الأمريكى كى يوافق على الهجوم على العراق من نوع الكذبة الكلاسيكية، إن الحرب التى يجب شنها كانت دفاعاً جماعياً بحكم حق الشفاعة ضد دولة إقليمية قوية مجرمة، دولة تمتلك وسائل متقدمة للدمار الشامل فى إطار عملية نشر العداء للسلم العالمى.

إن تأمل الماضى يبين أن الأسباب المنسوبة كانت زائفة وكانت معروفة، كما يجب أن تكون لدى الرئيس، إن العراق لم تكن مستهدفة لأن حسين شن هجوماً عسكرياً دون أن يستفز أحد على دولة جارة له لديها رواسب زيت كبرى، فقد فعل صدام حسين هذا تحديداً مع إيران منذ سنوات قليلة مضت مع دعم نشط من الولايات المتحدة^(١٣).

ويشير جرير:

كما أن العراق لم يكن مستهدفا لأنه كان يتحدى قرارات الأمم المتحدة التي تدّين العدوان العسكري واحتلال دولة أخرى ذات سيادة أو أراضيها، فقد كان هناك أيضا الاحتلال التركي لقبرص، والاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية، وهما فعلاّن مستمران حتى يومنا هذا بالمخالفة لقرارات معاملة، ولم يشكلا سببا للنزاع مع الولايات المتحدة^(١٤). ويضاف إلى ذلك أن العراق لم يكن مستهدفا أيضا لهجوم العسكرية الأمريكية، لأن نظام الكويت نظام العصور الوسطى.. لا يجسد أية قيمة سياسية أو ثقافية عزيزة على الأمريكيين^(١٥).

إن التدخل الضخم الذي قامت به الولايات المتحدة للخليج وغزو العراق لم يكن رغم الإعلانات العامة والرسمية المناقضة لذلك من أجل الديمقراطية والحرية، ولا من أجل "حكم القانون"، ولا من أجل "تحرير" الكويت، ولا من أجل السلام ولا من أجل الأمن، ولا من أجل نظام عالمي "جديد"؛ ومن المثير بحق أنه لم يكن أيضا من أجل الإمداد المتصل من الزيت للولايات المتحدة، حيث لم تكن الولايات المتحدة تعتمد على أو تحتاج لأي قدر هام من زيت الشرق الأوسط، إذ لا يجيء غير ١٠ ٪ من استهلاك الولايات المتحدة الكلي من الزيت من هناك، إن مصادر أخرى مثل المكسيك وفنزويلا وبحر الشمال موضع ثقة أكثر وأمن أكثر، كما يمكنها أن تملأ الفراغ، لذا لماذا أثرت مسألة الزيت أصلا؟

إن ما يبدو موضوعا معقدا يغدوا واضحا وكاشفا عندما نكتشف أن الزيت الذي تتحكم فيه شركات الزيت الأمريكية العابرة للقومية في الشرق الأوسط، لا يقدم أساسا إلى الولايات المتحدة، لكنه يقدم أساسا إلى ألمانيا واليابان ليغذى ومن ثم يتحكم في الحياة الصناعية للمنافسين الرئيسيين للولايات المتحدة في العالم الاقتصادي، إن ألمانيا واليابان هما قوى اقتصادية صاعدة، بينما بريطانيا والولايات المتحدة ينحدران.. إن ألمانيا واليابان لم يكونا باعتبارهما قوى اقتصادية صاعدة مهددين تحديدا عند اغتصاب العراق للموارد الكويتية.. وكان رد فعل بريطانيا هو رد الفعل المعاكس بالضبط^(١٦).

إن الكويت والعربية السعودية وإمارات البترول قد لعبت باعتبارها دولا موالية للولايات المتحدة دورا أساسيا في ضمان سيادة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وسيطرتها التالية لذلك على تدفق الزيت من هذه المنطقة، ويكتب توم ماير، "إن إبطال

السيادة الأمريكية المطلقة على الدول المنتجة للبترول فى الخليج الفارسى سوف يهدد وضع الولايات المتحدة بالنسبة لمنافسيها التجاريين الأساسيين^(١٧). ولذا يضيف ماير، "لا يكاد يكون أمرا مثيرا للدهشة أن تلجأ الولايات المتحدة إلى الحرب لطرد تحد ما للحالة الإمبراطورية الراهنة، طبقا للنمط التقليدى لانحدار القوى الاقتصادية (مثلا، روما الإمبراطورية فى القرن الرابع، أسبانيا فى القرن الخامس عشر، بريطانيا فيما قبل الحرب العالمية الأولى) معرضين دوما لإغراء تعويض الضعف الاقتصادى بالقوة العسكرية"^(١٨).

إن أهمية سيطرة الولايات المتحدة على منابع الزيت فى الشرق الأوسط تصبح واضحة عندما يضع المرء البديل فى الحسبان، كيف كان يمكن أن يكون العالم مختلفا لو كانت آبار الزيت الخاضعة الآن لسيطرة شركات زيت الولايات المتحدة خاضعة فى الحقيقة لسيطرة شركات ألمانيا واليابان!

المنافسات فيما بعد الحرب الباردة فى الاقتصاد السياسى للشرق الأوسط

ما ان انتهى الاقتصاد السياسى لما بعد الحرب الباردة -اقتصاد العداوات الإقليمية- بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى السابق فى الشرق الأوسط، حتى برزت هذه المنطقة كحلبة منافسات ظاهرة بين قوى العالم الرأسمالية العظمى حول منابع الزيت الحيوية لاقتصادياتهم. لقد وجدت القوى الاستعمارية الأساسية -المحصورة فى المنافسات الاستعمارية البيئية بهدف السيطرة على المواد الخام، والعمل الرخيص، وأسواق جديدة، ومعدلات أعلى من الربح عبر الكون- وجدت فى العراق وإيران مركز قوة بديل محتمل للسيطرة على الزيت وتنظيم تدفقه.

إن كل من ألمانيا واليابان كانتا تبحثان بوضوح على مدى عقدين عن قوة وكيلة فى الخليج، وقد نظر إلى العراق لأسباب متعددة، منها تمويلها للحرب العراقية الطويلة مدة عقد ضد إيران، نظر إليها باعتبارها القوة التى يمكن أن تضمن لليابان وألمانيا موضع قدم مستقبلى فى الشرق الأوسط، ومن ثم فإن انحدار نفوذ الولايات المتحدة فى المنطقة بعد الشاه وبعد سياسات القوة السعودية وصعود ألمانيا واليابان عبر توسيع سيادة العراق على شبه الجزيرة العربية والخليج، يمكن أن يضمن لألمانيا واليابان

مدخلا مباشرا رئيسيا إلى منابع الزيت فى الشرق الأوسط متجاوزا الوضع التقليدى المهين لشركات الزيت الأمريكية فى المنطقة.

إن تجاوزات الولايات المتحدة فى المنطقة فى فترة مبكرة من السيطرة الإمبراطورية البريطانية على الشرق الأوسط وضعتها فى منافسة مباشرة مع بريطانيا فوق تلك الأراضى من إيران إلى العراق إلى الأردن إلى مصر، وأسفل إلى شبه الجزيرة العربية بما فى ذلك منطقة الخليج كلها. والآن وبعد ما يقرب من نصف قرن غدت منافسة ذات القوى العظمى متداخلة فى نزاع مرة أخرى فى ذات الأراضى الإستراتيجية ولذات السبب ألا وهو السيطرة على البترول.

إن تحلل الاتحاد السوفيتى كقوة عسكرية عظمى -والذى لعب دوراً أساسياً فى كبح تجاوزات الولايات المتحدة عبر العالم- سمح للولايات المتحدة بالتدخل فى الخليج والنجاح (لفترة على الأقل) فى هزيمة منافسيها الرئيسيين، ألمانيا واليابان، منكرة عليهما مدخلا مباشرا إلى منابع الزيت الذى هو أساس لاستقلالهما الاقتصادى ووضعهما القيادى فى الاقتصاد العالمى. ومما يثير العجب أن المنافسين اللذين هزمت مناوراهما -ألمانيا واليابان- قد دفعا جزءا جوهريا من تكاليف عملية صممت لقمعها^(١٩)، كانت تكلفة العراق باهظة فى كل من البشر والشروط المادية، لقد قتل ما يزيد عن مائة ألف جندي عراقي وآلاف المدنيين الأبرياء فى مذبحة التكنولوجيا العالية التى وجهتها إلى العراق القوة الإمبريالية الرئيسية العظمى -الولايات المتحدة^(٢٠).

والآن وقد تم ضمان الوضع الذى كان فى الخليج قبل أغسطس ١٩٩٠، وترسخ وضع الولايات المتحدة أكثر فى الشرق الأوسط، فما هى دروس حرب الخليج حتى نتعرف على المجرى المستقبلى للمنافسة بين الدول الامبريالية الكبرى فى اقتصاد العالم فى القرن الواحد والعشرين؟

إن ألمانيا وقد خرجت من مدخل مباشر إلى زيت الشرق الأوسط فانها باعتبارها القائد الواقعى للجماعة الأوروبية، سوف تلعب دورا أساسيا متزايدا داخل الجماعة الأوروبية وفى العلاقات مع دول الجوار فى شرق أوروبا، وسوف تمتد العلاقات إلى عدد من جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق وخاصة روسيا وأكروانيا، كما أن لألمانيا علاقة خاصة مع الاتحاد السوفيتى السابق من خلال اتفاقية خطوط أنابيب الغاز الطبيعى الألمانية- السوفيتية سيئة السمعة، والتى عقدت فى أواخر ثمانينيات القرن العشرين، يضاف إلى ذلك الارتباط مع الجزائر عبر فرنسا (للغاز الطبيعى) ومع ليبيا عبر إيطاليا (من أجل الزيت) ومع بريطانيا (من أجل زيت بحر الشمال) وهى يقينا ارتباطات داخل دائرة الاحتمالات لصالح الجماعة الأوروبية أو ألمانيا.

وحيث إن الاقتصاد الأوروبي يواصل توسعه عبر نشاط تجارى متزايد بين الدول الأعضاء، وحيث إن الجماعة الأوروبية تتماسك أكثر فأكثر من خلال تكامل أكبر فى بنية اقتصادية قارية تواصل فيها ألمانيا لعب دور رئيسى، فإن الجماعة الأوروبية ونواتها ألمانيا سوف تمثل بصورة متزايدة تحدياً قادراً على البقاء لسلطة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط فى الفترة القادمة.

يضاف إلى ذلك أن وجود صلة وثيقة بين ألمانيا وتركيا ترجع إلى علاقة بعيدة بين البلدين منذ الفترة العثمانية، يمكن أن تنجح فى جذب تركيا بعيداً عن مدار الولايات المتحدة لضمان عضوية تركيا فى الجماعة الأوروبية. وربما يفتح هذا مدخلاً إلى حقول الزيت فى شرقى تركيا قرب الحدود مع العراق، ويمتد نفوذ ألمانيا عبر تركيا إلى حلفاء الأخيرة فى آسيا الوسطى، أذربيجان، حيث تجرى مبادلة زيت باكوبالعملة الصعبة؛ عندما يصبح أى من هذه الاحتمالات حقيقة فإنه من الواضح أن قوة اقتصادية صاعدة مثل ألمانيا لا يمكنها أن تتظاهر طويلاً بتحديها للولايات المتحدة بينما تواصل على طول الخط الاعتماد عليها من أجل الحصول على أكثر مصدر حيوى من المواد الخام لها، الزيت.

ولليابان مدخل أكثر محدودية، غير أنه مايزال مدخلاً قادراً على البقاء إلى منابع الزيت فى جزئها من العالم. إن المصدر الأكثر احتمالاً هو الصين، حيث، استثمرت اليابان بالفعل أكثر من ٢٠ مليار دولار، وحيث تتمتع بتعددية فوائد المشروعات المشتركة. إن الصين باعتبارها واحداً من أكبر منتجى الزيت فى العالم سوف تكون أكثر من متحمسة لبيع طاقتها الزائدة بأسعار دون مستوى أسعار السوق العالمى، وتضمن فى ذات الوقت مصدراً ثابتاً لأرباح مضمونة من صادراتها لهذه السلعة الحيوية إلى اليابان والاقتصادات الصاعدة فى المنطقة. إن الزيت فى فيتنام وأندونيسيا ودول آسيوية جنوبية شرقية أخرى، كذا من سيبيريا، يمكن بالمثل أن يغطى جزءاً هاماً من الطلب اليابانى، ويعاون اليابان على التخلص من اعتمادها على إمداد زيت الشرق الأوسط الذى تسيطر عليه احتكارات زيت الولايات المتحدة.

والآن، والولايات المتحدة ما تزال تسيطر بقوة على حقول زيت الشرق الأوسط بينما تتحرك أوروبا فى ذات الوقت قدماً وبكامل تكاملها، وبينما اليابان تواصل توسيع دورها ونفوذها فى الاقتصاد العالمى، وخاصة فى الحافة الباسيفيكية، فإنه ليس هناك من شك فى أن صداماً آخر للمصالح لابد وأن يشتعل فى كوريا، فى ليبيا، فى الفلبين، فى أندونيسيا، فى يوغسلافيا السابقة، أو مرة أخرى فى الخليج؟ كجزء فى المنافسة

طويلة المدى بين العمداء الرئيسيين للاقتصاد العالمى فى نهاية القرن العشرين والسنوات الأولى للقرن الواحد والعشرين.

خاتمة

منذ الإطاحة بنظام الشاه فى إيران عام ١٩٧٩ ولحوالى عقدين كانت العراق وإيران فى مركز المنافسات بين الدول الإمبريالية الأساسية للنظام الرأسمالى العالمى. الولايات المتحدة واليابان وألمانيا وبلدان أوروبية أخرى كبرى وعديدة، إن الحرب الطويلة والدموية بين إيران والعراق خلال ١٩٨٠ - ٨٨ فشلت فى تحقيق حل كلى لصراع القوة بين هذه القوى الإقليمية المتنافسة فى الشرق الأوسط، وغدت الولايات المتحدة هى الحكم الأساسى فى تحديد توازن القوى بين هاتين الدولتين الصاعدتين بالوقوف أولا إلى جانب إيران، ثم مع العراق، وفى النهاية ضد الاثنين، وقد قامت كل من اليابان وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا بدورها ببناء شراكة تجارية مع إيران أو العراق الواقعتين فى صراع قوة يتحدى الهيمنة التقليدية لهذه المنطقة بواسطة مصر أو العربية السعودية تحت وصاية الولايات المتحدة الإمبريالية.

لقد غدت حرب الخليج حالة اختبار للسيطرة الإقليمية فى إطار السياق الأكبر لجيوبوليتيكات الشرق الأوسط. إن التدخل المباشر للولايات المتحدة فى حربها ضد العراق قد غدا، من ثم، رد الفعل المحدد للاضطراب السياسى الذى اكتنف المنطقة فيما بعد الحرب الباردة. إن استعراض عضلات ماكينة الولايات المتحدة العسكرية فى الخليج كان، من ثم، معنيا بإرسال رسالة واضحة للمنافسين الإمبرياليين الرئيسيين، رسالة تقول إن الولايات المتحدة تواصل لعب دور رئيسى فى الاقتصاد السياسى للشرق الأوسط، وإن هذا الدور الذى كان دوراً مهيمناً خلال فترة ما بعد الحرب قد أعيد بناؤه مرة أخرى فى النظام العالمى الجديد لما بعد السوفيت وما بعد الحرب الباردة ليحدد الآن معايير سياسات القوة العظمى فى الشرق الأوسط.

الهوامش

- [1] For varied explanations on the nature and causes of the Gulf War of 1991, see "The Gulf War and the New World Order", ed. Bresheeth and Yuval-Davis. See also Robert Brenner, "Why Is the United States at War with Iraq?" New Left Review, no. 185 (1991); Tom Mayer, "Imperialism and the Gulf War," Monthly Review 42, no. 11 (1991); Michael Tanzer, "Oil and the Gulf Crisis," Monthly Review 42, no. 11 (1991); Bernard D. Headley, "The 'New World Order' and the Persian Gulf War," Humanity & Society 15, no. 3 (1991); Edward Greer, "The Hidden History of the Iraq War", Monthly Review 43, no. 1. (1991); and Berch Berberoglu, "The Political Economy of the Gulf War," Humanity & Society 17, no. 1 (1993).

[١] من أجل تفسيرات متنوعة حول طبيعة وأسباب حرب الخليج عام ١٩٩١، انظر "حرب الخليج والنظام العالمي الجديد" تحرير بريشيث ويوفال دافيس. انظر أيضا روبرت برينر، "لماذا الولايات المتحدة في حرب مع العراق؟" نيولفت ريفيو، رقم ٨٥، (١٩٩١)؛ إدوارد جرير، "التاريخ الخفي للحرب العراقية،" مونثلي ريفيو ٤٢، رقم ١ (١٩٩١)؛ وبيرش بيربروجلو "الاقتصاد السياسي لحرب الخليج،" الإنسانية والمجتمع ١٧، رقم ١ (١٩٩٣).

- [2] International Monetary Fund, "Direction of Trade Statistics, Year- book 1970- 76" (Washington, D.C.: IMF, 1977), PP. 1982, PP. 207- 8., 1987, PP. 229-30., 1991, PP. 226-27.

[٢] صندوق النقد الدولي، "اتجاه الاحصائيات التجارية، الكتاب السنوى ١٩٧٠-٧٦" (واشنطن دي. سي اى ام اف، ١٩٧٧)، ص. ص. ١٤٨-٤٩؛ ١٩٨٢، ص. ص. ٢٠٧-٨؛ ١٩٨٧، ص. ص. ٢٢٩-٣٠؛ ١٩٩١، ص. ص. ٢٢٦-٢٧.

- [3] Patrick Clawson, "The Internationalization of Capital and Capital Accumulation in Iran," in "Oil and Class Struggle", ed. Peter Nore and Terisa Turner (London: Zed Press, 1980).

[٣] باتريك كلاوسون، "تأميم رأس المال وتراكم رأس المال في إيران"، في "الزيت والنضال الطبقي"، تحرير بيتر نور وتريزا تيرنر (لندن. مطبعة زد، ١٩٨٠)

- [4] See Kaoru Sugihara, "Japan the Middle East, and the World Economy", in "Japan in the Contemporary Middle East", ed. K. Sugihara and J.A. Allan (London: Routledge, 1993), PP. 1- 13.

[٤] انظر كاورو سوجيهارا، "اليابان والشرق الأوسط والاقتصاد العالمي" في "اليابان في الشرق الأوسط"

- المعاصرة، تحرير ك. سوجيهارا، و ج.أ. الان (لندن: روتليدج، ١٩٩٣)، ص.ص. ١٣٠-١.
- [٥] صندوق النقد الدولي، 'اتجاه الاحصائيات التجارية'، ١٩٧٠-٧٦، ص.ص. ١٥٠-٥١؛ ١٩٨٢، ص.ص. ٢١-١١؛ ١٩٨٧، ص.ص. ٢٣١-٢٢٢؛ ١٩٩١، ص.ص. ٢٢٨-٢٩.
- [٦] المصدر السابق، ١٩٧٠-٧٦، ص.ص. ١٤٨-٤٩؛ ١٩٨٢، ص.ص. ٢٠٧-٨؛ ١٩٨٧، ص.ص. ٢٢٩-٢٧؛ ١٩٩١، ص.ص. ٢٢٦-٢٧.
- [٧] المصدر السابق، ١٩٧٠-٧٦، ص.ص. ١٤٨-٤٩؛ ١٩٨٢، ص.ص. ٢٠٧-٨؛ ١٩٨٧، ص.ص. ٢٢٩-٣٠؛ ١٩٩١، ص.ص. ٢٢٦-٢٧.
- [٨] المصدر السابق، ١٩٧٠-٧٦، ص.ص. ١٥٠-٥١؛ ١٩٨٢، ص.ص. ٢١-١١؛ ١٩٨٧، ص.ص. ٢٣١-٢٢٢؛ ١٩٩١، ص.ص. ٢٢٨-٢٩.
- [٩] هيدلي، 'النظام العالمي الجديد وحرب الخليج الفارسي'، ص. ٣٢٢.
- [١٠] المصدر السابق، ص. ٣٢٣.
- [١١] المصدر السابق.
- [١٢] مقتبسة في برينر، 'لماذا الولايات المتحدة في حرب مع العراق؟' ص. ١٢٢.
- [١٣] جرير، 'التاريخ الخفي لحرب العراق'، ص. ٦.
- [١٤] المصدر السابق، ص.ص. ٦-٧.
- [١٥] المصدر السابق، ص. ٧.
- [١٦] ماير، 'الإمبريالية وحرب الخليج'، ص.ص. ٣-٤.
- [١٧] المصدر السابق، ص. ٤.
- [١٨] المصدر السابق.
- [١٩] فرض على اليابان دفع حوالي ١٣ مليار دولار، وألمانيا حوالي ١٠ مليار دولار كجزء من 'نصيبهما' في تكاليف الحرب لضمان انتصار الولايات المتحدة، أنظر كريستوفر نولتون و كارلارابوبورت، 'ألمانيا واليابان: غائبان عن الفعل'، فورتشن، مارس ١٩٩١، ص. ٥٨.
- Christopher Knoolton and Carla Kapoport, "Germany & Japan: Missing in Action," Fortune, 11 March 1991, P. 58.
- [٢٠] أنظر النيويورك تايمز، ٢٨ مارس ١٩٩١، نسخة طبق الأصل من مقابلة الجنرال نورمان شوارتزكوف في حديث مع دافيد فروستا، والذي قال الجنرال فيه، 'في وسعي تقدير.. أننا قد قتلنا بسهولة أكثر من ١٠٠٠٠ جندياً عراقياً' مقتبسه في جرير، 'التاريخ الخفي لحرب العراق'، ص. ٣.

الفصل الثامن

**النظام العالمى الجديد فيما بعد الحرب الباردة
وإمكانية السلام فى الشرق الأوسط**

كانت حرب الخليج عام ١٩٩١ ناتجا لنهاية الحرب الباردة، وهى التى أعدت المسرح لظهور «النظام العالمى الجديد»، النظام الذى صمم ليحل محل اضطراب سنوات ما بعد الحرب، مع بعث جديد لإمبراطورية الولايات المتحدة التى يمتد مداها إلى كل ركن من أركان العالم^(١). لقد غدت الولايات المتحدة -فى غياب الاتحاد السوفيتى، الذى كان أشبه بميزان موازلها فى الشئون الدولية، وخاصة فى الشرق الأوسط- غدت الحكم الوحيد للنزاعات، وكذا القوة الكبرى وراء عملية السلام فى الشرق الأوسط، والتى كانت تدفع بها سياسة المصالح الأجنبية للولايات المتحدة^(٢).

إن مسألة الحقوق الفلسطينية فى الأراضى المحتلة، والسياسات المحلية والخارجية للحكومة الإسرائيلية، ودور الدول العربية فى الانحيازات السياسية الإقليمية، كانت كلها مصنفة بعد حرب الخليج فى إطار المصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة؛ ولسوء الحظ، فإن مشاكل الشرق الأوسط، والتى كانت مشاكل محلية، وتحتاج إلى حلول محلية، غدت مركبة عندما بدأت تعكس بصورة متزايدة سياسة المصالح الخارجية للولايات المتحدة فى المنطقة.

إن مدخل الولايات للاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط أهمل السياق القومى والإقليمى للنزاع العسكرى خلال العقود العديدة الماضية. إن هذا الإهمال يصدر عن مصالح كونية جيوبوليتيكية أكثر اتساعا، مصالح حددتها منافسة الاقتصاد السياسى للقوى العظمى فيما بعد الحرب، منافسة غذتها الحرب الباردة^(٣). ونتيجة ذلك أن النزاعات الإقليمية التى دفعت بها ديناميكات محلية واجتماعية وسياسية أعيد تحديدها وتعريفها بواسطة تدخلات إمبريالية خارجية فى الشئون الداخلية، فى بمط نيوكولونيالى نموذجى، كانت هذه هى الحالة فى لبنان فى الثمانينيات من القرن العشرين، حيث كان للحرب والدمار فيما بعد الحرب الأهلية والغزو الإسرائيلى تأثير كبير على سياسات المنطقة^(٤). وكانت هناك منطقة أخرى لمثل ذلك النزاع هى قبرص والتى اندفعت من قبل فى حرب مع الغزو التركى للجزيرة عام ١٩٧٤^(٥).

إن السماح الانتقائى للدول الاستعمارية بحل عسكرى للمطالب السياسية والإقليمية طويلة المدى لدول محلية أدى إلى الحرب الإيرانية-العراقية فى الثمانينيات وهو عمل غذته الولايات المتحدة لضرب استقرار النظام الإيرانى الجديد^(٦). إن العلاقة الوثيقة التالية بين الولايات المتحدة وصدام حسين فى الحرب ضد إيران أعدت المسرح لظهور

العراق كقوة إقليمية، وهو تطور سمح بإعادة تشكيل توازن القوى في الشرق الأوسط بصورة أكثر مواتاة للولايات المتحدة^(٧). ولذا، فإنه بعد "فقدان" إيران، وإثر الثورة الإسلامية، غدت العراق هي من يقدم التسهيلات للمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة حتى غزوها للكويت.

إن النفوذ المتزايد لأوروبا واليابان في الشرق الأوسط خلال الثمانينيات من القرن العشرين وأزمة الاتحاد السوفيتي السابق في نهاية العقد أعطى للولايات المتحدة الفرصة التي تتحرك من خلالها كي تمسك مرة أخرى بوضعها المنحدر في الشرق الأوسط. حركة أدت إلى التدخل الضخم للولايات المتحدة في الخليج الفارسي، وإلى شن حرب الخليج عام ١٩٩١^(٨). لقد كانت حرب الخليج وسيلة لإعادة تأكيد الدور التقليدي للولايات المتحدة للسيطرة على منطقة ضربتها الإمبريالية والحرب والاضطراب السياسي.

إن فهم وإدراك مثل تلك التطورات في السياق الأكثر اتساعاً للنزاعات في الشرق الأوسط يقتضى من المرء تناول المسألة الفلسطينية، والقمع الذي واجهه الأكراد في العراق وتركيا، وبالمثل إعادة تشييد لبنان، وحل النزاع القائم في قبرص، والسيطرة على القلق السياسي النابع من صعود الأصولية الإسلامية في المنطقة؛ إن تلك، وحقائق أخرى للحياة، لم تحل في الشرق الأوسط قد احتلت مرة أخرى مكانة مركزية في التطورات السياسية فيما بعد حرب الخليج. وجاءت مجموعات جديدة من التناقضات الكونية إلى المقدمة، ووضعت الولايات المتحدة في مركز تلك النزاعات، وهي حالة يمكن أن تؤدي إلى نتائج غير معروفة، ولا يمكن التنبؤ بها، نتائج ذات تأثير أبعد بكثير على السياسات الإقليمية من تلك التي كانت مقصودة في الأصل.

إن الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ مثلاً، والذي قصد استئصال الوجود الفلسطيني القوي في ذلك البلد فيما بعد الحرب الأهلية اللبنانية^(٩) قد أدى على الرغم من ذلك إلى مجموعة من التناقضات، ذهبت فيما وراء المسألة الفلسطينية كما هي، وامتدت إلى طبيعة المقاومة المعادية لإسرائيل، ليس فقط في لبنان ولكن أيضاً في الأراضي المحتلة وفي إسرائيل ذاتها. ومن ثم، فإن نمو وتوسع الحركة الأصولية والإسلامية في المنطقة غدا نتيجة غير مقصودة لتصميم إسرائيل على إنهاء قوة ونفوذ منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، وهي حركة محسوبة على الجانب الإسرائيلي حركة أخفقت وجعلت الوضع أكثر سوءاً، لقد غدت سياسة الولايات المتحدة الانتباه الإسرائيلي الذي تجسد في ملاحقة منظمة التحرير الفلسطينية في جنوب لبنان مما اقتضى من الولايات المتحدة ثمناً باهظاً فيما بعد.

لقد أدت الأزمة في لبنان خلال الثمانينيات من القرن العشرين إلى عقد طويل من النزاع الذي قسم البلد على امتداد خطوط اثنية دينية في العاصمة، أصبح مسلمو غرب بيروت، الذين نظر إليهم باعتبارهم منبث الأصولية الإسلامية والحصن القيادي لمنظة التحرير الفلسطينية، أصبحوا في وضع مضاد للشرق "المسيحي" والذي كان يتمتع بحماية كل من الولايات وإسرائيل في بيروت منذ أوائل الثمانينيات من القرن العشرين^(١١). وجاءت دفعة مماثلة في الجنوب زحزحت حدود الالتحام السياسية والعسكرية بين الجانبين لتؤدي بصورة فاعلة إلى عزلة المجتمع الإسلامي في لبنان، والذي لم يكن له من ملاذ غير احتضان موطيء القدم الاستراتيجي السوري في البلاد.

إن الوجود الكثيف السوري في الشمال والشرق حتى المنطقة الساحلية حول بيروت وإلى الجنوب استهدف معادلة القوات الإسرائيلية، والتي كانت مصممة على البقاء في جنوب لبنان كمنطقة عازلة ومسرح عمليات ضد منظمة التحرير الفلسطينية^(١٢).

إن الغزوة الإسرائيلية لجنوب لبنان وعزلة غرب بيروت ومدن لبنانية أخرى تقطنها غالبية من السكان المسلمين دعت على أي حال إلى المزيد من الوجود الأصولي الراديكالي في بيروت وعبر البلاد التي حولت لبنان إلى منبث للنزاع والعنف^(١٣).

إن القوى السياسية وقد عمدت إلى تأكيد هيمنتها في لبنان لجأت، من ثم، بصورة متزايدة إلى الدين كقوة حاشدة لتجريد الشعب وفرض إرادتها في السياسات القومية. ولذا، فإن السياسات العلمانية التي اتسمت بها الثقافة السياسية اللبنانية لعقود انزلت إلى نزاع يقوم على الفتنة، وظهرت تعددية لمراكز قوة جديدة داخل الحيز الديني، مراكز تقوم على الفرقة والشقاق، والتي غدت حدودها، دون جهد، هي خط المعركة الذي قسم المدينة إلى مناطق عسكرية سياسية متنازعة.

وتحولت بيروت من مدينة التسامح الاثنى والقومى والدينى والسياسى إلى أرض قتال لمعارك فرقة وشقاق جاءت بالدمار والموت. إن جراح الحرب والمعاناة الإنسانية التي سببتها القوى العظمى قد حولت شعب لبنان إلى متشككين يرتابون في إمكان التوفيق بين الأطراف المتعارضة على الإطلاق، ولكن حيث إن إعادة البناء الاقتصادي والاستقرار السياسى عزز تدريجيا العودة إلى الحالة الطبيعية في بيروت خلال السنوات القادمة فإنه يمكن للبنان أن يتمتع مرة أخرى بالسلام الذى سوف يضيف، فى حدود محدودة، إلى الجهد من أجل إنهاء الحرب والاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط.

إن مأزق الأكراد في العراق وتركيا وإنكار حقهم في تقرير المصير القومي سوف يواصل ملازمته للأمم التي تقمع المطالب الكردية الساعية إلى رسم خريطة مصيرهم القومي^(١٤).

إن القمع المتصل للشعب الكردي في العراق وتركيا فيما بعد حرب الخليج سوف يزيد من تقوية تصميمه على كسب حريته وتحديد مصيره في كردستان حرة مستقلة. إن الأكراد باعتبارهم واحداً من الشعوب القليلة المتبقية في العالم والذي حرم من وطن قومي له سوف يواصل دون شك النضال، وسوف ينجح في النهاية في أخذ مكانه الصحيح بين جماعة الدول القومية في المستقبل الذي هو ليس ببعيد إلى حد كبير.

إن النضال الطويل للشعب الفلسطيني من أجل تقرير المصير القومي عبر العقود العديدة الماضية يشهد على أي حال على الطبيعة الممتدة للنضال من أجل الحكم الذاتي القومي والذي كان من الصعب تحقيقه^(١٥). إن الانفجار الأخير للعنف في إسرائيل والذي كان رد فعل في مواجهة تشييد مستوطنات جديدة في شرق أورشليم قد كشف مرة أخرى الطبيعة المتقلبة لعملية السلم، وبين بوضوح للغاية العناد الإسرائيلي حول مستقبل الأراضي المحتلة. إن الموجة الجديدة من الاضطراب بين الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية يذكرنا مرة أخرى بأن الفصل الأخير حول الحرب والسلام في هذه المنطقة القلقة من العالم مازال لم يكتب بعد.

سوف تبني المستوطنات وتفك، وسوف تكون مصادر إرهاب الأفراد والدولة مستهدفة وسوف يجرى تحطيمها، ومع ذلك، فإن أشكالاً جديدة من العنف سوف تثير دون شك نيران الحرب والتدمير. إن الشقاق الاثنى والنزاع الديني والاضطرابات القومية والثورة الاجتماعية سوف تواصل تغيير المنظر الطبيعي الاجتماعي الاقتصادي والسياسي المركب لهذه المنطقة من العالم الغنية بالبترو، كما ستفعل ذلك أيضاً الإمبريالية والحرب والاضطراب السياسي.

ليس أمراً محتملاً أن منطقة أو أمة أو شعباً سوف يكون الضحية الدائمة لقوى اجتماعية عجزت إلى حد كبير عن السيطرة عليها، لأنها في الغالب لم تكن هي وحدها التي ترسم خريطة التاريخ. حقا، إن القوى القوية لعبت دوراً مهيماً في تحديد ناتج قرون من الشقاء البشري الممتد، غير أن العديد من تلك القوى سواء كانت إمبراطوريات أو دولا قومية أو طبقات مستغلة أو ديكتاتوريات عسكرية ألقى بها في النهاية في مزبلة التاريخ عندما سادت الإرادة الجماعية للشعب المصمم، سادت على قوى القهر والقمع. هل يمكن للمرء أن يتوقع أقل من ذلك (أو يأمل في أقل من الممكن) لأناس الشرق الأوسط؟

الهوامش

- [١] بريشيث ويوفال- دافيس، محرران، "حرب الخليج والنظام العالمى الجديد".
- [٢] المصدر السابق، ص.ص. ٢٤-٢٨، ٢٤٣-٥٦.
- [3] Fawaz A. Gerges, "The Superpowers and the Middle East" (Boulder, Colo: Westview Press, 1994). Peter Maugold, "Superpower Intervention in the Middle East" (New York: St. Martin Press, 1978).
- [٢] فوز أ. جرجس، "القوى العظمى والشرق الأوسط" (بولدر، كولورادو: مطبعة ويست فيو، ١٩٩٤، بيتر ماوجولد، "تدخل القوة العظمى فى الشرق الأوسط" (نيويورك: مطبعة القديس مارتين، ١٩٧٨).
- [٤] ب-ج. عودة لبنان: ديناميكيات النزاع" (لندن: كتب زد، ١٩٨٥).
- [5] Michael A. Attalides, "CYPRUS: Nationalism and International Politics" (New York: St. Martin,s Press, 1979), PP. 174-79. See Christopher Hitchens, "Cyprus" (New York: Quartet Books, 1984).
- [٥] ميشيل أ. اتاليدس، "قبرص. القومية والسياسات الدولية" (نيويورك: مطبعة القديس مارتين، ١٩٧٩)، ص.ص. ٧٩-١٩٧٤. إن الغزو التركى لقبرص كان نتاجا لسياسة الولايات المتحدة لتحقيق توازن لقوى حليفين فى الناتو فى المنطقة، تركيا واليونان، من خلال انقلاب بقيادة الدسى أى إيه للجناح اليميني العسكرى جاء بالجنرالات إلى السلطة عام ١٩٧٤، ثم قام الجنرالات حينذاك بتحركات لدمج قبرص فى اليونان، وتدخلت الولايات المتحدة حينذاك فى الشئون الداخلية لتركيا، عن طريق استدراج الأخيرة كي تستجيب لهذا التحدى عن طريق غزو الجزيرة بعد ذلك بقليل، انظر كريستوفر هيتشنز، "قبرص (نيويورك، كتب كوارتيت، ١٩٩٠).
- [6] W. Thom Workman, "The Social Origins of the Iran- Iraq War" (Boulder, Colo: Lynne Rie nner, 1994). See also Dilip Hiro, "The Longest War: The Iran- Iraq Military Conflict" (London: Paladin, 1990).
- [٦] و. ثوم وركمان، "الأصول الاجتماعية لحرب إيران- العراق" (بولدر، كولورادو لين رينر، ١٩٩٤). انظر أيضا ديليب هيرو، "أطول حرب: النزاع العسكرى الإيراني- العراقى" (لندن بالادين، ١٩٩٠).
- [7] Sami Yousif. "The Iraqi- U.S War", in "The Gulf War and the New World Order", ed. Bresheeth and Yural- Davis, PP. 62- 68.
- [٧] سامى يوسف، "حرب العراق- الولايات المتحدة"، فى "حرب الخليج والنظام العالمى الجديد"، تحرير بريشيث ويورال دافيس، ص.ص. ٦٢-٦٨.
- [٨] بريشيث ويورال دافيس، محرران "حرب الخليج والنظام الجديد" من أجل تحليل دور الولايات المتحدة فى المنافسة بين الاستعمارين بهدف السيطرة على الزيت فى هذه الفترة الحديثة للغاية لسياسات القوة العظمى فى الشرق الأوسط. انظر الفصل السابع من هذا الكتاب.

- [٩] عودة، لبنان: ديناميكات النزاع، ص.ص. ١٢١-٧٢، ١٨٩-٢٠٨.
- [10] David McDowall, "Lebanon: A conflict of Minorities" (London: Minority Rights Group, 1985), P.16.
- [١٠] دافيد مك دووال، "لبنان: نزاع الأقليات" (لندن: مجموعة حقوق الأقلية، ١٩٨٥)، ص.١٦.
- [11] Michael Jansen, "The Battle of Beirut: Why Israel Invaded Lebanon" (London: Zed Press, 1982).
- [١١] ميشيل جانسن، "معركة بيروت: لماذا غزت إسرائيل لبنان" (لندن: مطبعة زد، ١٩٨٢).
- [١٢] عودة، لبنان: ديناميكات النزاع، ص.ص. ١٧٣-٨٦.
- [١٣] المصدر السابق.
- [١٤] دافيد مك دووال، "الأكراد: أمة غير معترف بها" (لندن: مطبعة حقوق الأقلية، ١٩٩٢).
- [15] Andrew Regby, "Living the Intifada" (London: Zed Books, 1991). See also Adel Samara et., "Palestine: Profile of an Occupation" (London: Zed Books, 1989).
- [١٥] أندرو ريجبي، "أن تعيش داخل الانتفاضة" (لندن: كتب زد، ١٩٩١)، انظر أيضاً عادل سمارة، فلسطين: منظر جانبي لاحتلال ما" (لندن: كتب زد، ١٩٨٩).

المراجع أبجديا

- Abdullah, Samir. 1996. "The Middle East Peace Dilemma". Cairo: Economic Research Forum.
- عبدالله، سمير. ١٩٩٦. "معضلة سلام الشرق الأوسط" القاهرة منتدى البحث الاقتصادي.
- Aburish, Said K. 1996. "The Rise, Corruption, and Coming Fall of the House of Saud". New York: St. Martin prss.
- أبو ريش، سعيد ك. ١٩٩٦ "صعود وفساد وسقوط بيت سعود". نيويورك مطبعة القديس مارتين.
- Aksoy, S. 1971. Tiirkiye' de Toprak Meselesi (The land question in Turkey). Istanbul: Gerçek Yayınevi.
- أكسوي، س. ١٩٧١. "مسألة الأرض في تركيا". اسطنبول: جيريك يابينيقي.
- Alnasrawi, Abbas. 1994, "Economic Devastation, Underdevelopment and out Look". In "Iraq Since the Gulf War", edited by Fran Hazelton. London: Zed Books.
- الناصراوي، عباس. ١٩٩٤. "التخريب الاقتصادي، التخلف والترقب"، في "العراق منذ حرب الخليج"، تحرير فران هارلتون. لندن: كتب زد.
- Amin, Samir. 1978. "The Arab Nation: Nationalism and Class Struggles". London: Zed Press.
- أمين، سمير. ١٩٧٨. "الأمة العربية. القومية والصراعات الطبقية". لندن: مطبعة زد.
- Arpee, L. 1909. "The Armenian Awakening, 1820- 1860". Chicago: University of Chicago Press.
- أربي، ل. ١٩٠٩. "النهضة الأرمنية، ١٨٢٠-١٨٦٠". شيكاغو مطبعة جامعة شيكاغو.
- Aruri, Nasser, ed 1986. "Occupaton: Israel Over Palestine". Boulder, Colo. Westview press.
- أروري، ناصر. محرر. ١٩٨٦. "الاحتلال. إسرائيل فوق فلسطين". بولدر. كولورادور مطبعة ويست قيو.
- Asad, Talal, and Roger Owen, eds. 1983. "The Middle East". New York: Monthly Review Press.
- أسد، طلال، وروجر أوين، محرران. ١٩٨٣. "الشرق الأوسط". نيويورك. مطبعة مونثلي ريفيو.
- Attalides, Michael A. 1979. "Cyprus: Nationalism and International Politics". New York: St. Martin's Press.
- أتاليدس، ميشيل أ. ١٩٧٩. "قبرص القومية والسياسات الدولية". نيويورك مطبعة القديس مارتين.

- Azim, Ahmad N. 1989. "Egypt: The Origins and Development of a Neo- Colonial State". In "Power and Stability in Middle East", edited by Berch Berberoglu. London: Zed Books.
- عظيم، أحمد ن. ١٩٨٩. «مصر: أصول دولة نيوكولونيالية وتطورها» فى «القوة والاستقرار فى الشرق الأوسط». تحرير بيرش بيربروجلو. لندن: كتب زد.
- Bassam, Tibi. 1988. "The Crisis of Modern Islam: A preindustrial Culture in the Scientific Technological Age". Translated by Judith Von Sivers. Salt lake city: university of Utah press
- بسام، طيبى. ١٩٨٨. "أزمة الإسلام الحديث: ثقافة ما قبل الصناعة فى العصر العلمى التكني". ترجمة جوديث فون سيفرس. سولت ليك سيتى. مطبعة جامعة أوتاها.
- Batatu, Hanna. 1978. "The Old Social Classes and the Revolutionary Move- ments in Iraq". Princeton: Princeton University Press.
- باتاتو، هانا. ١٩٧٨. "الطبقات الاجتماعية القديمة والحركات الثورية فى العراق" برينسيتون. مطبعة جامعة برينسيتون.
- Bayat, Asef. 1996. "The Coming of a Post- Islamist Society". Critique, no. 9 (Fall).
- بيات، عاصف. ١٩٩٦. "مجى مجتمع ما بعد- إسلامى". كريتيك رقم ٩ (الخريف).
- Beattie, Kirk J. 1994. "Egypt During the Nasser Years". Boulder, Colo.: Westview Press.
- بيتى، كيرك ج. ١٩٩٤. "مصر خلال سنوات ناصر". بولدر، كولورادو. مطبعة ويست فيو.
- Beinin, Joel. 1982. "Egypt's Transition Under Nasser." MERIP Reports 107 (July/ August).
- بينين، جويل. ١٩٨٢. "تحول مصر فى ظل ناصر". تقارير ميريب ١٠٧ (يوليو/ أغسطس).
- Bendt, Ingela, and James Downing. 1982. "We Shall Return: Women of Palestine". London: Zed Press.
- بندت، أنجيلا، وجيمس دونينج. ١٩٨٢. "سوف نعود: نساء فلسطين". لندن: كتب زد.
- Berberoglu, Berch. 1982. "Turkey in Crisis: From State Capitalism to Neo- Colonialism". London: Zed Books.
- 1987. "The Internationalization of Capital: Imperialism and Capitalist Development on a World Scale". New York: Praeger.
- 1992. "The political Economy of Development: Development Theory and the Prospects for Change in the The Third World". Albany: State University of New York Press.

- ed. 1989. "Power and Stability in Middle East". London: Zed Books.
- ed. 1995. "The National Question: Nationalism, Ethnic Conflict and Self-Determination in the Twentieth Century". Philadelphia, Pa. Temple University Press.
- بيربيووجلو، بيرش. ١٩٨٢. "تركيا في الأزمة: من رأسمالية الدولة إلى النيوكولونيالية" لندن: كتب زد.
 - ١٩٨٧ "تأميم رأس المال. الإمبريالية والتطور الرأسمالي على نطاق عالمي". نيويورك بريجر.
 - ١٩٩٢ "الاقتصاد السياسي للتنمية. نظرية التنمية وطموحات التغيير في العالم الثالث" الباني: مطبعة جامعة الدولة بنيويورك.
 - تحرير، ١٩٨٩. "القوة والاستقرار في الشرق الأوسط". لندن: كتب زد.
 - تحرير ١٩٩٥ "المسألة القومية: القومية، النزاع الاثنى وتقرير المصير في القرن العشرين". فيلادلفيا: مطبعة جامعة تمبل.
 - Berkes, Niyazi. 1964. "The Development of Secularism in Turkey". Montreal: McGill University press.
 - بركيس، نيازى. ١٩٦٤. "تطور العلمانية في تركيا". مونتريال: مطبعة جامعة مك جيل.
 - Besikci, Ismail. 1988. "Kurdistan: An Interstate Colony". Sydney: Australian Kurdish Association.
 - 1991. "The State of Terror in the Middle East". Ankara: Yurt Kitap Yayinlari.
 - بيسيكسى، إسماعيل. ١٩٨٨. "كردستان مستعمرة فيما بين الدول". سيدنى: الجمعية الإستراتيجية الكردية.
 - ١٩٩١. "دولة الرعب في الشرق الأوسط". أنقرة: يورت كتاب يابنلارى.
 - Bina, Cyrus, and Hamid Zangeneh, eds. 1992. "Modern Capitalism and Islamic Ideology in Iran". New york: St. Martin's Press.
 - بينا، سيروس. وحامد زنجينه، محرران، ١٩٩٢. "الرأسمالية الحديثة والأيدولوجية الإسلامية في إيران". نيويورك: مطبعة القديس مارتين.
 - Blaisdell, D.C. 1929. "European Financial Control in the Ottoman Empire". New York: Columbia University Press.
 - بلايسديل، د. س. ١٩٢٩. "التحكم المالى الأوروبى فى الأمبراطورية العثمانية". نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا.
 - Bonds, Joy, etal. 1977. "Our Roots Are Still Alive". San Francisco: People's Press.
 - بوندس، جوى، وآخرون. ١٩٧٧. "ماتزال جذور ناحية". سان فرانسيسكو: مطبعة الشعب.
 - Boyarin, Jonathan. 1996. "Palestine and Jewish History. Minneapolis: University of Minnesota Press.
 - بويارين، جوناثان. ١٩٩٦. "فلسطين والتاريخ اليهودى". مينابوليس. مطبعة جامعة مينيسوتا.

- Braude, Benjamin, and Bernard Bernard Lewis, eds. 1982. "Christians and Jews in the Ottoman Empire". New York: Holmes & Meier.
- براود، بنجامين، وبنارد لويس، محرران. ١٩٨٢. "المسيحيون واليهود في الامبراطورية العثمانية". نيويورك هولمز وميير.
- Brenner, Robert. 1991. "Why is the United State at War With Iraq?" New Left Review, no. 185.
- برينر، روبرت. ١٩٩١. "لماذا الولايات المتحدة في حرب مع العراق؟" نيولفت ريفيو، رقم ١٨٥.
- Bresheeth, Haim, and Nira Yuval- Davis, eds. 1991. "The Gulf and New World Order". London: Zed Books.
- بريشيث، حاييم، ونيرا يوفال- دافيس، محرران. ١٩٩١. حرب الخليج والنظام العالمى الجديد. لندن كتب زد.
- Bruinessen, Martin Van. 1992. "Agha, Shaikh, and State: The Social and Political Structures of Kurdistan". London: Zed Books.
- بروينيسن، مارتين فان. ١٩٩٢. الاغيا، الشيخ والدولة. الأبنية الاجتماعية والسياسية لكردستان. لندن كتب زد.
- Cavdar, T. 1970. "Osmanlilarin Yari- Somturge Olusu (The Semicolonization of the Ottomans) Isttomans". Istanbul: Ant Yayinlari.
- كافدار، ت. ١٩٧٠. التحول العثماني إلى شبه الكولونيالية. اسطنبول أنت يايينلارى.
- Chaliand, Gerard. 1972. "The Palestinian Resistance". Baltimore, Md.: Penguin.
- 1980. "People Without a Country: The Kurds and Kurdistan". London: Zed Books.
- 1994. "The Kurdish Tragedy". London: Zed Books.
- شالياند، جيرارد. ١٩٧٢. "المقاومة الفلسطينية". بلتيمور، ميريلاند. بنجوين.
- ١٩٨٠. "شعب بلا بلد، الأكراد وكردستان". لندن كتب زد.
- ١٩٩٤. "مأساة الأكراد". لندن كتب زد.
- Chaliand, Gerard, and Yves Ternon. 1983. "The Armenians: From Genocide to Resistance". London: Zed Books.
- شالياند، جيرارد، ويفيس تيرنون. ١٩٨٣. "الأرمن. من الإبادة العرقية إلى المقاومة". لندن كتب زد.
- Ciment, James. 1996. "The Kurds: State and Minority in Turkey, Iraq and Iran". New York: Facts On File.
- سيمنت، جيمس. ١٩٩٦. "الأكراد: الدولة والأقلية في تركيا، العراق وإيران". نيويورك فاكس أون فايل.

- Clawson, Patrick. 1980. "The Internationalization of Capital and Capital Accumulation in Iran." In "Oil and Class Struggle", edited by Petter Nore and Terisa Turner. London: Zed Press.
- كلاوسون، باتريك. ١٩٨٠. "تأميم رأس المال وتراكم رأس المال في إيران في الزيت والنضال الطبقي". تحرير، بيتر نور وتريزا تيرنر. لندن: كتب زد.
- Cleveland, William L. 1993. "A History of the Modern Middle East". Boulder, Colo.: Westview Press.
- كليفلاند ، ويليام ل. ١٩٩٣. "تاريخ الشرق الأوسط الحديث". بولدر، كولورادو. مطبعة ويست فيو.
- Cobban, Helena. 1984. "The Palestinian Liberation Organization". Cambridge: Cambridge University Press.
- كوبان، هيلينا. ١٩٨٤. "منظمة التحرير الفلسطينية"، كمبريدج مطبعة جامعة كمبريدج.
- Committee Against Repression and for Democratic Rights in Iraq (CARDRI), eds. 1994. "Saddam's Iraq: Revolution or Reaction?". London: Zed Books.
- اللجنة ضد القهر ومن أجل الحقوق الديمقراطية في العراق، محررون. ١٩٩٤. 'عراق صدام. ثورة أم رجعة؟' لندن كتب زد.
- Cooley, John. 1973. "Green March, Black September". London: Frank Cass.
- كولي: جون. ١٩٧٣. "المسيرة الخضراء، أيلول الأسود". لندن: فرانك كاس.
- Cooper, Mark. 1983. "Egyptian State Capitalism in Crisis." In "The Middle East", edited by Talal Asad and Roger Owen. New York: Monthly Review Press.
- كوبر، مارك. ١٩٨٣. "رأسمالية الدولة المصرية في أزمة". في "الشرق الأوسط"، تحرير طلال أسد وروجر أوين. نيويورك: مطبعة مونثلي ريفيو.
- Dadrian, Vahakn N. 1986. "The Naim- Andonian Documents on the World War I Destruction of Ottoman Armenians: The Anatomy of a Genocide". "International Journal of Middle East Studies" 18:311-60.
- 1989. "Genocide as a Problem of National and International Law: The World War I Armenian Case and Its Contemporary Legal Ramifications". The "Yale Journal of International Law" 14, no. 2 (Summer): 221-78.
- 1995. "The History of the Armenian Genocide". Providence, R.I.: Berghahn Books.
- دادريان، فاهاكان ن. ١٩٨٦. "وثائق نعيم أندونيان حول تحطيم الحرب العالمية الأولى للأرمن العثمانيين". "الجريدة الدولية لدراسات الشرق الأوسط". ٨. ٢١١ - ٦٠.
- ١٩٨٩. "الآبادة العرقية كمسألة للقانون الوطني والدولي: القضية الأرمنية للحرب العالمية الأولى وتشعباتها القانونية المعاصرة". "جريدة يال للقانون الدولي" ١٤، رقم ٢ (صيف) ٢٢١ - ٧٨.
- ١٩٩٥. "تاريخ الإبادة العرقية الأرمنية". بروفايدنس، روديلاند. كتب برغاهن.

- Eagleton, William, Jr. 1963. "The Kurdish Republic of 1946". London: Oxford University Press.
- ايجلتون، ويليام، الصغير. ١٩٦٣. "الجمهورية الكردية عام ١٩٤٦". لندن: مطبعة جامعة أوكسفورد.
- Earle, Edward Mead. 1966. "Turkey. the Great Powers, and the Bagdad Railway: A Study in Imperialism". New York: Russell & Russell.
- إيرل، إدوارد ميد. ١٩٦٦. "تركيا، القوى الكبرى، وخط بغداد للسكك الحديدية: دراسة في الإمبريالية". نيويورك: روسل وروسيل.
- Eickelman, Dale. 1989. "The Middle East: An Anthropological Approach". Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall.
- إيكلمان، دال. ١٩٨٩. "الشرق الأوسط مدخل أنثروبولوجي". إنجلوود كليفس، نيوجيرسي: برينتيس-هول.
- Emadi, Hafizullah. 1990. "State, Revolution and Superpowers in Afghanistan". New York: Praeger.
- عمادي، حافظ الله. ١٩٩٠. "الدولة، الثورة، والقوى العظمى في أفغانستان". نيويورك: بريجر.
- Ergil, Dogu. 1975. "From Empire to Dependence: The Evolution of Turkish Underdevelopment." Ph.D. diss., State University of New York at Binghamton.
- أرجيل، دوجو، ١٩٧٥. "من الإمبراطورية إلى التبعية: نشوء التخلف التركي". مبحث دكتوراة في الفلسفة. جامعة النول بنيويورك في بينجهامتون.
- Farhi, Farideh. 1989. "Class Struggles, the State, and Reveoution in Iran." In "Power and Stability in the Middle East", edited by Berch Berberoglu. London: Zed Books.
- فارحي، فريده، ١٩٨٩. "النضالات الطبقيّة، الدولة، والثورة في إيران". في "القوة والاستقرار في الشرق الأوسط"، تحرير بيرش بيربروجلو. لندن: كتب زد.
- Farouk-Sluglett, Marion, and Peter Sluglett. 1987. "Iraq Since 1958: From Revolution to Dictatorship". London: KPI.
- 1991. "The Social Classes and the Origins of the Revolution.: In The Iraqi Revolution of 1958", edited by Robert A. Fernea and Wm. Roger Louis. New York: I. B. Tauris.
- فاروق سلوجليت، ماريون، وبيتر سلوجليت- ١٩٨٧. "العراق منذ ١٩٥٨. من الثورة إلى الديكتاتورية" لندن: كي. بي. أي.
- ١٩٩١ "الطبقات الاجتماعية وأصول الثورة" في "الثورة العراقية عام ١٩٥٨"، تحرير روبرت أ. فيرنيا ووم. روجرلويس. نيويورك. أي. بي. تاوريس.

- Farsoun, Samih. 1982. "Israel's Goal of Destroying the PLO is Not Achievable." "Journal of Palestine Studies" 11, no. 4.
- فارسون، سميح. ١٩٨٢. "هدف إسرائيل تحطيم منظمة التحرير الفلسطينية غير قابل للتحقق." "جريدة دراسات فلسطينية" ١١، رقم ٤.
- Farsoun, Samih, and Christina Zacharia. 1997. "Palestine and the Palestinians". Boulder, Colo.: Westview Press.
- فارسون، سميح، وكريستينا زاكاريّا. ١٩٩٧. "فلسطين والفلسطينيون". بولدر، كولورادور: مطبعة ويست فيو.
- Farsoun, Samih, and Jean M. Landis. 1990. "The Sociology of an Uprising: The Roots of the Intifada." In "Intifada: Palestine at the Crossroads", edited by Jamal R. Nassar and Roger Heacock. New York: Praeger.
- فارسون، سميح، وجين م. لانديس. ١٩٩٠. "سيكولوجية هبة: جذور الانتفاضة في الانتفاضة فلسطين مفترق الطرق." تحرير جمال ر. ناصر وروجر هيوك. نيويورك: بريجر.
- Finch, E. A. 1957. "Social Effects of the Oil Industry in Iraq." "International Labour Review", March.
- فينش، أ.إ. ١٩٥٧. "التأثيرات الاجتماعية لصناعة الزيت بالعراق" "انترناشيونال لابور ريفيو"، مارس.
- Finkelstein, Norman G. 1996. "The Rise and Fall of Palestine: A Personal Account of the Intifada Years". Minneapolis: University of Minnesota Press.
- فينكلستين، نورمان ج. ١٩٩٦. "صعود وسقوط فلسطين - حساب شخصي لسنوات الانتفاضة". مينابوليس: مطبعة جامعة مينيسوتا.
- Foran, John, ed. 1994. "A Century of Revolution: Social Movements in Iran". Minneapolis: University of Minnesota Press.
- فوران، جون، محرر. ١٩٩٤. "قرن من الثورة، الحركات الاجتماعية في إيران" مينيا بوليس: مطبعة جامعة مينيسوتا.
- Frangi, Abdallah. 1983. The PLO and Palestine. London: Zed Books.
- فرانجي، عبدالله. ١٩٨٣: "منظمة التحرير الفلسطينية وفلسطين". لندن: كتب زد.
- Genet, Jean. 1983. "Four Hours in Shatila". "Journal of Palestine Studies" 12, no. 2.
- جنيت، جين. ١٩٨٣. "أربع ساعات في شاتيلا". "جريدة الدراسات الفلسطينية" ١٢، رقم ٢.
- Gerges, Fawaz. 1994. "The Superpowers and the Middle East". Boulder, Colo.: Westview Press.
- جرجس، فواز. ١٩٩٤. "القوى العظمى والشرق الأوسط" بولدر، كولورادور. مطبعة ويست فيو.

- Ghareeb, Edmund. 1981. "The Kurdish Question in Iraq". Ayrcuse, N.Y.: Syracuse University Press.
- غريب، ادموند. ١٩٨١. "المسألة الكردية في العراق". سيراكوس، نيويورك: مطبعة جامعة سيراكوس.
- Ghassemlou, Abdul Rahman. 1965. "Kurdistan and the Kurds". London: Collets Holdings.
- غاسيملو، عبد الرحمن. ١٩٦٥. "كردستان والأكراد". لندن: كوليتس هولدينجس.
- Goldberg, Ellis Jay. 1996. "The Social History of Labor in the Middle East". Boulder, Colo.: Westview Press.
- جولدبرج، إليس جاي. ١٩٩٦. "التاريخ الاجتماعي للعمل في الشرق الأوسط". بولدر، كولورادو. مطبعة ويست فيو.
- Greer, Edward. 1991. "The Hidden History of the Iraq War." Monthly Review 43, no. 1.
- جريير، ادوارد. ١٩٩١. "التاريخ الخفي للحرب العراقية". "مونثلي ريفيو" ٤٣، رقم ١.
- Gresh, Alain. 1985. "The PLO: The Struggle Within". London: Zed Books.
- جريش، ألين. ١٩٨٥. "منظمة التحرير الفلسطينية: النضال من الداخل". لندن: كتب زد.
- Gresh, Alain, and Dominique Vidal, ed. 1990. "An A to Z of the Middle East". London: Zed Books.
- جريش، ألين، ودومينيك فيدال، محرران. ١٩٩٠. "الف باء الشرق الأوسط". لندن: كتب زد.
- Gunter, Michael M. 1991. "The Kurks in Turkey: A Political Dilemma". Westport, Conn.: Greenwood Press.
- جونتير، ميشيل م. ١٩٩١. "الأكراد في تركيا. معضلة سياسية". وست بورت. كونكتيكت: مطبعة جرينوود.
- Halliday, Fred. 1975. "Arabia Without Sultans". New York: Vintage.
- 1996. "Islam and the Myth of Confrontation: Religion and Politics in the Middle East". London: I. B. Tauris.
- هاليداي، فريد. ١٩٧٥. "العربية بلا سلاطين". نيويورك: فينتاج.
- ١٩٩٦. "الإسلام وأسطورة المواجهة، الدين والسياسة في الشرق الأوسط". لندن: أي بي. تاوريس.
- Halliday, Fred, and Hamza Alavi, eds. 1988. "The State and Ideology in the Middle East and Pakistan". New York: Monthly Review Press.
- هاليداي، فريد، وحمزه علافي، محرران. ١٩٨٨. "الدولة والأيديولوجية في الشرق الأوسط وباكستان". نيويورك: مطبعة مونثلي ريفيو.
- Hazelton, Fran, ed. 1994. "Iraq Since the Gulf War". London: Zed Books.
- هازلتون، فران، محرر. ١٩٩٤. "العراق منذ حرب الخليج". لندن: كتب زد.

- Headley, Bernard D. 1991. "The 'New World Order' and the Persian Gulf War." "Humanity & Society" 15, no. 3.
- هيدلى، برنارد د. ١٩٩١. "النظام العالمى الجديد وحرب الخليج الفارسى" "الإنسانية والمجتمع" ١٥، رقم ٣.
- Hiro, Dilip. 1996. "A Dictionary of the Middle East". New York: St. Martin's Press.
- هيرو، ديليب. ١٩٩٦. "قاموس الشرق الأوسط". نيويورك: مطبعة القديس مارتين.
- Hitchens, Christopher. 1984. "Cyprus". New York: Quartet Books.
- هيتشينس، كريستوفر. ١٩٨٤. "قبرص". نيويورك: كتب كوارتيت.
- Hopwood, Derek. 1988. "Syria, 1945-1986: Politics and Society". London: Unwin Hyman.
- هوبوود، ديريك. ١٩٨٨. "سوريا، ١٩٤٥-١٩٨٦. السياسة والمجتمع". لندن: أونوين هايمان.
- Hourani, A. H. 1946. "Syria and Lebanon: A Political Essay". London: RIIA.
- حورانى، أ. هـ. ١٩٤٦. "سوريا ولبنان: نبذة سياسية". لندن: آر آى آى إيه.
- Hovannisian, Richard G. 1978. "The Armenian Holocaust". Cambridge, Mass.: Armenian Heritage Press.
- 1987. "The Armenian Genocide in Perspective". New Brunswick, N.J.: Transaction Books.
- هوفانيسيان، ريتشارد ج. ١٩٧٨. "الهولوكوست الأرمنى". كامبريدج. ماس: مطبعة التراث الأرمنى.
- ١٩٨٧ أهمية الإبادة العرقية الأرمنية. "نيوبرونسويك، نيوجيرسى: كتب ترانس أكشن.
- Hunter, F. Robert. 1991. "The Plestinian Uprising: A War By Other Means". Berkeley: University of California Press.
- هنتر، ف. روبرت. ١٩٩١. "الانتفاضة الفلسطينية: حرب بوسائل أخرى". بيركلى: مطبعة جامعة كاليفورنيا.
- Hurewitz, J.C. 1968. "The Struggle for Palestine". New York: Greenwood Press.
- هيور ويتز، ج.ك. ١٩٦٨. "النضال من أجل فلسطين". نيويورك: مطبعة جرينوود.
- Hussain, Mahmoud. 1973. "Class Conflict in Egypt, 1945-1970". New York: Monthly Review Press.
- حسين، محمود. ١٩٧٣. "النزاعات الطبقية فى مصر، ١٩٤٥ - ١٩٧٠". نيويورك: مطبعة مونثلى ريفيو.
- Ibrahim, Ferhad. 1995. "The Kurdish National Movement and the Struggle for National Autonomy." In "The National Question: Nationalism, Ethnic Conflict, and Self Determination in the Twentieth Century", edited by Berch Berberoglu. Philadelphia, Pa.: Temple University Press.
- إبراهيم، فرهاد. ١٩٩٥. "الحركة القومية الكردية والنضال من أجل الحكم الذاتى القومى" فى المسألة القومية: القومية، الصراع الاثنى وتقرير المصير فى القرن العشرين، تحرير بيرش بيربروجلو. فيلادلفيا، بنسلفانيا. مطبعة جامعة تمبل.

- Islamoglu-Inan, Huri, ed. 1987. "The Ottoman Empire and the World Economy". Cambridge: Cambridge University Press.
- اسلاموجلو- إينان، هوري، محرر. ١٩٨٧. "الإمبراطورية العثمانية والاقتصاد العالمي". كمبريدج: مطبعة جامعة كمبريدج.
- Issawi, Charles. 1980. "The Economic History of Turkey, 1800-1914". Chicago: Univesity of Chicago Press.
- 1982. "The Economic History of the Middle East and North Africa". New York: Columbia University Press.
- عيسوي، شارلز. ١٩٨٠. "التاريخ الاقتصادي لتركيا، ١٨٠٠ - ١٩١٤". شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو.
- ١٩٨٢. "التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا". نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا.
- Jansen, Michael. 1982. "The Battle of Beirut: Why Israel Invaded Lebanon". London: Zed Press.
- 1987. "Dissonance in Zion". London: Zed Books.
- جانسن، ميشيل. ١٩٨٢. "معركة بيروت: لماذا غزت إسرائيل لبنان". لندن: مطبعة زد.
- ١٩٨٧. "تنافر في صهيون". لندن: كتب زد.
- Kadri, Ali. 1996. "Social Transformation in the West Bank." Critique, no. 8 (Spring).
- قدرى، على. ١٩٩٦. "التحول الاجتماعي في الضفة الغربية". كريتيك، رقم ٨ (الربيع).
- Kapeliouk, A. 1984. "Sabra and Shatila: Inquiry into a Massacre". Belmont, Mass.: AAUG.
- كابيلوك، أ. ١٩٨٤. "صابرا وشاتيلا: تحقيق في المذبحة". بلمونت، ماساشوسيتس: إيه إيه يو جي.
- Karpat, Kemal H. 1978. "Ottoman Population Records and the Census of 1881/82-1893". "International Jounal of Middle East Studies" 9:237-74.
- 1985. "Ottoman Population, 1830-1914: Demographic and Social Characteristics". Madison: University of Wisconsin Press.
- كاربات، كمال هـ. ١٩٧٨. "سجلات السكان العثمانيين وتعداد ١٨٨١ / ٨٢-١٩٨٣". "الجريدة الدولية لدراسات الشرق الأوسط". ٩: ٢٣٧-٧٤.
- ١٩٨٨. "السكان العثمانيون، ١٨٣٠ - ١٩١٤: الخواص الديموقراطية والاجتماعية". ماديسون: مطبعة جامعة ويسكونسين.
- Kasaba, Resat. 1988. "The Ottoman Empire and the World Economy". Albany: State University of New York Press.
- كاسابا، ريسات. ١٩٨٨. "الإمبراطورية العثمانية والاقتصاد العالمي". ألباني: مطبعة جامعة الدولة بنيويورك.

- Kashi, Ed. 1994. "When the Borders Bleed: The Struggle of the Kurds". New York: Pantheon Books.
- كاشي، محرر. ١٩٩٤. "عندما نزفت الحدود: نضال الأكراد". نيويورك: كتب بانثيون.
- Kedourie, Elie. 1988. "Great Britain, the Other Powers, and the Middle East Before and After World War I." In "The Great Powers in the Middle East, 1919- 1939", edited by Uriel Dann. New York: Holmes & Maier.
- كيدوري، إيلي. ١٩٨٨. "بريطانيا العظمى، والقوى الأخرى، والشرق الأوسط، قبل وبعد الحرب العالمية الأولى". في "القوى العظمى في الشرق الأوسط، ١٩١٩-١٩٢٩"، تحرير يوريل دان. نيويورك: هولمز ومايير.
- Keyder, Caglar. 1981. "The Definition of Peripheral Economy: Turkey, 1923- 1929". Cambridge: Cambridge University Press.
- كيدر، كاجلار. ١٩٨١. "تعريف اقتصاد محيطي: تركيا، ١٩٢٣-١٩٢٩". كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج.
- 1987. "State and Class in Turkey: A study in Capitalist Development". London: Verso.
- ١٩٨٧. "الدولة والطبقة في تركيا: دراسة في التطور الرأسمالي". لندن: فيرسو.
- Khadduri, Majid. 1969. "Republican Iraq". London: Oxford University Press.
- خادوري، ماجد. ١٩٦٩. "العراق، الجمهورية". لندن: مطبعة جامعة أوكسفورد.
- Khalidi, Rashid, et al., eds. 1991. "The Origins of Arab Nationalism". New York: Columbia University Press.
- خاليدي، راشد، وآخرون، محررون. "أصول القومية العربية". نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا.
- Khoury, Nabil F., and Valentine M. Moghadam, eds. 1995. "Gender and Development in the Arab World". Zed Books.
- خوري، نبيل ف.، فالتين م. موغادام، محرران. ١٩٩٥. "نوع الجنس والتطور في العالم العربي". كتب زد.
- Khoury, Philip S. 1987. "Syria and the French Mandate: The Politics of Arab Nationalism, 1920- 1945". Princeton: Princeton University Press.
- خوري، فيليب س. ١٩٨٧. "سوريا والاحتداب الفرنسي. سياسات القومية العربية، ١٩٢٠-١٩٤٥". برينسيتون: مطبعة جامعة برينسيتون.
- Kimmerling, Baruch, and Joel S. Migdal. 1993. "Palestinians: the making of A People". New York York: the Free Press.
- كيمرلينج، باروك، وجويل س. ميجدال. ١٩٩٣. "الفلسطينيون: صناعة شعب". نيويورك: المطبعة الحرة.
- Knowlton, Christoph, and Carla Rapoport. 1991. "Germany and Japan: Missing in Action." Fortune, 11 March.
- نولتون، كريستوفر، وكراالا رابوبورت. ١٩٩١. "ألمانيا واليابان: غائبان عن الفعل". فورتشن، ١١ مارس.

- Kreyenbroek, Philip G., and Stefan Sperl, eds. 1992. "The Kurds: A Contemporary overview". London: Routledge.
- كريينبروك، فيليب ج.، وستيفان سبيرل، محرران. ١٩٩٢. "الأكراد: موجز معاصر"، لندن: روتليدج.
- Krikorian, Mesrob K. 1997. "Armenians in the Service of the Ottoman Empire, 1860- 1908". London: Routledge R & Kegan Paul.
- كريكوريان، ميسروب ك. ١٩٧٧. "الأرمن في خدمة الأمبراطورية العثمانية، ١٩٦٠ - ١٩٠٨". لندن: روتليدج وكيجان بول.
- Kuper, Leo. 1982. "Genocide: Its Political use in the Twentieth Century". New Haven: Yale Univesity Press.
- كوبر، ليو. ١٩٨٢. "الإبادة العرقية: استخدامها السياسي في القرن العشرين". مطبعة جامعة يال.
- Langer, William L. 1935. "The Diplomacy of Impererialism, 1890- 1902". Vol. 1. New York: Alfred A. Knopf.
- لانجر، ويليام ل. ١٩٣٥. "دبلوماسية الإمبريالية، ١٨٩٠ - ١٩٠٢". الجزء الأول. نيويورك: ألفريد أ. نوف.
- Langley, Kathleen. 1961. "The Industrialization of Iraq". Cambridge: Harvard University Press.
- لانجلي، كاثلين. ١٩٦١. "تصنيع العراق". كمبريدج. مطبعة جامعة هارفارد.
- Lawson, Fred H. 1989. "Class politics and state power in Ba'Hi Syria". in "Power and stability in the Middle East", edited by Berch BerBeroglu. London: Zed Book.
- لاوسون، فريد ه. ١٩٨٩. "السياسة الطبقية وسلطة الدولة في سوريا البعثية". في "القوة والاستقرار في الشرق الأوسط"، تحرير بيرش بيربروجلو. لندن: كتب زد.
- Lazarev, M.S. 1980. "Kurdistan and Kurdskaia Problem". Repainted in "Economic History of Turkey", by Charles Issawi. Chicago: University of Chicago Press. Original edition, Moscow: Nauka, 1964.
- لازاريف، م.س. ١٩٨٠. "كردستان والمشكلة الكردية". أعيد طبعها في "التاريخ الاقتصادي لتركيا"، بواسطة شارلز عيسوي. شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو. الطبعة الأصلية، موسكو، ناوكا، ١٩٦٤.
- Lesch, David W. 1996. "The Middle East and the United States: A Historical and Political Reassessment". Boulder, Colo: Westview Press.
- ليسك، دافيد و. ١٩٩٦. "الشرق الأوسط والولايات المتحدة: إعادة تقييم تاريخي وسياسي". بولدر: كولورادو: مطبعة ديست فيو.
- Lewis, Bernard. 1969. "The Emergence of Modern Turkey". 2d ed. New York: Oxford University Press.
- 1994. "The Shaping of the Modern Middle East". New York: Oxford University Press.

- 1995. "The Middle East: A Brief History of the Last Two Thousand Years". New York: Scribner.
- لويس، برنارد. ١٩٦٩. "بزوغ تركيا الحديثة". الطبعة الثانية نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد.
- ١٩٩٤. "تشكيل الشرق الأوسط الحديث". نيويورك: مطبعة جامعة أوكسفورد.
- ١٩٩٥. "الشرق الأوسط. تاريخ موجز للألفية سنة الأخيرة". نيويورك: سكريبز.
- Lockman, Zachary, and Joel Beinin. 1989. "Intifada: The Palestinian Uprising Against Israeli Occupation". Boston: South End Press.
- لوكمان، زاكاري، وجويل بينين. "الانتفاضة. الهبة الفلسطينية ضد الاحتلال الاسرائيلي". بوسطن: مطبعة سوٲ إند.
- Longuenesse, Elizabeth. 1979. "The Class Nature of the State in Syria". (MERIP) Reports 9, no. 4 (May).
- لونجينيس، اليزابيٲ. ١٩٧٩. "الطبيعة الطبقية للدولة فى سوريا". تقارير ميريب ٢٩، رقم ٤ (مايو).
- Louis, William Roger. 1988. "The British Empire the Middle East: 1945- 1951". Oxford: Clarendon Press.
- لويس، وليام روجر. ١٩٨٨. "الإمبراطورية البريطانية فى الشرق الأوسط: ١٩٤٥ - ١٩٥١". أوكسفورد: مطبعة كلاريندون.
- Mansfield, Peter. 1965. "Nasser's Egypt". Baltimore, Md.: Penguin.
- مانسفيلد، بيٲر. ١٩٦٥. "ناصر مصر". بلٲيمور، مريلانڊ: بنجوين.
- Mansour, Fawzy. 1992. "The Arab Wold". London: Zed Books.
- منصور، فوزى. ١٩٦٢. "العالم العربى". لڊن: كٲب زد.
- Masalha, Nur. 1992. "Expulsion of the Palestinians". Washington, D.C.: Instiute for Palestine Studies.
- مصالحة، نور. ١٩٩٢. "طرد الفلسطينيين". واشنطن، دى. سى. معهد الدراسات الفلسطينية.
- Mayer, Tom. 1991. "Imperialism and the Gulf War". Monthly Review 42, no. 11.
- ماير، توم. ١٩٩١. "الإمبريالية وحرب الخليج". مونٲلى ريفيو ٤٢، رقم ١١.
- McBride, Sean. 1988. "Israel in Lebanon". London: Ithaca Press.
- مكبرايد، سين. ١٩٨٨. "إسرائيل فى لبنان". لڊن: مطبعة ايٲاكا.
- McCarthy, Justin. 1983. "Muslims and Minorities: The Population of Ottoman Anatolia and the End of the Empire". New York: New York University Press.
- مكارٲى، جوستين. ١٩٨٢. "المسلمون والأقليات: تعداد الأناضول العثمانية ونهاية الأمبراطورية". نيويورك: مطبعة جامعة نيويورك.

- McDowall, David. 1989. "Palestine and Israel: The Uprising and Beyond". Berkeley: University of California Press.
- 1992. "The Kurds: A Nation Denied". London: Minority Rights Group.
- 1995. "The Palestinians: The Road to Nationhood". London: Minority Rights Group.
- 1996. "A Modern History of the Kurds". London: I.B. Tauris.
- مك دوال، دافيد. ١٩٨٩. "فلسطين وإسرائيل: الانتفاضة وما بعدها". بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا.
- ١٩٩٢. "الأكراد أمة غير معترف بها". لندن: مجموعة حقوق الأقليات.
- ١٩٩٥. "الفلسطينيون: الطريق إلى الأمة". لندن: مجموعة حقوق الأقليات.
- ١٩٩٦. "تاريخ حديث للأكراد". لندن: إى بى. تاوريس.
- Melson, Robert. 1982. "A theoretical Inquiry into the Armenian Massacres of 1894". "Comparative Studies in Society and History", 24, no.3 (July): 481- 509.
- ميلسون، روبرت. ١٩٨٢. "استقصاء نظري في المذابح الأرمنية من ١٨٩٤ إلى ١٨٩٦". "دراسات مقارنة في المجتمع والتاريخ" ٢٤، رقم ٣ (يوليو): ٤٨١: ٥٠٩.
- Moaddel, Mansoor. 1993. "Class, Politics and Ideology in the Iranian Revolution". New York: Columbia University Press.
- مواديل، منصور. ١٩٩٣. "الطبقة، السياسة والأيدولوجية في الثورة الإيرانية". نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا.
- Moghadam, Valentine M. 1994. "Gender and National Identity: Women and politics in Muslim Societies". London: Zed Books.
- موغادام فالنتين م. ١٩٩٤. "نوع الجنس والهوية القومية: المرأة والسياسة في المجتمعات الإسلامية". لندن: كتب زد.
- Murphy, Emma C. 1996. "The Arab- Israeli Peace Process". Critique, no. 9 (Fall).
- مورفى، إيما ك. ١٩٩٦. "عملية السلام العربية- الإسرائيلية". كريتيك، رقم ٩ (الخريف).
- Nahla, Zu'bbi. 1986. "The Development of Capitalism in Palestine". Journal of Palestine Studies 13.
- نهلا، زوىي. ١٩٨٦. "تطور الرأسمالية في فلسطين". "جريدة الدراسات الفلسطينية" ١٣.
- Nalbandian, Louise. 1967. "The Armenian Revolutionary Movement". Berkeley: University of California Press.
- نالبانديان، لويس. ١٩٦٧. "الحركة الثورية الأرمنية". بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا.

- Nassibian, Akaby. 1984. "Britain and the Armenian Question, 1915 - 1923". New York: St. Martin's Press.
- ناصيبيان، أكابي، ١٩٨٤. "بريطانيا والمسألة الأرمنية، ١٩١٥ - ١٩٢٣". نيويورك: مطبعة القديس مارتين.
- Niblock, Tim. 1982. "Introduction to Iraq: The Contemporary State", edited by Tim Niblock. New York: St. Martin's press.
- نيبلك، تيم، ١٩٨٢. "مقدمة لـ العراق: الدولة المعاصرة"، تحرير تيم نيبلك. نيويورك: مطبعة القديس مارتين.
- Odeh, B.J. 1985. "Lebanon: Dynamice of Conflict". London: Zed Press.
- عودة، ب.ج. ١٩٨٥. "لبنان: ديناميكات النزاع". لندن: كتب زد.
- Olson, Robert, ed. 1996. "The Kurdish Nationalist Movement in the 1990s". Lexington: The university press of Kentucky.
- أولسون، روبرت، محرر. ١٩٩٦. "الحركة القومية الكردية في التسعينيات من القرن العشرين". ليكسينجتون: مطبعة جامعة كنتوكي.
- Owen, Roger. 1992. "State, Power and Politics in the Making of the Modern Middle East". London: Routledge.
- أوين، روجر. ١٩٩٢. "الدولة، القوة والسياسة في صنع الشرق الأوسط الحديث". لندن: روتليدج.
- Paul, Jim. 1982. "Foreign Investment in Egypt." MERIP Reports 107 (July/ August).
- باول، جيم. ١٩٨٢. "الاستثمار الأجنبي في مصر". تقارير ميريب ١٠٧ (يوليو/ أغسطس).
- Peretz, Don. 1990. "Intifada: The Palestinian Uprising. Boulder", Colo.: Westview Press.
- بيرتز، دون. ١٩٩٠. "الانتفاضة الهبة الفلسطينية". بولدر، كولورادو. مطبعة ويست فيو.
- Permanent Peoples' Tribunal. 1985. "A Crime of Silence: The Armenian Genocide". London: Zed Books.
- محكمة الشعب الدائمة. ١٩٨٥. "جريمة صمت: الإبادة العرقية الأرمنية". لندن: كتب زد.
- Perry, Glenn E., ed. 1986. "Palestine : Continuing Disposseion". Belmont, Mass.: Association of Arab- American University Graduates.
- بيرى، جلين أ. محرر. ١٩٨٦. "فلسطين: اغتصاب متواصل". بلمونت ماساشوتس: الجمعية العربية-الأمريكية لخريجي الجامعة.
- Peteet, Julie M. 1991. "Gender in Crisis: Women and the Palestinian Resistance Movrment". New York: Columbia University press.
- بيتيت، جولي. ١٩٩١. "نوع الجنس في أزمة: المرأة وحركة المقاومة الفلسطينية". نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا.

- Petran, Tabitha. 1972. "Syria". New York: Preeger.
- 1987. "The Struggle Over Lebanon". New York: Monthly Review Press.
- بيتران، تابيثا. ١٩٧٢. "سوريا". نيويورك: بريجر.
- ١٩٨٧. "الصراع فوق لبنان". نيويورك: مطبعة مونثلي ريفيو.
- Qubain, Fahim. 1958. "The Reconstruction of Iraq, 1950- 57". New York: Praeger.
- كويباين، فهميم. ١٩٥٨. "إعادة بناء العراق، ١٩٥٠-١٩٥٧". نيويورك: بريجر.
- Rahnema, Saeed, and Sohrab Behded, des. 1996. "Iran After the Rrvolution: Crisis of an Islamic State". London: I.B. Tauris.
- راهنيماء، سيد، وسوهراب بهداد، محرران. ١٩٩٦. "إيران بعد الثورة. أزمة دولة إسلامية". لندن: آي. بي. تاوريس.
- Ramazanoglu, Hüseyin, ed. 1985. "Turkey in the World Capitalist System". Aldershot, U.K.: Gower.
- رامازانوجلو، حسين، محرر. ١٩٨٥. "تركيا في النظام الرأسمالي العالمي". الدرشوت، المملكة المتحدة: جوير.
- Ramsaur, E.E. 1965. "The Young Turks: Prelude to the Revolution of 1908". Beirut: Khayat.
- رامساور، أ.إ. ١٩٦٥. "تركيا الفتاة: مقدمة لثورة ١٩٠٨". بيروت: خياط.
- Reilly, James 1982. "Israel in Lebanon, 1975 _82". MERIP Report 12, nos 6-7 (September - October)
- ريلي: جيمس. ١٩٨٢. "إسرائيل في لبنان، ١٩٧٥ - ٨٢". تقارير ميريب ١٢، رقما ٦-٧ (سبتمبر-أكتوبر).
- Rigby, Andrew. 1991. "Living the Intifada". London: Zed Books.
- ريجبي، أندرو. ١٩٩١. "أن يحيا المرء الانتفاضة". لندن: كتب زد.
- Rodinson, Maxime. 1987. "Europe and the Mystique of Islam". Seattle: University of Washington Press.
- رودينسون، مكسيم. ١٩٨٧. "أوروبا وصوفية الإسلام". سيائل: مطبعة جامعة واشنطن.
- Saba, Paul. 1989. "The Armenian National Question". In "Power and Stability in the Middle East", edited by Berch Berberoglu. London: Zed Book.
- سابا، بول. ١٩٨٩. "المسألة القومية الأرمنية". في "القوة والاستقرار في الشرق الأوسط". تحرير بيرش بيربروجلو. لندن: كتب زد.
- Said Edward W. 1994. "The Politics of Dispossession: The Struggle for Palestinian Self-Determination, 1969-1994". New York: Pantheon.
- سعيد، إدوارد. ١٩٩٤. "سياسات الاغتصاب: النضال من أجل تقرير المصير الفلسطيني ١٩٦٩-١٩٩٤". نيويورك: بانثيون.

- Sarc, O. C 1966. "Ottoman INdustrial Policy 1840 - 1914". In "The Economic History of the Middle East, 1800 -1914", edited by Charles Issawi. Chicago: University of Chicago Press.
- سارك، أ. س. ١٩٦٦. "السياسة الصناعية العثمانية، ١٨٤٠ - ١٩١٤". في "التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط، ١٨٠٠ - ١٩١٤"، تحرير شارلز عيسوي - شيكاغو. مطبعة جامعة شيكاغو.
- Sayigh, Rosmary. 1979. "Palestinians: From Peasants to Revolutionaries". London: Zed Press.
- 1994. "Too Many Enemies. The Palestinian Experience in Lebanon". London: Zed Books.
- صايغ، روزماري. ١٩٧٩. "الفلسطينيون: من فلاحين إلى ثوار". لندن. مطبعة زد.
- ١٩٩٤. "أعداء كثيرون للغاية. التجربة الفلسطينية في لبنان". لندن. مطبعة زد.
- Schiff, Ze'ev, and Ehud Ya'ari. 1990. "Intifada: The Palestinian Uprising- Israel's Third Front". New York: Simon and Schuster.
- شيف، زئيف، واهود يائري. ١٩٩٠. "الانتفاضة: الهبة الفلسطينية - جبهة إسرائيل الثالثة". نيويورك. سيمون وشوستر.
- Shoukri, Ghali. 1981. "Egypt: Portrait of a President". London: Zed Prees.
- شكري، غالي. ١٩٨١. "مصر: صورة رئيس". لندن: مطبعة زد.
- Sid- Ahmed, Mohamed. 1991. "The Gulf Crisis and the New World Order". "Middle East Report", January- February.
- سيد - أحمد، محمد. ١٩٩١. "أزمة الخليج والنظام العالمي الجديد". تقرير الشرق الأوسط، يناير - فبراير.
- Smith, Pamela Ann. 1989. "Palestine and the Palestinians". In "Power and Stability in the Middle East", edied Berch Berberoglu. Londno: Zed Books.
- سميث، باميلا ان. ١٩٨٩. "فلسطين والفلسطينيون". في القوة والاستقرار في الشرق الأوسط، تحرير بيرش بيربروجلو. لندن. كتب زد.
- Stivers, William. 1982. "Supremacy and Oil: Iraq, Turkey, and the Anglo- American World, 1918- 1930". Ithaca: Cornell University press.
- ستيفرز، ويليام. ١٩٨٢. "السيادة والنفط: العراق، تركيا، والنظام العالمي الأنجلو أمريكي، ١٩١٨ - ١٩٢٠". إيتاكا. مطبعة جامعة كورنل.
- Stork, Joe. 1975. "Middle East Oil and the Energy Crisis". New York: Monthly Review Pres.
- 1981. "Iraq and the War in the Gulf". MERIP Repots 97 (June).
- ستورك، جو. ١٩٧٥. "نفط الشرق الأوسط وأزمة الطاقة". نيويورك: مطبعة مونثلي ريفيو.
- ١٩٨١. "العراق والحرب في الخليج". تقارير ميريت ٩٧ (يونيو).

- Sugihara, Kaoru, and J.A. Allan, eds. 1993. "Japan in the Contemporary Middle East". London: Routledge.
- سوجيهارا، كاورو، و ج. أ. آلان، محرران، ١٩٩٣. "اليابان في الشرق الأوسط المعاصر". لندن: روتليدج.
- Tamari, Salim. 1982. "Factionalism and Class Formation in Recent Palestinian History". In "Studies in the Economic and Social History of Palestine in the Nineteenth and Twentieth Centuries", edited by Roger Owen. London: Macmillan.
- تماري، سالم، ١٩٨٢. "الروح الحزبية والتكوين الطبقي في التاريخ الفلسطيني الحديث". في دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الفلسطيني في القرنين التاسع عشر والعشرين. تحرير روجر أوين. لندن: ماكميلان.
- Tanzer, Michael. 1991. "Oil and the Gulf Crisis". Monthly Review 42, no. 11.
- تانزر، ميشيل، ١٩٩١. "الزيت وأزمة الخليج". مونتلي ريفيو ٤٢، رقم ١١.
- Tapper, Richard, ed. 1983. "The Conflict of Tribe and State in Iran and Afghanistan". London: Croom- Helm.
- تاير، ريتشارد، محرر، ١٩٩٣. "نزاع القبيلة والدولة في إيران وأفغانستان". لندن: كروم - هيلم.
- Taylan, Turgut. 1984. "Capital the State in Contemporary Turkey." khamsin, no. 11.
- تايلان، تورجوت، ١٩٨٤. "رأس المال والدولة في تركيا المعاصرة". خمسين، رقم ١١.
- Tessler, Mark 1994. "A History of the Israeli- Palestinian Conflict". Bloomington: Indiana University press.
- تسلر، مارك، ١٩٩٤. "تاريخ النزاع الإسرائيلي- الفلسطيني". بلومينجتون: مطبعة جامعة انديانا.
- Tripp, Charles, and Roger Owens, eds. 1989. "Egypt Under Mubarak". London: Routledge.
- تريپ، شارلز، وروجر أوينز، محرران، ١٩٨٩. "مصر في ظل مبارك". لندن: روتليدج.
- U.S. Office of Naval Intelligence. 1923. "The United States Navy as an Industrial Asset". Washington, D.C.: ONI.
- مكتب الولايات المتحدة للمخابرات البحرية، ١٩٢٣. "أسطول الولايات المتحدة باعتباره أصلاً صناعياً"، واشنطن، دي. س. أو ان إي.
- Usakligil, Halit Ziya. 1936. "Kirk Yil". 5 Vols. Excerpted in Economic History of Turkey", by Charles Issawi. Chicago: University of Chicago press.
- أوساكليجيل، هاليت زيا، ١٩٣٦. "مقتبسة في التاريخ الاقتصادي لتركيا"، بقلم شارلز عيسوي، شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو.
- Vali, Abbas. 1996. "The Making of Kurdish Identity in Iran". Critique, no. 7 (Fall).
- فالي، عباس، ١٩٩٦. "صنع الهوية الكردية في إيران". كريتيك، رقم ٧ (الخريف).

- Walker, Christopher J. 1980. "Armenia: The Survival of a Nation". New York: St. Martin's Press.
- والكر، كريستوفر ج. ١٩٨٠. "أرمينيا: بقاء أمة حية". نيويورك: مطبعة القديس مارتين.
- Welty, Gordon. 1995. "Palistian Nationalism and the Struggle for National Self-Detrmination". In "National Question: Nationalism, Ethnic Conflict and Self-Determination in the Twentieth Century", edited by Berch Berberoglu. Philadelphia, Pa.: Temple University Press.
- ويلتي، جوردون. ١٩٩٥. "القومية الفلسطينية والنضال من أجل تقرير المصير القومي". في المسألة القومية القومية، النزاع الإثنى وتقرير المصير في القرن العشرين". تحرير بيرش بيربيروجلو. فيلادلفيا، بنسلفانيا مطبعة جامعة تمبل.
- Whiting Richard C. 1983. "The Suez Canal and the British Economy 1918- 1962". In "Imperialism and Nationalism in the Middle East", edited by Keith M. Wilson. London: Mansell.
- هويتينج، ريشاردك. ١٩٨٣. "قناة السويس والاقتصاد البريطاني ١٩١٨ - ١٩٦٠". في "الإمبريالية والقومية في الشرق الأوسط". تحرير كيث م. ويلسون. لندن: مانسيل.
- Wiener, Jon. 1991. "Domestic Political Incentives for the Gulf War." New Left Review, no. 187.
- وينر، جون. ١٩٩١. "بواعث سياسية داخلية لحرب الخليج". نيولفت ريفيو، رقم ١٨٧.
- Workman, W. Thom. 1994. "The social origins of the Iran- Iraq war". Boulder, Colo.: Lynne Rienner.
- وركمان، و. ثوم. ١٩٩٤. "الأصول الاجتماعية لحرب إيران- العراق". بولدر، كلورادو لين رينر.
- Van Dam, Nikolaos. 1979. "The Struggle For Power in Syria". New York: St. Martin's Press.
- فان دام، نيكولاوس - ١٩٧٩. "النضال من أجل السلطة في سوريا". نيويورك: مطبعة القديس مارتين.
- Vanly, Ismet Sheriff. 1971. "Survey of the National Question of Turkish Kurdistan With Historound. Hevra.
- فانلي، عصمت شريف. "مسح المسألة القومية لكردستان التركية مع خلفية تاريخية". زيورخ هيفرا.
- Yergin, Daniel. 2991. "The prize: The Epic Quest for Oil, Money, and power". New York: Simon & Schuster.
- يرجين، دانييل. ١٩٩١. "الجائزة: الحاجة الملحة للزيت، والتقود والقوة". نيويورك: سيمون وشوستر.
- Zaher, U. 1989. "Political Developments in Iraq 1963- 1980." In "Saddam's Iraq: Revolution or Reaction?", edited by Committee Against Repression and for Democratic Rights in Iraq (CARDRI). London: Zed Books.

- زاهر، ي. ١٩٨٩. "التطورات السياسية في العراق ١٩٦٢ - ١٩٨٠". في "عراق صدام ثورة أم رجعة؟" تحرير اللجنة ضد القهر ومن أجل الحقوق الديمقراطية في العراق (ك أردري). لندن كتب زد.

- Zoryan Institute. 1997. "Problems of Genocide". Toronto: Zoryan Institute of Canada.

- معهد زوريان. ١٩٩٧. "مشاكل الإبادة العرقية". تورنتو: معهد زوريان بكندا.

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو س. جودي	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد مقصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١ - مختارات	فيسوفا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إنوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفي
١٦ - أثنية السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوي
١٨ - الشعر النسائي فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمنى طريف الخولى / بدوي عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صعد بهرنجى	ت : ماجدة العناني
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصري
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هويكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداث	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٢٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٢٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٢٨ - نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٢٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم قنحي / محمود ملجد
٤٢ - عالم ماك	بنجامين بارير	ت : أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزدوج	أوكتايفو پاث	ت : المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت : مارلين تانرس
٤٥ - التراث المغفور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد علي
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ - الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ - مسار الرواية الإسبانية أمريكية	داريو بيانوييا وخ. م بينياليستي	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجاتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحي
٥٥ - ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢ - لذّة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العالم الإسلامى فى أولئ القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسى العجوز ت . س . إليوت
- ٧٣ - نقد استجابة القارئ جين . ب . توميكنز
- ٧٤ - صلاح الدين والممالك فى مصر ل . ا . سيمينوفا
- ٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
- ٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى مجموعة من الكتاب
- ٧٧ - تاريخ النقد الألبى الحديث ج ٢ رينيه ويليك
- ٧٨ - العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد روبرتسون
- ٧٩ - شعرية التأليف بوريس أوسبىنسكى
- ٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع» ألكسندر بوشكين
- ٨١ - الجماعات المتخيلة بندكت أندرسن
- ٨٢ - مسرح ميغيل ميغيل دى أونامونو
- ٨٣ - مختارات غوتفريد بن
- ٨٤ - موسوعة الأدب والنقد مجموعة من الكتاب
- ٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية) صلاح زكى أقطاى
- ٨٦ - طول الليل جمال مير صادقى
- ٨٧ - نون والقلم جلال آل أحمد
- ٨٨ - الابتلاء بالتغرب جلال آل أحمد
- ٨٩ - الطريق الثالث أنتونى جينز
- ٩٠ - رسم السيف (قصص) نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
- ٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوستكا
- ٩٢ - أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميجل
- الإسبانيونأمريكى المعاصر مايك فيذرستون وسكوت لاش
- ٩٣ - محدثات العولة صمويل بيكيت
- ٩٤ - الحب الأول والصحة أنطونيو بوينو بايخو
- ٩٥ - مختارات من المسرح الإشباني قصص مختارة
- ٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة فرنان برودل
- ٩٧ - هوية فرنسا (مج ١) نماذج ومقالات
- ٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى ديفيد روينسون
- ٩٩ - تاريخ السينما العالمية بول هيرست وجراهام تومبسون
- ١٠٠ - مساعلة العولة بيرنار فاليط
- ١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج) عبد الكريم الخطيبى
- ١٠٢ - السياسة والتسامح عبد الوهاب المؤدب
- ١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آباء برتولت بريشت
- ١٠٤ - أوبرا ماهوجنى چيرارچينيت
- ١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع د . ماريا خيسوس روبييرامتى
- ١٠٦ - الأدب الأندلسى نخبة
- ١٠٧ - صورة الفنان فى الشعر الأمريكى المعاصر
- ت : فؤاد مجلى
- ت : حسن ناظم وعلى حاكم
- ت : حسن بيومى
- ت : أحمد درويش
- ت . عبد المقصود عبد الكريم
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : أحمد محمود ونورا أمين
- ت . سعيد الغانمى وناصر حلاوى
- ت : مكارم الغمرى
- ت : محمد طارق الشرقاوى
- ت : محمود السيد على
- ت : خالد المعالى
- ت : عبد الحميد شيحة
- ت : عبد الرازق بركات
- ت : أحمد فتحى يوسف شتا
- ت : ماجدة العنانى
- ت : إبراهيم الدسوقي شتا
- ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
- ت : محمد إبراهيم مبروك
- ت : محمد هناء عبد الفتاح
- ت : نادية جمال الدين
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : فوزية العشماوى
- ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
- ت : إيوار الخراط
- ت . بشير السباعى
- ت : أشرف الصباغ
- ت : إبراهيم قنديل
- ت : إبراهيم فتحى
- ت : رشيد بنحو
- ت . عز الدين الكتانى الإدريسى
- ت : محمد بنيس
- ت : عبد الغفار مكاوى
- ت : عبد العزيز شبيب
- ت : أشرف على دعور
- ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكي
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيات حصار كرنجى وسكان المستنق	رول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرأة وحده	فرچينيا وولف	ت : سمىة رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سيتشيا تلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيلز الكسندر وفناتوليننا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	جون جراى	ت : أحمد فؤاد بليغ
١٢٥ - التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديقى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ - فعل القراءة	فولفغانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندرو فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - منكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والعنف	إيقلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - باريس فى	ريشارد فاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ - قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولونونى	ت : سلامة محمد سليمان

- ١٤٥ - موت أرتيميو كروث كارلوس فوينتس
١٤٦ - الورقة الحمراء ميجيل دى ليبس
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة تانكريد نورست
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية) إنريكي أندرسون إمبرت
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس عاطف فضول
١٥٠ - التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١) فرنان برودل
١٥٢ - عدالة الهند وقصص أخرى نخبة من الكتاب
١٥٣ - غرام الفراعنة فيولين فاتويك
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت فيل سليتر
١٥٥ - الشعر الأمريكى المعاصر نخبة من الشعراء
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى جى آنبال وآلان وأوديت فيرمو
١٥٧ - خسرو وشيرين النظامى الكتوجى
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢) فرنان برودل
١٥٩ - الإيديولوجية ديفيد هوكس
١٦٠ - آلة الطبيعة بول إيرليش
١٦١ - من المسرح الإسباني اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا
١٦٢ - تاريخ الكنيسة يوحنا الأسويى
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١ جوربون مارشال
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور) جان لاکوتير
١٦٥ - حكايات الثلج أ. ن أفانا سيفا
١٦٦ - العلاقات بين المثبتين والطمانين في إسرائيل يشعياهو ليفمان
١٦٧ - فى عالم طاغور رابندرانات طاغور
١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة مجموعة من المؤلفين
١٦٩ - إبداعات أدبية مجموعة من المبدعين
١٧٠ - الطريق ميغيل دليبيس
١٧١ - وضع حد فرانك بيجو
١٧٢ - حجر الشمس مختارات
١٧٣ - معنى الجمال ولتر ت. ستيس
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء ايليس كاشمور
١٧٥ - التلفزيون فى الحياة اليومية لورينزو فيلشس
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية توم تيتنبرج
١٧٧ - أنطون تشيخوف هنرى تروايا
١٧٨ - مختارات من الشعر اليونانى الحديث نخبة من الشعراء
١٧٩ - حكايات أيسوب أيسوب
١٨٠ - قصة جاويد إسماعيل فصيح
١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى فنسنت . ب . ليتش
- ت : أحمد حسان
ت . على عبد الرؤوف البمبي
ت : عبد الفقار مكاوى
ت : على إبراهيم على منوفى
ت : أسامة إسبر
ت. منيرة كروان
ت : بشير السباعى
ت : محمد محمد الخطابى
ت : فاطمة عبد الله محمود
ت : خليل كلفت
ت : أحمد مرسى
ت : مى التلمسانى
ت : عبد العزيز بقوش
ت . بشير السباعى
ت . إبراهيم فتحى
ت . حسين بيومى
ت . زيدان عبد الحليم زيدان
ت : صلاح عبد العزيز محبوب
ت بإشراف : محمد الجوهري
ت : نبيل سعد
ت : سهير المصادفة
ت : محمد محمود أبو غدير
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت . بسام ياسين رشيد
ت . هدى حسين
ت . محمد محمد الخطابى
ت . إمام عبد الفتاح إمام
ت . أحمد محمود
ت . وجيه سمعان عبد المسيح
ت . جلال البنا
ت : حصه إبراهيم منيف
ت . محمد حمدى إبراهيم
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت . سليم عبدالأمير حمدان
ت . محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوة	و . ب . بيتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام	هانز ايندورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُرْجُ عَلَوَى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	اللين كرنان	ت . بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	پول دى مان	ت : سعيد القانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مختارات من النقد الأنجلو - أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إيوين إمري وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لنداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت . فخرى لييب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جزء	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	الطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شارازر	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهبولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ - ليل إفريقى	رامون خوتاسنديز	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فردينان بوسويسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدي عبد الفنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزيان	مرزيان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - مصر منذ قدم تاليلين حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك جزء	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ - رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كانو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيلولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ - شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نقادى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر ابراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابريل جارتيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	بيفيد هريت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ - المسرح الإسباني فى القرن السابع عشر	موسى مارديا نيف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمن	ت : أمير ابراهيم العمرى
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى ابراهيم فهمى
٢٣١ - الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى ابراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام فى السودان	ج. سينسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزى ج ١	جلال الدين الرومى	ت : ابراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادى	روين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعيسى منبولى أحمد
٢٣٩ - العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلرافر - رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الفليان	لورا إسكييل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جرتيا ماركث	ت : على ابراهيم على منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحدثة فى مصر	ولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	براجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	يومنك فيتك	ت : ماجدة أباطة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روينسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روينسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - ديكارت	نيف روينسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الفجر	سير أنجوس فريزر	ت : عبادة كُحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : فاروچان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٦١ - رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إيوارد مندوتا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	ت : على يوسف على
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وهموثيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودى
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : هبى محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : هبى محمد حسن
٢٧١ - الحضارة الغريبة	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ - الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ - السيدة بريارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ - ت. س. إيليت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ - الجينات . الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من الألب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وأخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ - القديس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان روافو	ت : على البمبى
٢٨٤ - هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عثمان
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ - رحلة إبراهيم بك ج٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ - الثقافة والعولة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وأخرون
٢٨٨ - الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين .
٢٩٠ - علم الترجمة واللغة	جورج مونا	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ - المسرح الإشبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشيسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ - المسرح الإشبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشيسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ - مقدمة للأدب العربي	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ - فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ - سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ - مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوي
٢٩٧ - فن النحوبين اليونانية والسورينية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهواني	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ - مناساة العبيد	أبو بكر تفاوايليوه	ت : مصطفى حجازي السيد
٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد قواد
٣٠٠ - أسطورة برومتيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيري وبهاء جاهين
٣٠١ - أسطورة برومتيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيري ومحمد الجندي
٣٠٢ - فنجنشتين	جون هيتون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ - بوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ - ماركس	ريوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ - الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ - الحماسة - النقد الكانطي لتاريخ	جان - فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ - الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ - علم الوراثة	ستيف جونز	ت : معمر عبد المنعم أحمد
٣٠٩ - الذهن والمخ	انجوس چيلاتي	ت : جمال الجزيري
٣١٠ - يونج	ناجي هيد	ت : محيي الدين محمد حسن
٣١١ - مقال في المنهج الفلسفي	كوانجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ - روح الشعب الأسود	وليم دي بوز	ت : أسعد حليم
٣١٣ - أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعدي
٣١٤ - الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعي
٣١٥ - جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروندينو	ت : كاميليا هبجي
٣١٦ - محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلي
٣١٧ - بلاغ	شير لايموفا - زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ - الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ - صور دريدا	جايتير ياسييفاك وكريستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ - لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى بروفنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ - التأريخ الغربي للفن الحديث	دبليوجين كلينباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ - فن الساتورا	تراث يوناني قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ - اللعب بالنار	أشرف أسدي	ت : محمود سلامة علاوي
٣٢٥ - عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كريستين يوسف
٣٢٦ - المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق علي منصور
٣٢٨ - يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ - رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

- ٢٢٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت مارقن شبرد
٢٢١ - عندما جاء السردين ستيفن جراي
٢٢٢ - رحلة شهر الصل وقصص أخرى نخبة
٢٢٣ - الإسلام في بريطانيا نبيل مطر
٢٢٤ - لقطات من المستقبل آرثر س. كلارك
٢٢٥ - عصر الشك ناتالي ساروت
٢٢٦ - متون الأهرام نصوح قديمة
٢٢٧ - فلسفة الولاء جوزايا رويس
٢٢٨ - قصص قصيرة من الهند نخبة
٢٢٩ - تاريخ الأدب في إيران ج٢ علي أصغر حكمت
٢٤٠ - اضطراب في الشرق الأوسط بيرش بيربيروجلو
- ت : سامي صلاح
ت : سامية دياب
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : بكر عباس
ت : مصطفى فهمي
ت : فتحي العشري
ت : حسن صابر
ت : أحمد الأنصاري
ت : جلال السعيد الحفناوي
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : فخرى لبيب

٢٠٠٢/٨٣٤٥

977-5769-59-0



التنفيذ والطباعة: شركة الانجنيير المعماري والمصمم

١١ ميدان سفتكس - المهندسين

تليفون: 3034408



اضطراب فى الشرق الأوسط

يتناول هذا الكتاب بالبحث ديناميكيات القوى الاجتماعية الكامنة وراء الاضطراب السياسى فى الشرق الأوسط المعاصر، وهو إذ يركز الأحداث السياسية الكبرى فى القرن العشرين، يستكشف أصول وطبيعة وتناقضات النزاعات التى حولت تلك المنطقة المهمة من العالم إلى منطقة لا تعرف الاستقرار.

كما يعرض الكتاب للمنافسة بين القوى الإمبريالية المتصارعة والتى حولت الشرق الأوسط إلى ساحة نزاع للسيطرة على أراضى وشعوب المنطقة على مدى القرن العشرين، والعمل باختصار بمثابة ملف عن الشرق الأوسط مهم وضرورى للشباب لمعرفة ماذا حدث وماذا يحدث وماذا يمكن أن يحدث.